كلمة كاتب السر

مجمع اللغة العربية في عام (١)

للأستاذ الدكتور منصور فهمي

سادتي :

أتقدم مع عميق الحزن بتحية لزميلين كريمين من أعضاء المجمع العاملين ، لبيا نداء الله ، وهما المرحومان : «محمد كرد علي» ، و«خليل السكاكيني» . ولن ينهى لهما المجمع ما بذل كلاهما من جهد في سبيل التاريخ واللغة والأدب ، ولن ينسى أصدقاؤهما ما كان لكل منهما من طيب الذكر والأثر . فجزاهما الله بما قدما مغفرة وأجراً كريماً . وأسأله تعالى أن يعوضنا عن فقدهما خير العوض . وسيقيم المجمع لهما حفل تأبين في هذه الدورة إن شاء الله (٢) .

ولنقف الجلسة لحظات ، مترحمين لذكراهما الصالحة العزيزة !!

والآن نرحب بإخواننا الذين وفدوا علينا لشهود هذا المؤتمر ، متمنين لهم طيب المقام .

أيها السادة :

منذ نحو نصف قرن تناصرت عدة عوامل للاهتمام بخدمة اللغة العربية ورعاية شئونها ، وتألفت لذلك في بعض بلاد العروبة جمعيات وهيئات ، ولعل التقدم العام لمظاهر الحضارة الحديثة ـ حين توالت موجاتها إلى هذه البلاد في تلك الحقبة من الزمن ـ كان السبب القوى في ذلك الاهتمام .

ولم يكن الاهتمام بخدمة اللغة العربية إلا استجابة طبيعية ليقظة الوعي القومي المتزايد حين يتناول اللغة في أول ما يتناول من مظاهر القومية ، لأن اللغة هي أول ما تحرص عليه الأمم من مظاهرها ومشخصاتها . ولقد تجلى هذا الحرص الكامن في نفوس الناس في أقوال وفي أفعال .

فأما في الأقوال فكان بمثل ما يهتف به الأدباء والشعراء من مثل «حافظ إبراهيم» في قوله على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ؟

---

(١) ألقيت هذه الكلمة في حفل افتتاح مؤتمر المجمع للدورة العشرين .

(٢) نعرنا في هذا الجزء نص الكلمة التي ألقاها الدكتور منصور فهمي في تأبين الفقيدين .

وتجلى فى الأفعال على نحو تلك الصور التى شهدها الشيوخ منا ، والتى أبقت لها فى نفوسهم ذكريات عزيزة حين كانت تعمر أندية الخواص وبيوت السراة فى مختلف حواضر البلاد العربية باجتماعات حاول بها الأدباء والباحثون خدمة اللغة والأدب .

ومنذ نحو عشرين عاما احتضنت الحكومة المصرية فكرة مجمعنا هذا . وقد يكون من حسن الوفاء وعرفان الجميل أن أحيي المرحوم «محمد حلمى عيسى» ، الذى انتقل إلى جوار ربه فى هذا العام ، والذى كان يتولى وزارة المعارف فى ذلك الحين ، وفى عهده تكونت هيئة المجمع بمزيد من غيرته ورعايته . وكلفت هذه الهيئة المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون والآداب ، ملائمة لحاجات الحياة العصرية .

ومنذ قيام هذا المجمع ألفت أسماعنا بين حين وحين نغمة تلوح فى ألوان من الدعابة يبدو منها منقوص الرضا عن أعمال المجمع وإنتاجه . لكن هذا المزاح لم يكن فى حقيقته استخفافا بأمر المجمع لأنه كان يرمى إلى حفز الهمم العاملة ، واستفزاز الجهود ، والاستزادة من السعى والمجهود . ولا يسع كل محب للخير والتقدم إلا أن يغتبط بكل ما يهدف إلى هذا الحفز ، وبكل ما يراد به التعجل فى الخطوات والوفرة فى الإنتاج . على أن هذا الحفز والاستزادة والتعجل ليس وحده كافيا فى تحقيق الغرض المنشود ؛ فهنالك عنصر له حكمه وينبغى ألا يغفل أثره ؛ ذلك هو عنصر الزمن وقدرة العاملين فى الترويج لنتائج الأعمال .

قد يؤثر المجمع لفظا على لفظ ، أو يعمل على تسيير مصطلح ، ولكن هذا الإيثار وهذا التسيير لا يؤتيان ثمارهما الناضجة إلا فى مهلة من الوقت ، وفى تراخ من الأيام . وليس من المألوف أن تثمر الشجرة فى غير أوان الإثمار ، وقد يكون من العنت أن تطلب فى الصيف فاكهة الشتـاء !

إن الكلمات الجديدة والمواضعات المستحدثة التى بحثها المجمع ، واختارها فى السنين الماضية - وهى كثيرة تزيد على ثمانية وعشرين ألفا - هى أشبه شىء بالبذور الطيبة تلقى فى مستنبتها وأرضها الصالحة ، وقد كمن فيها عنصر الحياة ، فما تلبث على الأيام أن تنمو وتزدهر . وقد سبقنا علماء ولغويون وباحثون فى مختلف البلاد العربية نادوا بكلمات جديدة ، ومواضعات مستحدثة كتبت لها الحياة من بعد ، فأصبحت الآن سائغة على أفواه الناس ، سارية فى مجرى الأقلام ، معبرة عن خوالج النفس ، وحاجات العيش ، ومطـالب الأفهام .

ولعل أصحابها - يوم وضعوها - لم يكونوا يقدرون ما حفظت لها الأقدار من توفيق وشيوع . وحسبنا على سبيل المثال أن نذكر كلمات : اللجنة والاستمارة والجريدة والمجلة والسيارة والدبابة والدراجة والقاطرة والبرقية والهاتف ... إلى عشرات من أمثال تلك المصطلحات التى يعلم الله كم تنادر عليها المتفكهون يوم سيقت لأول مرة ، وكم كان لها من منكر على نحو المنكرين اليوم للجديد والمستحدث من كلمات المجمع وغير المجمع .

على أن هذا التنادر والتفكه ربما كان مدرجة إلى إشاعة الكلمات المستغربة ... ألم يكن للتنادر فضل فى إشاعة كلمة (الشطيرة) حتى أصبحت من لغة الحياة العامة ، تجرى بها أقلام الكتاب، وتنطلق من أفواه المثقفين؟ فمن يدلنى على ظريف متفكه يتولى بنوع من المداعبات كلمة (المرناة) التى يقترحها البعض لكى تحل محل كلمة (التلفزيون) الطويلة الثقيلة الدخيلة ؟ !

والمجمع الذى نيطت به مهمة المصطلحات فى شتى العلوم والفنون والآداب ماض فى أداء وظيفته فى ضوء من تقديره الدقيق لنفسية الرأى العربى العام ، ذلك الرأى الذى تمده بروحها تلك الوثبة المستنيرة التى تشمل الشرق العربى . وتحرص على تقديس المقومات وتتسامى على التفريط والابتذال .

أيها السادة :

من حق اللغة على المجمع أن يتحرى لها النقاء ، وأن يلتمس الثوب الرفيع للمعنى الرفيع ، ومن عمل المجمع أن يحرص على تسجيل الشائع من الكلم ، على أن يكون ما يسجله منها عربياً سائغاً . فتصحيح العربية هو وجهتنا أول كل شىء، وهو المقدم والمزكى إلا ما يستعصى على التبديل، فيكون تعريبه فى الصيغ العربية المألوفة ، وفى قوالبها الجزلة التى يستمرئها اللسان، قياما بحق اللغة فى صونها من الفساد والإفساد، والارتفاع بها إلى مستوى التطهير والتحرير ، ذلك المستوى الذى أصبح هدف العروبة فى كل شئونها ، نرمى إليه فى صراحة وإيمان .

وقبل أن أجمل لكم أعمال المجمع خلال الدورة الماضية أحسبنى لا أبالغ إذا قلت بأن مجمعنا كان جم الإنتاج ، واسع الخطوات ، إذا قيس نشاطه وإنتاجه ، وقورنت خطواته بغيره من المجامع اللغوية فى الأمم المتحضرة ؛ على قدم تلك المجامع ، ويسر مهمتها فى اللغات التى تمثلها ، وعلى ما يتوافر لها من أسباب التنشيط العلمى والفكرى ومختلف وسائل النشر .

أعمال المجمع فى عام

والآن - أيها السادة - أحدثكم عن خلاصة أعمال المجمع بين يناير وديسمبر سنة ١٩٥٣ . فقد عقد مؤتمر المجمع تسع جلسات استمع فيها إلى ست عشرة محاضرة فى مناحى اللغة والأدب . فاستمع إلى الأستاذ «ماسينيون» يتحدث عن (الاصطلاحات العربية فى القرى وإكرام الضيف) . وإلى الأستاذ السيد «محمد رضا الشبيبى» يتحدث عن (المصطلحات العلمية) ويتحدث عن (فقه الأساليب) ويتحدث عن (المعجم المساعد للمرحوم الأب «الكرملى» ويقترح (تحديد التعريب) وإلى الأستاذ الشيخ «عبد القادر المغربى» يتحدث عن (السمر مراسما لطائر معين) ، ويتحدث عن (تصويب كلمات شائعة فى اللهجة العامية لا وجود لها فى العربية) ويتحدث عن (أوضاع لغوية عسكرية) ويتحدث عن (السليقية فى

الكلام) ويتحدث عن (استفتاءات لغوية) وإلى الأستاذ « أحمد أمين » يتحدث (عن أسباب التضخم فى المعاجم اللغوية) وإلى الأستاذ « محمد فريد أبى حديد » يتحدث عن (نظرات فى جموع الثلاثى) وإلى الأستاذ « محمود تيمور » يتحدث عن (الأدب الشعبي) وإلى الأستاذ « أحمد حسن الزيات » يتحدث عن (المجمع واللغة العامة) وإلى الأستاذ « عبد الحميد العبادى » يتحدث عن (حوادث تاريخية كان لها أكبر الأثر فى نمو اللغة واتساعها) ...(١)

وفى أثناء انعقاد هذا المؤتمر نظر فيما أحاله إليه مجلس المجمع من مصطلحات : الكيمياء والطبيعة والأحياء والزراعة والفلسفة وقانون المرافعات والطب والهندسة ، وبلغت عدة المصطلحات فى ذلك نحو خمسمائة مصطلح . وكذلك نظر المؤتمر فى نموذج من « معجم ألفاظ القرآن » وفى نموذج من « المعجم اللغوى الكبير » .

وبعد أن انفض المؤتمر استأنف المجلس انعقاده الأسبوعى ، فدرس طوائف من المصطلحات فى الرياضة وفى الكيمياء وفى علم الأرض ، وفى علم الحيوان ، وفى الطب ، وعنى بدراسة مجموعة من ألفاظ الحياة العامة تمهيداً لتزويد « المعجم الوسيط » بالمختار من هذه الألفاظ . وبلغت عدة المصطلحات التى درسها المجلس ودوّنها نحو خمسمائة مصطلح . واستمع المجلس إلى بحث للدكتور « عبد الوهاب عزام » فى (الألفاظ العربية الدائرة فى اللغات الإسلامية غير العربية) ، وإلى بحث للشيخ « عبد الله عبد الرحمن الأمين » عضو المجمع المراسل فى (للهجات السودانية)(١) . ودرس المجلس طائفة من البحوث اللغوية فى جموع الثلاثى ، وفى تحديد التعريب ، وفى أصول الحروف الأبجدية ، وناقش فى موقف المجمع من الكلمات الشائعة بين التسجيل والابتداع ، وبحث فيما قدمته إليه لجنة الأصول فى شأن رسم الكتابة وفى الألفاظ التى ضمنها الأستاذ « محمود تيمور » محاضرته فى لغة المجتمع .

وأما لجان المجمع فهى توالى انعقادها لتمد المجلس بالأعمال . ولقد بلغ ما أنجزته هذه اللجان أكثر من ألفين من المصطلحات خلال هذه الدورة .

وإذا جاز لى هنا أن أشير إلى الأعباء التى تنهض بها هذه اللجان المجمعية فحسبى أن أنوه بلجنة الأدب ، على سبيل المثال ، تلك التى تعمل على تشجيع الإنتاج الأدبى ، وعقد مسابقات فى القصة والشعر والنقد والترجمة . فقد قرأت نحواً من أربعمائة بحث وقصة وديوان ، موازنة بينها ، لكى تصل إلى تقرير المستحق منها للجوائز وللتشجيع ، وذلك فى خلال سنوات قصار ... وأما لجنة « المعجم الوسيط » التى تولت وضع المعجم على نظام مرسوم ، ولجنة « معجم ألفاظ القرآن الكريم » التى اتخذت خطة مبتكرة فى وضعه ، فسيرى الناس عملهما فى القريب . ولم تبق إلا مرحلة الطبع والنشر ، بقدر ما نملك لها من وسائل . وقد صدر فعلا الجزء الأول

(١) نشرت هذه البحوث فى الجزء التاسع من مجلة المجمع .

(١) نشر هذان البحثان فى الجزء التاسع من مجلة المجمع .

من «معجم ألفاظ القرآن» .

وقد اشترك المجمع فى المؤتمر العلمى العربى الذى نظمته الإدارة الثقافية للجامعة العربية ، واشترك فى المؤتمر الطبي الحادى والعشرين ، وفى مؤتمر الصيدلة ، فكان له فى هذه المؤتمرات ممثلون من الأعضاء يعرضون أعمال المجمع ويسهمون فيما تتناوله المؤتمرات من دراسة المصطلحات العلمية . واستجاب المجمع إلى رغبة المملكة الليبية فى أن يكون بعض أعضاء المجمع هم المحكمين فى مسابقة النشيد الليبي القومى ، كما استجاب إلى رغبة الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية فى أن توفد ممثلا لها لينتفع بالاطلاع على ما يحتفظ به المجمع من جزازات .

وقد انتخب المجمع الأستاذ «محمد توفيق دياب» فى مكان المرحوم الدكتور «فارس نمر» . وانتخب كذلك الأستاذ «حامد عبد القادر» فى مكان الأستاذ «عيسى اسكندر المعلوف» الذى اختاره المجمع مكان العضوية الفخرية .

وفى هذه الدورة أيضا قرر المجلس أن يكون اسم المجمع هو «مجمع اللغة العربية» .

وقد فرغ المجمع من طبع الجزء السابع من مجلته، وسيوزع فى القريب. وهو يضم أعمال المجمع من مصطلحات وقرارات وبحوث فى دورات ثلاث . وأرسلت لجنة المجلة أصول الجزء الثامن إلى المطبعة لإصداره فى أقرب وقت ممكن (١) .

وفى هذا المؤتمر الجديد ستعرض المصطلحات العلمية التى أقرت فى الدورة الماضية ، وبخاصة ما أرسل منها إلى الهيئات العلمية ووردت عليه ملاحظات ، وكذلك تعرض المقترحات والمباحث الواردة من الأعضاء المراسلين وغيرهم ، ويستمع إلى بحوث ومحاضرات تتصل بأهداف المجمع وأغراضه يلقيها بعض الأعضاء ، ويعرض ما طبع من «المعجم الوسيط» وما طبع من «معجم ألفاظ القرآن الكريم» ، وما يجد من الأعمال خلال فترة انعقاد المؤتمر .

ومما تقدم يبدو أن جهد المجمعيين ومن عاونوهم من خبراء ومحررين وموظفين كان جهدا نسأل الله أن يتقبله منهم بقبول حسن ، وأن يمدهم بالعون على مواصلته فى سبيل أهداف المجمع لخير اللغة .

وختاما أسأل الله واسع رحمته لمن أسهموا فى نشاط هذا المجمع ممن سبقونا إلى دار الرضوان .

وإذا كان المجمع يمثل نزعة الأمة العربية فى توثبها اللغوى والثقافى فهو على يقين من أنه يلقى من قادة الرأى والحكم فى العروبة كل مناصرة ومؤازرة وتأييد .

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير . آمين ...

(١) صدر الجزءان الثامن والتاسع وهذا هو الجزء العاشر.

الفنان بين الواقع والإلهام [1]

للأستاذ محمود تيمور عضو المجمع

معالم البحث :

١) أى الفريقين أجود بيانا وأصدق تعبيرا : من يصف حياته ومشاعره . أم من يصف حياة أخرى ومشاعر أخرى ، مخالفة لها أو ضدها ؟

٢) فنانون من الشرق والغرب أجادوا وصف حياتهم التى عاشوها .

٣) دعائم العمل الفنى تتطلب من الفنان أن يمزج مرئياته ومسموعاته بتجاربه واستجاباته .

٤) العمل الفنى فى نفس الفنان يتكون فى رحاب الاستلهام وما يشبه عالم الأحلام .

٥) الحب بين الفنان وعمله شرط نجاحه . وقد يتحقق الحب على تباين الخصائص وتخالف الصفات .

٦) الفنان يستطيع أن يصور غير بيئته . فالجانب الاجتماعى شركة بين الناس .

٧) رشفة من كأس تكشف للخبير عن مذاق الشراب فيدرك أسراره .

٨) الفنان يصور مختلف شخصيات المجتمع ، وأبطال التاريخ . بل يصور مشاهد الغيب .

٩) يموت الفنان وهو حى ثم يبعث ليحدثنا بما ارتاد من مجاهل الأرض وأسرار السماء .

١٠) الفنان يتقمص شخصياته على اختلافها كما يتقمص المحامى قضاياه وإن اختلفت مبادئها .

١١) الكاتب كالممثل . لابد له من معالم ومؤثرات تيسر له مكنة التمثل والاندماج .

١٢) العقد النفسية ومركب النقص مما يحدو الفنان على أن يصور بيئة غير بيئته .

١٣) تراث الحياة الفنية فى الشرق والغرب يحفل بالأمثلة على أن الفنانين يتلاءمون أو يتباينون بين واقعهم وإلهامهم .

١٤) أمثلة من الشرق : طاغور يصور حياة الطبقة الكادحة وهو من السراة . أبو العلاء المعرى يصف من الليل والسيف ما لا يبلغ وصفه الراءون . شاعران أمويان أحدهما يحسن التغزل دون عشق والآخر عاشق لا يحسن التغزل . ابن الطفيل يتمثل طفلا مشردا تهديه غرائزه إلى أسرار الحياة وفلسفة الوجود . أبو حيان التوحيدى يتمثل مفاوضة بين على وبين أبى بكر وعمر فى شأن البيعة للخلافة . عمر بن أبى ربيعة وبشار بن برد والجاحظ والشريف الرضى وشوقى أمثلة لقوة الإلهام والتمثل . المتنبى شاعر الحرب لا يخوض الحرب

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة الأولى لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

وسيف الدولة المحارب لا ينظم فى وقائعه شعرا وهو شاعر . الدكتور هيكل يكتب قصة الريف المصرى وهوعن وطنه بعيد .

١٥) أمثلة من الغرب : شكسبير يصور حياة العظماء وليس منهم . تولستوى يصور حياة الفقراء وهو من السراة . جورج صاند تصور الفضيلة وهى عنها تنحرف . ديكنز يصور الطفولة المشردة لأنه عاش هذه الحياة ، ويصور السعادة الزوجية وهو أشقى الأزواج . دستيوفسكى يصور حياة المقامرة لأنه مقامر ويصور حياة الإجرام وليس هو بمجرم . موسيقيان مختنثان أحدهما يصور العنف والقسوة والآخر يصور الرقة واللين . قصاص أمريكى يصور لحظة احتضار المشنوق ، ولم يشنق !

١٦) الأعمال الفنية ليست تراجم شخصية . والفنان الذى يقتصر على تصوير بيئته محدود العبقرية .

١٧) ليس للفنان حد يقف عنده ؛ فهو يصور كل شيء يراه أو يتخيله .

١٨) أكذب شيء فى الفن وضع القواعد ورسم الحدود . فالحرية مكفولة للفنان ما دام هو فى واقعه أو إلهامه موفور الموهبة يبرز فنه صورا من التعبير الرفيع .

— ١ —

ثمة فنانون تصطبغ أنفسهم بما يمارسون من عيش ، وما يحيط بهم من ملابسات البيئة فينفضون أثر ذلك فيما يؤثر عنهم من تعبير وتصوير .

ومن الفنانين فريق آخرون يعبرون عن بيئة غير التى ألفوا ، وحياة غير التى يحيون ، ويصورون مشاعر ومنازع ليسوا لها بأهل ، ولعلهم من تلك البيئة والحياة ، وهذه المشاعر والمنازع ، على طرفى نقيض .

فأى الفريقين أبلغ بيانا ؟
وأيهم أصدق حديثا ؟

الجواب الحاضر هـــو أن الهـواتف الوجدانية ، والتأثرات النفسية ، تتولد من المعاشرة والمخالطة ، ومن الانغماس فى عباب الحيـاة الصاخب . فكلما كان اتصال الفنان ببيئته قويا رهف إحساسه بما ينتظمها من شئون الحياة ، وشف تعبيره عن فيها من صنوف الناس .

وإذن فكل امرئ بعيشه أخبر ، وبحياته أجدر ، وبنفسه أدرى . فإن عبر عن أولئك فهو صادق فى فنه أصيل ، وإلا فهو لاشك واغل دخيل ، يتكلف ما ليس من سعيه ، ويتعاطى غير ما فى وسعه ، فتعبيره باطل من القول وزور .

والمجيبون بهذا يعجبون لفنان يصف من مختلف البيئات ما لم يخالط ، ويستنكرون أن يتحدث عن أناس ليسوا من قبيله ، ويتعاظمهم أن يصور من العواطف والنزعات ما لا يجد .

وهم ينشدون قول الشاعر :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

بيد أن هذا الجواب الحاضر — وإن كان منطقى القياس ، ظاهر الصواب ، عليه مسحة الحق — ليس فيه مقنع لباحث متفحص ، يتتبع آثار الفنانين التى مضوا عنها ، ويتبين أشتات العوامل والدوافع التى تحدو الفنان على أن يصف ويعبر ، فيجيد الوصف والتعبير .

— ٢ —

ما أكثر الفنانين الذين أجادوا فى التعبير عن حياتهم وملابسات عيشهم .

ففى أدب الشرق يبلغ « جميل بثينة » الذروة فى وصف الحب العذرى ، وينفرد « أبو العلاء المعرى » بحكمة الحياة وفلسفة الوجود ، ويضرب المثل « بابن الفارض » فى شعر التصوف ... كلهم كان فنه مرآة نفسه ، وصورة حياته .

وأضرابهم فى أدب الغرب كثير . هنالك « بايرون » شـــاعر الغرام المتجدد الريان ، و« موباسان» قصاص الحياة الصاخبة بالشهوات والنزوات ، و « ماكسيم جوركى » مصور حياة الصعلكة والفاقة والحرمان .

هؤلاء وهؤلاء نضحت أقلامهم بما ترشفوه من أفاويق الحياة ؛ فأبدعوا فيما جلوا من ألوان كانت صبغة عيشهم الذى زاولوه .

ولكن هـــذه الأمثلة — وإن فاتت العد واستعصت على الاستقصاء — لا تقف حائلا دون أن يكون ثمة جانب آخر يتجلى به وجه الرأى فى هذه القضية الخطيرة ، من قضايا الفن والأدب .

— ٣ —

على أى الدعائم ينهض العمل الفنى ؟

أينهض على دعائم من تصـوير للبيئة ، ورسم للمشاهد والمناظر ، وسوق للمواقف والأحداث ؟

هذه لاريب بعض أسناد الفنان فى عمله الفنى ...

ولكن وراء ذلك جوهرا من نفسه يعطيه ، لا غنية له عنه ، ولا قيام لعمله بدونه .

ذلك الجوهر هو أن يصهر أخلاط مرئياته ومسموعاته فى بوتقة نفسه ، ويعالجها بألوان اختباراته وتجاربه ، ملهبا تحت هـذه البوتقة نار استجابته وتأثره ، حتى تبلغ تلك الأخلاط درجة النضج ، فيخرج العمل الفنى سـويا تتمثل فيه صنعة الفن ، ومزاج الفنان .

وما أشبه تلك المعالجة والمزاولة بتمثيـل الغذاء فى عملية الهضم للطعام ، أو تجهيز العقاقير فى معمل كيميائى ليتألف منها الدواء !

يقول « أندريه موروا » :

« إن الكاتب حين يصب مشاهداته للناس فى قالب قصصى يحذو حذو صانع الزجاج حين يبدع من كتلة لا شكل لها تحفة تبهج الأنظار وتنفع الناس » .

وصدق الكاتب فى قوله !

فلا غناء للفنان عن المادة التى يصوغ منهـا فنه ، وهى المشاهدة . ولكنه إذا التقط المرئيات

حواليه ، فلا بد له أن يختزنها فى مستودع تجربته ويحتضنها فى مكامن استجابته ، ليستشف منها ماوراء الحجب ، ويكتنه ما تخفيه من الدوافع والبواعث ، وينفى عنها ما يتدسس فيها من خدعة وشوب ، ثم يكون له من قوة خياله وروعة تصويره ، عون على أن يبث فى هذه المادة حياة ، فإذا هى عمل فنى فيه للنفس بهجة وإمتاع ، وفيه بحقائق الحياة تبصير وإقناع .

— ٤ —

يحيا الكاتب بين الناس حياته المألوفة ، يرى ما يرى ويسمع ما يسمع ، شأنه فى ذلك شأن سائر الناس حين يرون وحين يسمعون . وله كسائر الناس مشاعره واستجاباته إزاء مرئياته ومسموعاته . وهذا كله يترسب فى وليجة نفسه مختلطا بعضه ببعض . حتى تسنح له خطرة عابرة أو فكرة طارئة ، فإذا هو قد استبد به الموضوع الذى لاح له ، وإذا هو مستجيب يطلق من عقله الباطن ما يختزن ، وإذا هو فى جو من موضوعه تحيط به أبخرة متصاعدة تملك عليه جوانبه وتفيض عليه شآبيب القول . وما هذا الذى يفاض عليه إلا عصـــــارة تمتزج فيها تجاربه الشخصية وأحداثه الخاصة ، بما شهد وما قرأ وما سمع من أشتات التجارب والأحداث .

فى هذه الجلسة التى يجلسها الكاتب إلى نفسه خاليا بموضوعه ، معدا له رصيده من الرؤية والسماع ، ومن التجربة والخبرة ، ومن التأمل والتخيل ، يفارق الكاتب صحوه ، أو ينوّم وعيه ليمرح فى رحاب الاستلهام ، أو ما يشبه عالم الأحلام . وهو فى هذه الحالة يمارس لونا من صوفية فنية ، يتحرر فيها من قيوده ، ويحلق فى الآفاق ماطاب له أن يحلق ، ويفصح عن استجابته وتأثره فى حرية وانطلاق .

— ٥ —

وإن نجاح الفنان فيما يخرج من عمل فنى موفق ، لهو على مقدار ما يكون بينه وبين عمله من تلاؤم ووفاق . فذلك هو شرط الاستجابة ، وهو سر التوفيق والنجاح .

والفنان إذا استجاب لعمله فقد أصفاه الحب ، وليس الحب إلا جاذبية . وهذه الجاذبية تتحقق فى حالتين . فإما أن يكون المحبان على نمط واحد فيتعاشقا . وإما أن يجد كلاهما فى صاحبه من الصفات ما يحببه إليه ، وإن كانت عكس ما هو عليه .

ومصداق ذلك أن يحيا أمير مترف بين حرائره وحظاياه الخاشعات ، فيدركه الملال . وتصادفه فى طريقه فتاة فى طبعها إباء وجموح ، وإن كانت أدنى من حرائره شأنا ، وأقل من حظاياه حسناً ؛ فيستهويه منها إباؤها وجموحها كل الاستهواء . ولا تلبث أن تملك عليه أمره فيذل لها أيما ذلة . ومايزال بها حتى يروضها على الرضى به ، والإخلاد إليه ؛ وهو يرى فى تمنعها عليه ، ومخاشنتها له سعادة تملأ أقطار نفسه من حيوية واهتياج .

— ٦ —

ربما كان الكاتب ممن تتجافى بهم ملابسات حياتهم عن ممارسة العيش ، فى أسواقه العامة . وهو مع ذلك يصور من شئون الناس ونفسياتهم شكولا على أوسع نطاق . فيتساءل الناس فى شأنه ويتعجبون منه ، كأنما يحسبونه متعاليا فى

برج ، أو معتزلا فى صومعة ، وبين يديه منظار يستدنى به إلى عينيه خفى المشاهد وبعيد الأحداث .

وليس فى الأمر ما يدعو إلى عجب ومساءلة فإن الجانب الاجتماعى من الحياة شركة بين الناس أجمعين . وهو ميدان رحيب ، فيه لكل أذن مستمع ، ولكل عين منظر ، ولكل شعور مهز . . . فمن أصغى سمع . ومن حدق رأى ، ومن أرهف عاطفته شعر . فإن أوتى موهبة التعبير استجاب .

متى استخلص الكاتب نفسه لفنه . وآمن حق الإيمان برسالته ، دارت به أمواج الحياة فى بيئته ومجتمعه . فلم يمتنع عليه منها لؤلؤ ولا صدف . ومتى اكتملت له القدرة على أن يسبح فى العباب ، تردد فى الأعماق ، حتى يبلغ القرار .

الناس مع الناس ، والناس للناس . ومن التقارب بين الناس ما هو كاذب عقيم ، ومن التباعد بينهم ماهو زائف موهوم . وليس يعوز الناس ـ على تفاوت بيئاتهم ، واختلاف أحوالهم ـ لكى يحس بعضهم إحساس بعض ، إلا عين تسجل الواقع ، وبصيرة تسبر الغور ، ووجدان ينتفض بالاستجابة والتأثر .

فإذا تهيأ ذلك كله فلا عبرة بما يكون من ظواهر التباعد ، وإذا لم يتهيأ فلا جدوى للتقارب على أى نحو يكون .

— ٧ —

يكفى أن يخالط الفنان صنفا من الناس ولونا من الحياة ، نوعا من المخالطة قل أو كثر .

فسرعان ما يتأثر بهذا اللون وذلك الصنف ، وسرعان ما يجد فى هذا التأثر مدرجة لإجادة الوصف والتعبير ، تسعفه الفطنة ، وتمده البصيرة ، ويحلق به الخيال فى الآفاق والأعماق .

زار الكاتب المعروف « جورج ديهامل » الولايات المتحدة ، وسجل خواطره فى هذه الزيارة ، فانتقد الحياة هنالك انتقادا لاذعا . وقد سخر منه الأمريكيون . فقالوا : « كيف يزعم « ديهامل » أنه أصاب المرمى فى الكشف عن الحياة الأمريكية . ولم يكن مقامه هناك إلا أسابيع » . فكان جوابه : « إن المرء لا يحس معايبه على طول عشرته لها . فالأمريكيون لا يحسنون أن يتعرفوا نقائص البيئة التى يحيون فيها ، لأنهم ألفوها . والرائحة الكريهة يعتادها الأنف فلا يجد فيها غضاضة ، فأما الطارئ الغريب فإن الرائحة تفغم خياشيمه ، فينكشف له طيبها أو خبثها أول وهلة » .

ولا يخلو هذا الكلام من حق ، فإن خبير الأنبذة لا يحتاج إلى أن يكرع الكأس حتى ثمالتها لكى يتعرف مذاق الشراب . وإن حسوة عاجلة أو رشفة خاطفة ، خليقة أن تكشف له جلية الأمر . وقد يشرب الشارب كؤوسا مترعة دون أن يتعرف من أسرار المذاق ما تعرف الخبير الفنان بالحسوة العاجلة والرشفة الخاطفة !

وفى هذا المعنى يقول « سومرست موم » :

« ليس من الضرورى أن يأكل الكاتب حملا كاملا ليستطيع أن يصف لك مذاق لحم الضأن . فبحسبه شريحة صغيرة ، ولكن لا بد له من أن يذوقها » .

— ٨ —

ليس شرطا أن يكون الكاتب محامياً ليتحدث عن المحاماة ، ولا قاضيا ليصور القضاة ، ولا وزيراً ليكتب عن الوزراء . ولا طبيباً ليعالج شخصية الطبيب .

ليس من الحتم أن يكون الكاتب عاشقاً ليصف العشق ، ولا مجرما ليحلل الإجرام ، ولا فاجراً ليدرك معنى الفجور ، ولا شيطانا ليكتنه حقيقة الشيطان .

ليس من صواب الرأى أنه لا يحسن جلاء نفسية المرأة إلا المرأة .

وأنى للكاتب أن يجمع بين هؤلاء جميعاً ، وهو فى قصة واحدة أو مسرحية واحدة : تتزاحم عليه هذه الشخصيات — على اختلاف طبائعها وخصائصها — ليبرزها فى عمله الفنى ؟

وما ظنك بأبطال التاريخ ؟

كيف يكون موقفنا منهم وقد انقضت عصورهم ، وانطوت صحائفهم ، فلم تبق لنا منهم إلا ذكريات ؟

أمن الحتم ألا يتحدث عن أحد منهم إلا من كان قريعه وضريبه ، يمارس من البطولة ما مارس ويلقى من العيش ما لقى ، ينعم بمثل ما نعم ويشقى بمثل ما شقى ؟

لقد وصف « دانتى » مشاهد الآخرة من الجحيم والمطهر والفردوس . وتعاطى « ميكل أنجلو » تصوير النبيين « موسى » و « عيسى » . ومارس غيرهما من مثل هذه الأعمال الفنية مالا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ لجوّدوا الوصف ، وأحسنوا التصوير .

— ٩ —

المنطق ينادى بأن نقول للفنان : انتظر حتى يأتيك الموت ، فيباح لك أن تتحدث عن مشاعر الموتى . فأما وأنت حى فلا يسوغ لك أن تعدو بحديثك جانب الأحياء .

ولكن الفنان لا يعبأ بهذا المنطق ولا ينتظر حتى يدركه الموت عياناً ، وإنما يموت وهو على ظهر الحياة يتنفس ، ويستودع جثمانه بطن الثرى وقلبه ما برح يخفق . بل إن قلبه ليمسك عن الخفقان إن شاء ، وتحلق روحه ترتاد أبواب الغيوب فى أجواز الفضاء ؛ حتى يدرك وطره من رحلة فى جوف الأرض أو فى عرض السماء . ثم ينبعث ليستأنف حياته ، معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه ، له ـ حيثما شاء ، وكيفما شاء ـ إسراء ومعراج ، لا ينكره عليه أحد ، ولا يجادله فيه مستريب .

— ١٠ —

فن الكاتب كله فى استطاعته أن يندمج فى الشخصيات التى يتناولها ، وأن يساير الحياة التى يعالجها . وحسبه فى سبيل ذلك أن يعرف من شئون الناس ، ومن أوضاع بيئاتهم ما ييسر له أن يتمثل وأن يندمج .

ومتى أحسن التمثيل وأجاد الاندماج ، كان بين هؤلاء الناس - على اختلافهم وتباينهم - فرداً منهم ، يحيا معهم ، ويقف مواقفهم ،فلا يعيا بتصوير أو تعبير .

فى مقدور الكاتب أن يكون خيرا يصطنع صلاح الأخيار ، وأن يكون شريراً يتكلف نزوات الأشرار . إذ يتقمص الشخصية التى يزاول رسمها ، فيداجها ويمازجها ، حتى يكونها .. وهو فى ذلك شبيه بالمحامى الموهوب يدافع فى إحدى قضاياه عن مبدإ ، ويدافع فى قضية أخرى عن مبدإ آخر يخالفه . وليس فى هذا من تناقض أو تعارض ،وإنما هو استجابة لكل قضية على حدة وتأثر بما فيها من ملابسات وأحداث ، ومعالجة لموضوعها فى براعة وافتنان .

— ١١ —

الكاتب قرين الممثل على منصة المسرح ، ولزام أن يتوفر للممثل أمران : موهبة واستجابة . فتى كان موهوبا فى فنه ، مستجيبا للشخصية التى يريد أن يشخصها فى إهابه ، استطاع أن يتلبس بموضوعه مستعينا على ذلك بألوان المعالم ، التى لم تيسر له مكنة التمثيل والاندماج .

لقد أريدت « سارة برنار » على أن تمثل شخصية المرأة التى يتحيفها مرض السل ، وذلك فى مسرحية « غادة الكاميليا » ، فكانت ترتاد المشافى والمصحات التى يأوى إليها المصدورون ، حتى تلتمس الوسيلة إلى إتقان التمثيل .

وقيل إن أروع مواقفها على المسرح هى مواقف الموت . وقد أوتيت هذه الروعة بأنها كانت تؤم القبور - فى جنح الليل - تناجى الراقدين تحت الثرى .

فالفنان يعوزه أن يتعرف معالم موضوعه ، لكى يهيىء له وجوه الملائم ، ولكى يتلمس ما يذكى فى جنبات نفسه مشاعر الاستجابة والتأثر ؛ حتى يتاح له الاستغراق فى عمله الفنى على الوجه المنشود .

— ١٢ —

لقد يهفو الفنان إلى نوع من الحياة غير الذى يحياه ، ويتطلع إلى جديد من العيش غير ما هو فيه ، يبعثه الحرمان والنزوع إلى تمثل تلك الحياة المرموقة والاستمتاع بها فى عالم الوهم والخيال ، ومن ثم يستبين تعبيره قويا حيا يصور بيئة غير بيئته ، وطبقة غير طبقته ،وحياة غير حياته .

ثمة نقص فى ناحية معينة ، يحاول الفنان أن يستكمله ،فتراه يلهج به على غير وعى منه ، وإذا هو يجود فى تصويره أيما تجويد .

ثمة عقدة نفسية يهيمن على الكاتب سلطانها الغلاب ، فيخرج عمله متأثراً بتلك العقدة ، منقاداً لها ، لا يملك منها الفوات .

يقول الدكتور « أكسل مونتى » السويدى ، وهو أديب وطبيب مارس المباحث النفسية :

« معظم المؤلفين الذين يلذ لهم أن يخوضوا

فى حديث المواقف الجنسية . هم فى العادة أقل الناس تمرسا بها ، وإقبالا عليها ... »

رب كاتب مسقط رأسه الريف ، هنالك درج ، يصبح اليوم فى المدينة لا يعير الريف اهتمامه ، ذلك لأن « مركب النقص » يحدوه أن يتجافى عن القرية ما وسعه أن يتجافى . فهو أولع ما يكون بوصف حياة الترف وعيشة البذخ فى أندية المدينة ، مبهور العين بأضوائها الألاقة ، يقحم نفسه فيها إقحاما ، ويلتزمها التزاما .

ورب كاتب مدنى عشيت عينـه بتلك الأضواء ؛ فحاد عنها إلى ألوان من الحياة طريفة تفتنه وتسبيه . إذ يجد فيها أسراراً مستورة عنه ، فيقبل عليها يتعرف ويتكشف ، كأنه يمارس مغامرة محببة إليه ، هو فيها « سندباد » جديد تهتاج نفسه بما يرتاد من مجاهل الآفاق . شأنه فى ذلك شبيـه بشأن جوّاب من الغرب ، تشوقه أحلام الشرق . فإذا هو بين البدو - على مرامى الصحراء - يعيش فى الخيام .

فمن البواعث فى نفس الفنان أن يكون قد أدركه السأم النفسى من عيش مملول ، أو هزه التطلع الوجدانى إلى طريف من الحياة مستور .

فهو يتنكب عما ألف من عيش ، وما مارس من شأن ، متخذاً فى عمله الفنى مناحى أخرى ، تسوقه إلى ذلك عوامل خفية على غير إرادة منه أو على غير وعى .

ولعل من هذه العوامل أنه لا يتحدث عن حياته المألوفة ، خشية أن يبدى من عوارها ما يمسه ، أو ما يتصل به على قرب أو على بعد ، فهو ضنين بمعايب تلك الحياة على الظهور والانكشاف ، وهو ضنين بنفسه أن تلحقه منها تبعة أو يناله نقد .

وعسى أن يكون من بين تلك العوامل أن حياته مبذولة لديه ، حائقة به ، لا تشبع فيه فضولا ، ولا تكشف له مجهولا .

— ١٣ —

تراث الحياة الأدبية والفنية - فى الشرق والغرب ، فى القديم والحديث - يحفل بالنماذج والأمثلة على أن الفنانين يختلفون شكولا وأفانين ، وأنهم كانوا بين واقعهم وإلهامهم متلائمين حينا ، متباينين حينا آخر .

وما كان للتلاؤم أو التباين فضل فيما كسبوه لأعمالهم من تجويد وتخليد ، وإنما كان الفضل الأول والآخر لما أوتوا من عبقريات ومواهب ، ولما ركب فى نفوسهم من حوايا وعقد ، ولما اندس فى حياتهم من عوامل وبواعث .

فمنهم من أحسن تصوير الواقع الذى يعيش فيه والبيئة التى أنبتتـه ، فهو يترجم عن سمعه وبصره وشعوره . ومنهم من صدف عن واقعه وبيئته وانطلق يستلهم ما يشاء ، مطاوعا فى ذلك أشواق نفسه ، ودوافع وجدانه .

ومنهم من جمع بين الحسنيين مقسم القلب بين التصفح لما هو فيه ، والتطلع إلى ما يصبيه ويغريه ، وكلهم متلاقون على ذروة الإجادة والإبداع .

فإذا طوّفنا بأدب الشرق نقطف منه أمثلة سائرة ألفينا « طاغور » - سليل الأمراء والسراة وربيب العز والجاه - يتحدث عن آلام الناس

وبخاصة الطبقات الكادحة ، فيسمو فى أغانيه إلى أفق لايعلو عليه فنان .

ورأينا « أبا العلاء المعرى » يتخيل الليل، فيبلغ من وصفه مالا يبلغ الراءون . إذ يقول فى إحدى قصائده :

« ليلتى هذه عروس من الزن
ج عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا
فهما للوداع معتنقان
قال صحبي فى لجتين من الحنـ
دس والبيد إذ بدا الفرقدان :
نحن غرقى فكيف ينقذنا نجـ
مان فى حومة الدجى غرقان
وسهيل كوجنة الحب فى اللو
ن وقلب المحب فى الخفقان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسـ
رع فى اللمح مقلة الغضبان ! »

ويتخيل كذلك السيف فيقول فى وصفه مبدعا فى القول :

تحلى البرد تحسبه تردى
نجوم الليل واشتمل الهلالا
مقيم النصل فى طرفى نقيض
يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء
وتبصر فيه للنار اشتعالا

ومن شعراء العربية فى العصر الأموى اثنان أمرهما عجب . ذانك هما «جرير» و «الفرزدق» . كلاهما شاعر مبرز : أحدهما أحسن التغزل وما عشق ، والآخر عشق ولكنه لم يحسن أن يتغزل. كان « جرير » أرق منه نسجا ، وأبدع نسيبا ، وكان يقول :

« لو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكى على شبابها » !

ويروى عن « الفرزدق » أنه قال فى تفاوت ما بينه وبين « جرير » :

« ويح ابن المراغة ... ما أحوجه - مع عفافه - إلى صلابة شعرى . وما أحوجنى - مع ما أنا فيه - إلى رقة شعره ... »

ونحن نتروى قول « جرير » فى تشبيبه بالنساء :

إن العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا

ولكن تاريخ « جرير » الشاعر المتغزل يشهد بأن « العيون التى فى طرفها حور » لم تصب منه مقتلا ولا شبه مقتل . وأنه عاش مبرأ معافى فى ظل حياة زوجية فيها سكينة واطمئنان . إلا أن هذه الحقيقة لم تحل بين « جرير » وبين إبداع الشعر الرقيق فى النسيب والتشبيب .

وقد عمد الفيلسوف « أبو بكر بن الطفيل » إلى أن يتمثل فى قصته « حى بن يقظان » طفلا ألقى به اليم إلى الساحل فبقى فى منقطع من الأرض وحده لاحاضن ولا أنيس . وجعل الفيلسوف الفنان يصور لنا كيف يتهدى الطفل بغرائزه إلى طبائع الأشياء وحقائق الحياة ، وكيف يستجلى بعقله وتأمله حكمة الخلق ، ويستبطن فلسفة الوجود ؛ حتى يبلغ من ذلك مبلغ الوصول إلى ذلك السر الأزلى الأبدى : سر الألوهة الخالدة ...

وهو فى مطاوى قصته يدارج الطفل فى مراحل نشوئه وتطوره ويواصل اكتناه سريرته ونجواه ، كأنه معه بمرأى منه ومسمع ، أوكأنه متلبس بوجدانه يصغى إلى خفقات قلبه وهتفات روحه ثم يصورها فى جمل وعبارات .

وذلك « أبو حيان التوحيدى » يصفق بأجنحة من خياله فيطير إلى عهد الخلافة فى صدر الإسلام ، ليتمثل له « أبو عبيدة » مترسلا بين « أبى بكر » و « عمر » وبين « على » فى شأن البيعة ، ناقلا إلينا مادار بينهم من مفاوضة وحديث ، بما يجلو نفسياتهم وماتتناجى به خواطرهم فى هذا الموقف الدقيق . فإذا «التوحيدى» يصوغ لنا صفحة من الأدب الفنى بالغة الروعة ، لك أن تسميها مسرحية من التاريخ قصيرة . ويعلم الله أنها من وحى « أبى حيان » وإلهامه ، ومن فيض تخيله وتمثله ، وإن أجراها مجرى النقول التاريخية المروية بإسناد .

ولو تسنى لنا أن نتتبع « عمر بن أبى ربيعة » فى أقاصيص شعره الغزلى ، و « بشار بن برد » فى أوصافه الشعرية التى يتخيل فيها صور المرئيات ، وأن نتقصى « الجاحظ » فى أحاديث بخلائه ، و « الشريف الرضى » فيما نسبه من القول إلى «على» فى نهج بلاغته ، وأن نتدارس شعر « شوقى » فى حكاياته ومناجياته الدينية — وأضراب هؤلاء من الكتاب والأدباء — لأصبنا أمثلة قوية من أثر الإلهام والتمثل فى البيان الفنى الرفيع بما يبدو فيه أثر الواقع منقوص الحظ قليل الإمداد .

وحسبنا أن نأخذ فى حديث « أبى الطيب المتنبى » عزّاف لحن الحرب على قيثارة الشعر ، وأندى الشعراء صوتا فى التغنى ببطولة السيف والإشادة بالفتوة والسطوة والغلب . ذلك الذى وصفه « ابن الأثير » الأديب فقال بحق :

« . . . إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها . وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ... »

هذا « المتنبى » ... أتراه اقتحم معركة أو شارك فى حرب وضرب ؟

لقد بلغ من افتتانه بالقتال والصيال أن يقول فى شبابه :

وإن عمرت جعلت الحرب والدة
والسمهرى أخا والمشرفى أبا
فالموت أعذر لى ، والصبر أجمل بى
والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا

بل لقد ادعى لنفسه مجد المغالبة والنضال في قوله :

ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأنني لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها
أقوات وحش كن من أقواتها

ولكن هذا التولع بالحرب والافتتان بالقتال ، وهذه الدعوى العريضة في خوض مهالك الوغى وتدمير الجيوش وهزم الأعداء . لم تتمخض في حياته كلها إلا عن أحداث ثلاثة :

أولها أن جماعة من غلمان «أبي العشائر» تعرضوا له في طريقه ، فكرّ عليهم « أبو الطيب » فضرب أحدهم فقطع قوسه وأصاب ذراعه .

والثاني أنه - في مهربه من « مصر » إلى « الكوفة » - فسد عليه بعض عبيده .

وبينما يهمّ عبد له بسرقة جواده ضرب « أبو الطيب » وجه ذلك العبد فقسمه . وفيه يقول :

أعددت للغادرين أسيافا
أجدع منهم بهن آنافا
إذا امرؤ راعني بغدرته
أوردته الغاية التي خافا

والحدث الثالث هو الذي كان فيه حتفه ، إذ خرج عليه بعض الفوارس فقاتلوه حتى قتلوه .

وإذن فلم يكن « المتنبي » مسعر حرب ، ولا بطل عراك ، وإنما هو رجل بعيد الهمة ، حديد النفس يلهج بالسؤدد والمجد ، ويطمع في الغلبة والسلطان . وهو نزاع إلى الحرب والضرب ، طموح إلى القتال والصيال . وعرف ذلك من نفسه منذ صباه ، ونادى بأن « المجد للسيف ليس المجد للقلم » ، ولكن الزمن لم يسعفه بما أراد ، والملابسات لم تواته بما أمل ؛ فظل ينفث أهواءه ونزعاته ترنيمات وأناشيد ، وبقي على تحنانه وتشوانه يلبس الدرع في غير حرب ، ويخوض الغمرات في الخيال والوهم ، ويحلم بأنه يعاقر المنايا ويقارع الكماة ؛ حتى صادف من « سيف الدولة الحمداني » الفارس المغوار مسعرا للحرب وبطلا للمعارك ، فتجرد له يصف وقائعه ويتمدح بانتصاراته ، يبرد فيها غليله المشبوب ، وينفس عن صدره المكروب . وكأنه يصف نفسه ، ويتغنى بما له من إقدام واقتحام ...

ما كان أشوق « المتنبي » إلى أن يصارع الأسد في الآجام . ولكن كفاه هذه المئونة « بدر بن عمار » أحد القواد وفرسان الحروب ؛ إذ خرج إلى أسد فظل يضربه بالسوط حتى مرغه بالتراب . وهنا يبرز « المتنبي » وقد سمع بما كان من مصرع الأسد على يد الفارس الشجاع . فإذا هو ينشد أبياته الرائعة في هذه الموقعة . وفيها يقول في وصف الأسد :

ورد إذا ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه إلا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا

فى وحدة الرهبان إلا أنه

لايعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثرى مترفقا من تيهه

فكأنه آس يجس عليلا

هذا « المتنبي » هو الذى يقول متحدثا عن بطولته :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والواقع أن الخيل والليل والسيف والرمح لم تعرفه مخاطرا بنفسه ، ولا مقارعا بسيفه ، يخوض المعامع ، ويغشى الوقائع . وإنما عرفته ناجيا ببدنه من طالبيه ، ملتمسا المهرب من سلطان لم يفز منه بطائل …

وهكذا تمخضت بطولة شاعر الملاحم الأكبر عن قوس تقطع ، وذراع تجرح ، ودم عبد يسيل بليل على شفرة الحسام الظامئ .

إلا أن شعر « المتنبي » فى الحماسة ، ووصفه للحروب ، سيلبث على وجه الدهر يسجل لصاحبه بطولة الشاعر الفنان ، لا بطولة الضرب والطعان … وكفاه .

* * *

والطريف أن « سيف الدولة » ـ الذى أوحت ملاحمه إلى « المتنبي » روائع القصيد ـ لم يؤثر عنه شعر فى هذه الحروب التى كان يتصلى بنارها ، ويكابد ما يكابد منها . على حين أنه كان أديبا له فى الشعر مشاركة ، وله بالنقد الأدبى بصر .

ذلك لأن « سيف الدولة » لم يكن ظامئا إلى رى المقال وفيض البيان ، فلديه من رى الفعال وصدق القتال شاغل عن شقشقة اللسان .

وأخيراً ، ها هو ذا الدكتور « محمد حسين هيكل » … نشأ فى أحضان الريف ، فلم تهزه مناظره وأخلاق أهله إلى الكتابة والتصوير ، وهو بين ظهرانيه مقيم : يصاحبه ويماسيه . ولكنه ما كاد يرحل عن وطنه إلى « باريس » ـ طالب علم ـ حتى دفعه حنينه إلى الوطن أن يتمثل ريفه ، على البعد .

وإذا هو يجد لذلك عذوبة لا تخلو من لوعة ، وإذا هو يكتب هنالك ـ فى ربوع الغرب ـ قصته « زينب » : باكورة القصة المصرية الحديثة .

فقد ظل تأثره بالريف واعتزازه بأهله كامنا فى خفايا نفسه ؛ حتى نأى عنه ، فتخايلت له أطيافه تثير فيه نوازع الحنين ، وتلهمه تلك القصة الفنية التى هى فى أدب العربية فتح مبين .

— ١٤ —

أما فى الآداب الغربية . فالأمثال كثيرة …

كان « شكسبير » ممن نجلتهم مهود خشنة ، وبيئات مجهودة . أبوه زارع غير ميسور . والشاعر يبدأ حياته سائس خيل عند باب المسرح . ثم يدخل المسرح ممثلا . ثم يكون مؤلفا مسرحيا يصور حياة الملوك والأمراء ، وهو من القصور بعيد . وقد مثل لنا مالم يشهد من الحياة الإيطالية والإيطاليين القدامى ، وكتب عن الإغريق والرومان ؛ فكان أعجوبة الدهر فيما كتب وفيما صور .

وهذا « تولستوى » يبدع فى وصف حياة الفقراء والمساكين فى كثير من تواليفه . وهو يومئذ من أهل الغنى والثراء .

وهنالك كتاب فنانون استغرقتهم حياة سادرة تنافى العرف الأخلاقى ، ولكنهم أجادوا فيما كتبوا عن حياة الفضيلة والطهر . فهذه « جورج صاند » ـ وهى من علية الكتاب الفرنسيين فى القرن التاسع عشر ـ ظلت تتنقل بين أحضان عشاقها من كتاب وفنانين ، تبيح لنفسها من الحرية مالا يباح حتى كانت تتخذ فى لبوسها زى الرجال . ولقد ألفت كتابها : « مستنقع الشيطان » ، تصف فيه الفضائل من : عفة وصون ووقار ، وتصور طهارة القلوب فى جوانب الريف ، وتنعى على حياة التهتك والغواية : تلك الحياة التى كانت تمارسها هى فى دنيا الناس . وما كانت لتجيد الوصف وتحسن التصوير ، لولا حنينها إلى الفضيلة التى أعوزتها ، ولولا رغبتها الكامنة فى أن تمارس الحياة التى حرمتها .

وها هو ذا « روبنز » المصور الهولندى كان من الساسة الأثرياء المترفين ، تبوأ المناصب السامية فى البلاط الإسبانى . ولكنه كان بجانب ذلك مصورا اشتهر بنزعته الصوفية الدينية ، وأكثر ألواحه تمثل مشاهد القديسين والقديسات ، وله روائع ألواح يصور فيها حياة البؤس والحرمان ، ويعبر فيها عن مشاعر الشعب وأحلامه وأمانيه ...

وكان « أندريه جيد » يجنح فى عقيدته إلى الإلحاد ، بل إنه لمغرق فى إلحاده .

وهو على الرغم من ذلك يتميز فى كتاباته بصوفية دينية سمحة ، وإشراق روحانى عجيب .

وقد كتب « تشارلس ديكنز » عن حياة الطفولة المشردة . فأحسن فيما كتب ؛ لأنه عاش هذه الحياة . وكتب كذلك عن السعادة الزوجية فأحسن فيها إحسانه فى وصف حياة الفاقة والتشريد . ولم يستوح حديثه عن السعادة الزوجية من بيته ، فقد كان أتعس زوج على ظهر الأرض . وإنما بعثته الرغبة فى أن يستكمل النقص فعاش فى قصصه يتخيل ما ضنت به الحياة عليه من سعادة الأزواج .

وكتب « دستويفسكى » يحلل نفسية « المقامر » فأجاد التحليل . لأنه كان من الملاعبين بالميسر . وكتب كذلك يحلل نفسية المجرم وما يعتلج فى نفسه من ندم ، ولم يكن الكاتب الروسى فى حياته من الجناة الآثمين .

وإنى أسوق هنا حديث اثنين من أعلام الموسيقى . أحدهما روسى هو « تشايكوفسكى » والآخر بولندى هو « شوبان » . كلاهما مخنث . الأول كان يخجله تخنثه وتمضه طبيعته النسوية فتحيل حياته جحيما من اللوعة والألم . ومن ثم اتصفت موسيقاه بالقوة والعنف . فعبر بذلك عما كان يعوزه من رجولة وفحولة . وأما الآخر فكان إلى تخنثه ينهكه مرض الرئة ، فانسابت موسيقاه رقيقة ناعمة تمثل لطف المنزع وعذوبة الروح . وكأنها صورة صادقة لطبيعته الهينة اللينة ، وشخصيته الرخوة الساكنة .

— ١٥ —

وفيما قرأت من بدائع القصص الأمريكى أقصوصة يصف فيها كاتبها الفترة التى تمر بالمشنوق بين بداءة الشنق وسكتة الموت وهى لحظات الاحتضار . وقد جاء وصف الكاتب رائعا يتجلى فيه إحساس غريب بحالة المشنوق فى هذه الفترة المرهوبة . وليس للقصة موضوع إلا تلك اللحظات الخواطف ، وهى أشبه بما نجده فى عالم الرؤى . إذ تتوالى علينا أطياف الأحداث تستغرق الشهور والسنين ، حافلة بكل عجيب . وهى حلم دقائق معدودات من حساب الزمن ... وما كنا لنظفر من الكاتب بهذا الوصف الرائع لو أنه كان قد شنق حقا وأحس بحالة المشنوق .

وأذكر أن الكاتب صور اللحظة التى يتم فيها انفصال العمود الفقرى عن الجمجمة بأن المشنوق يشعر كأن قنبلة انفجرت شديدة السطوع قوية الدوىّ ... وليس يعنينا أيطابق هذا الوصف حقيقة الشعور أو لا يطابقه . وإنما يعنينا أن الكاتب يجلو علينا صورة رائعة من شعور إنسانى توهمنا أنها هى الحقيقة فى تلك الفترة الحاسمة من حياة إنسان .

— ١٦ —

إننا حين ننادى بأن الحديث عن لون من الحياة مقصور على من يزاول هذا اللون ، فكأننا ننادى بأن الأعمال الفنية يجب أن تكون تراجم شخصية أو شبه تراجم ... وفى هذا حبس للفنان فى دائرة ضيقة . فهو لا ينطلق من عالمه ، ولا يحلق بأخيلته ولا تكون له حرية التمثل والتصور والاكتناه .

ولعلى لا أكون مسرفا فى القول إذا زعمت بأن الفنانين الذين لا يجيدون إلا أن يبسطوا تجاربهم ويعبروا عن حيواتهم هم فى الحقيقة فنانون محدودو المجال ، منقوصو الخيال ، لا تخفّ بهم عبقرية الإدراك والتصور إلى ما وراء الحدود المحيطة بهم ، فهم بين عباقرة السعة والشمول والتعمق أقزام بين العماليق .

— ١٧ —

الحق أن العبقرية لا تدع للفنان حدا يقف عنده .

لقد صور الفنان حياته بجوّده ، وصور حياة لا عهد له بها فأكدى ، وجمع فى فنه بين ما يعهد وما لا يعهد فما قصر فى هذا ولا فى ذلك عن المدى .

لقد مثل الفنان ما شهد وما لم يشهد ، وعبر عمن خالط ومن لم يخالط ، وجلا ما أحس وما لم يحس ، وتناول الحياة وما وراء الحياة ...

لم يعى بتصوير الحاضر ولم يقصر فى إحياء الماضى ، بل لم يعجزه أن يستشف الغد الجنين . بل لقد عرج إلى طباق السماء يتبين ما فيها من غيب مكنون ...

إنه دائب يحد بصره ، ويذكى بصيرته ، ويطلق مخيلته يكشف عن الطبيعة أستارها ،

ويستل من الحياة أسرارها ويستجلى من أوضاع المجتمع فى هـــذا الكون العريض كل جليل ودقيق .

— ١٨ —

أكذب شىء فى الفن هو التحديد ...

ولا أوهى من تلك القواعد التى تقام صلبة جامدة ، لا تلائم طبائع الحياة والأحياء ...

وإن النفس الإنسانية ـ وبخاصة تلك النفس التى تلهبها جذوة الفن المقدسة ـ لتكتنفهـــا الطلاسم والألغاز ؛ فتروعنا بعجائب المفارقات فيما يصدر عنها من آيات فنية مختلفة الألوان .

فما أكثر البواعث والدوافع ، وما أشد الحوايا والعقد فى بطائن الضمير ، وما أعصاها على التحليل والتخريج والتأويل !

وهى فى تشابكها وتداخلها تأبى أن تنقاد للحدود والقيود .

ولبـــاب الرأى أنه لا حجر على العقول والأذهان ، ولا قانون للميول والاتجـاهات .

وفى « صنـدوق الدنيا » متسع لأشتات المنازع الحافلة بالنقائض والأضداد .

وليس من ضير فى أن يكون لذلك كله متنفس فى هذا الوجود ، ولا مانع من أن يكون له نصيبه من الصدق والحق ، مادام الفنان بين واقعه وإلهامه مرهف الحس ، قوى المخيلة ، موفور الموهبة ، يستطيع أن يتصيد حقائق الحياة وبواطن النفوس وأن يبرزها فى صور من التعبير الفنى الرفيع .

أدب الهجاء ..

للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع

النقائض مجموعة عجيبة من القصائد الجيدة، موضوعها التهاجي بين فحول الشعراء . وقد بلغ بهم الإقذاع فى القول حد الإسراف المرذول . وإنا لنعجب كيف استساغ الناس فى صدر الإسلام هذا القول الشنيع، ولم يكن العصر عصر فحش أو إسفاف . وكيف استباح كبار الشعراء أن يستبوا بأقبح السباب وأن يرمى بعضهم بعضا بأرذل الصفات. وأن يأتى ذلك كله فى خير شعرهم وأروع قصائدهم . ولو أن ماقالوا كان أقله صدقا مابقى لهم شأن عند الأمراء أومقام عند الناس !

ولعل الناس فى عصر النقائض كانوا لايأبهون كثيراً للوقائع التى ترد فى شعر الهجاء ؛ بل كانوا يذهبون إلى (المربد) لا يلتمسون إلا الضحك والتسلية . ولم يكن يخطر لهم أن شيئا مما يقال يمكن أن يكون حقيقة واقعة . وكانوا يستمعون إلى أرذل السباب فيكتفون بالضحك وينصرفون وهم يقولون: «لقد أخزاهم قاتله الله» . مثلهم فى ذلك مثل الفرنسيين فى أغنياتهم الصغيرة التى يتناولون فيها كبار رجالهم بالهزء والسخرية ، دون أن يعلق بأذهانهم شىء مما يجىء فيها من وقائع. كذلك كانت حال الشعراء فى (المربد) . ولو أن عربيا ظن أن ما ينسب إلى أهله وقومه قد يؤخذ مأخذ الجد لكان نصيب القائل القتل لساعته .

وإذا كان التفاخر حملهم على ذكر الأيام والتحدث عن الأنساب وفضائل الآباء والأجداد، فإن حاجتهم إلى السخرية من أعدائهم حملتهم على تناول الأمور الجنسية فى صراحة مزعجة . وقديما عرف الناس أن أكثر ما يضحك السامعين يكون بالحديث عن مثل هذه الأمور . وعرف الشعراء العرب ذلك فأخذوا به ، وتبادلوا الحديث عن أمور جنسية على أنها أقرب السبل إلى إضحاك الناس من معارضيهم !

ولكن هل كانت لهم فى ذلك أصول مرعية أم كان الأمر فوضى تباح فيه الأعراض ، ويخالف فيه الواقع مخالفة واضحة الكذب ؟ وهل كان لهم من أنفسهم وازع ؟

الواقع أنهم كانت لهم فى هذه المباريات الشعرية قواعد مرعية شأن الناس فى كل المباريات. يحدث ذلك مثلا فى الملاكمة ، فإن الجاهل بها يظنها ضربات ليس لها ضابط ، على حين أن أهلها يعلمون أن لها أصولا لايصح أن يحيد عنها أحد من المتبارين .

ونحن إذا نظرنا إلى أساليب الهجاء وجدناها ثلاثة :

١ — منها مالا يكون قائما على ذكر عيب بعينه أو واقعة خاصة . بل يكون مرجع الهجو فيه إلى الأسلوب وحده ، مثال ذلك قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

إذ ليس فى هذا البيت ما يخجل منه نميرى ، ولكن كلمة « فغض الطرف » لها وقع أليم. وكذلك قوله :

إن الفرزدق والبعيث وأمه
وأبا الفرزدق شرّ ما إستار

هذا السرد يشعر بالمهانة ، وإن لم ينسب إليهم عيبا خاصا . وجرير أقدر الناس على هذا النوع من القول .
وقد أحسنه فى المديح أيضا حيث يقول :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح ؟!

هذا أسلوب برىء لاعيب فيه ، والهجو فيه أدنى عالص .

٢ — ومن الهجاء ما يكون مرجعه إلى صورة مخزية مضحكة . وجرير سباق فى هذا النوع من القول كما هو فى النوع الأول . انظر إلى قوله :

والتغلبى إذا تنحنح للقرى
حك استه وتمثل الأمثالا !

كان جرير معجبا بهذا البيت . ولم يعجبه منه أنه ألصق بالتغلبيين مسبة البخل . بل أعجبه منه أنه يمثل صورة مضحكة ، فقال مشيراً إلى هذا البيت : « إن أحدهم لو طعن بالرمح فى هذا المكان من جسمه ما استطاع أن يحكه بعد أن قيل فيهم هذا البيت » . ومن شر أنواع هذا الأسلوب قول من قال :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهمو
قالوا لأمهمو : بولى على النار

ولا أعلم صورة أقبح من هذه الصورة التى تتمثل فى عجز هذا البيت ، ولا تقاس بشناعتها مسبة البخل !

ولبشار ولع بمثل هذا النوع من الهجو . وبلغ من إجرامه واستهتاره أن قال بيتا فيه صورة مخزية . ولم يكن أمامه من يلصقها به فنذرها لأول قادم ! !

٣ — على أن أشهر أساليب الهجاء ما ينسب فيه الشاعر إلى غيره صفة سيئة أو عملا قبيحا . والذين ينسبون إلى غيرهم وقائع تخزيهم لا يجدون أمامهم إلا أحد سبل ثلاثة :

يسبونهم بما ليس فيهم ، وهو لؤم .
أو يسبونهم بما يمكن أن يكون فيهم ، وهو نذالة .
أو يسبونهم بمالا يمكن أن يكون فيهم ، وهو أقل أنواع الهجاء مساسا بالمهجو وأشرفها بالنسبة للشاعر . وإن كان ذلك يحمله فى الواقع على الإسراف والإقذاع .

وكأنما اتفق الشعراء على ألا يسب بعضهم بعضا بما فيهم ولا بما يمكن أن يكون فيهم من عيب . ولعلهم كانوا يعدون ذلك جهلا بأصول أدب الهجاء ، كأن ذلك يكون — على حد تعبير الملاكمين — ضربة تحت الحزام لا يقرها أهل الفن !

والأدلة على ذلك كثيرة. من ذلك أن «عطية الخطفي» كان بخيلا مسرفا فى البخل ، وأن ابنه جريراً نفسه شهد عليه بذلك. ولم يكن هذا البخل موضع هجو خاص يهجو به الشعراء جريراً . وكان الفرزدق حصورا ، فلم يسرف أقرانه من الفحول فى ذكر ذلك عنه ، إنما عابه به من الشعراء من هم أقل منهم قدراً ، وأجهل بأصول التهاجي . ولنذكر أن من قال هذا البيت فى الفرزدق :

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا
ولو رضيت رمح استه لاستقرت ،

لم يكن من فحول الشعراء .

ومن ذلك نرى أن كبار الشعراء فى صدر الإسلام أبوا أن يتناول بعضهم بعضا بما يمكن أن يكون فيهم حرصا على كرامتهم ، ورأوا أن أشرف الهجو بالنسبة إلى القائل إنما يكون حين ينسب إلى معارضيه أموراً لا يمكن أن تكون حقا .

والذى يتهم الناس بما فيهم ، أو بما يمكن أن يكون فيهم ، وهم منه بريئون ، يؤلمهم . أما الذى يتهمهم بما لا يمكن أن يكون فيهم فظلمه لهم أخف وقعا ، وكذبه عليهم أهون ، واحتقارنا له أقل . والقول الواضح الشطط لا يؤخذ مأخذ الجد .

فهم بذلك وضعوا أصلا من أصول الهجاء ، وهو أن أشرفه ما تنسب فيه إلى الرجل أموراً لا يمكن أن تكون فيه . ولم يكن غرضهم من الإقذاع أن يحطوا من قدر زملائهم ، وإنما كان غرضهم التسلية والتسابق والإبداع فى القول .

بمثل هذا التفسير يستقيم لنا فهم أصول أدب الهجاء عامة والنقائض خاصة . ومنه يتبين أن الإسراف فى الإقذاع لم يكن من شأنه أن يحط من قدر الشاعر أو المهجو . بل لعل هذا الإقذاع نفسه كان حماية للمهجو من أن يظن الناس أن هذا الذى قيل فيه يمكن أن يكون صحيحاً . ولا نزاع أنه إذا كان حتما أن يهجو الرجل الشريف شريفاً آخر فخير ما يقول فيه أن ينسب إليه مالا يمكن أن يكون فيه ...

عبد الله النديم ...

بحثان عنه فازا بجائزة المجمع ...

يقدمها الأستاذ إبراهيم مصطفى عضو المجمع

من بين المسابقات التى عقدها المجمع لتشجيع الإنتاج الأدبى مسابقة كان من موضوعاتها : ترجمة عن السيد عبد الله النديم أو محمود سامى البارودى ، من حيث حياة كل منهما وآثاره الأدبية ، وأثره فى عصره وفى الأدب العربى ، جعل جائزتها مائتى جنيه مصرى ...

وتلقت لجنة الأدب فى المجمع عدة رسائل فى ترجمة هذين الأديبين ، ظفرت منها بجائزة المجمع رسالتان عن السيد عبد الله النديم : إحداهما للأستاذين محمد عبد الوهاب صقر وفوزى سعيد شاهين (وقد نالا جائزة قدرها مائة وعشرون جنيها) ، والأخرى للأستاذ نجيب تاوفيلس (وقد نال جائزة قدرها ثمانون جنيها) .

وأعلنت هذه النتيجة فى حفل أقيم بدار المجمع فى ٣٠ من مايو سنة ١٩٥٤ شهده مع أعضاء المجمع كبار رجال الدولة ، والأدباء ، والعلماء ، والصحفيون .

وقدم الأستاذ إبراهيم مصطفى عضو المجمع هذين البحثين بكلمة ننشرها فيما يلى :

هذا موسم من مواسم الأدب يقيمه المجمع كل عام ، يلتقى فيه ببعض الكتاب ويستعرض ما يرد إليه من آثارهم فى موضوع دعاهم إلى التسابق فيه .

وإنه ليتلقى هذه الآثار راضيا مغتبطا بما يرى من نشاط الأقلام واتساع مدى التفكير وحرص على صحة المنهج ، سيما ما يجد فى الأقلام الناشئة التى تعدو بنبوغ طامح والتى تتوثب إلى غايات سامية .

وللنبوغ العادى جمال مبهج كبهجة الصباح حين يتبسم مبشراً بموجات الضياء . والشاعر يقول :

... «والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل»

ولا أقر ما يقول وأنا أرى فى رأد الضحى من الحركة والنشاط واستقبال الحياة غير ما أرى فى الطفل من السكون والهمود والعشوة واستقبال الظلام . إن فى بدء الحياة لبهجة يحدث بها الفجر إذا تنفس ، والزهر إذا تفتح ، والربيع إذا أقبل ، والقمر إذا أهلّ .

وإن الكتاب ليهدون إلينا بما يقدمون من أعمالهم حظا عظيماً من الاغتبـاط والبهجة ولكننا لا نملك أن نجزيها كلها ، وما دام فى الأمر مسابقة فلابد من سابق ومسبوقين . حتى الجوائز التى عطلت هذا العام تقدمت لها أعمال تشهد

بالجد ولكنها على غير ما رسم المجمع وفوت ما أراد. وقد رغب المجمع منذ سنوات أن يوجه أقلام الكتاب إلى موضوع من البحث أهمل، بل قصد إلى نسيانه وإلى تحريف الحقائق فيه: هذا الموضوع هو تاريخ وطننا فى الحقبة السابقة لعصرنا والمتصلة بنا والسارية أصولها فى حياتنا، وهى فترة مجيدة صارعت مصر فيها دولا عادية قوية أرادت إلى قهرها، فجاهدت وصابرت وانتصرت وهى عزلاء والدول العادية مدججة بأنواع السلاح وبوسائل أشد خطرا من السلاح.

خلصت من الترك وطردت الفرنسيين وزحزحت الإنجليز. وفى الأرض أمم لاتزال تترنح فى يد عدو واحد من هؤلاء.

جهاد رائع بارع أريد أن ينسى وأن يهمل رجاله وكادت تطمس معالمه.

وأراد المجمع أن يدير أوجه الكتاب ليلقوا بأبصارهم إلى هذا الميدان وليذكروا رجاله، وخاصة من كادت تفوت معالم تاريخه.

وفى سنين متتابعة جعل المسابقة فى تاريخ رفاعة الطهطاوى - والمرصفى - والشديانى - والسيد المرتضى الزبيدى - والبارودى - والنديم - والجبرتى.

وظفر فى هذا العام أو ظفرنا نحن برسالتين قيمتين فى ترجمة النديم.

إحدى الرسالتين تعاون فى كتابتها الأستاذان محمد عبد الوهاب صقر وفوزى سعيد شاهين والرسالة الثانية كتبها الأستاذ نجيب تاوفيلس.

وتتساير الرسالتان فى منهج البحث وفى وفرة المراجع وفى حسن الانتفاع بها. وفيهما استقلال فى الرأى معجب، نرجو أن يتسع الوقت فيما بعد لمناقشة شىء منه.

وقد تكون رسالة نجيب أوسع وأجمع، ورسالة الأخوين أنصع عبارة وأسلم من لحن.

وفى كل من الرسالتين من روح النديم ونور إخلاصه ما يدعوك إلى القراءة حتى تنتهى.

النـــــديم

والنديم نشأ صبيا فى أسرة فقيرة. هاجر أبوه من الشرقية إلى الإسكندرية طلبا للرزق، وتعلم النديم فى المكتب. ثم فى جامع الشيخ بالإسكندرية - وهو فيها نظير الأزهر بالقاهرة - ولم يجد فيما تعلمه ما يعينه على طلب القوت، فتعلم الإشارات البرقية ووظف بمكتب القصر العالى حيث تقيم أم الخديو اسماعيل - وكان أمر القصر وموظفيه إلى خادمه المرحوم «خليل أغا». وكان فيه تجبر الخادم المسلط فلم يحتمله النديم وترك عمله واشتغل تاجرا ومدرسا خاصا، ثم فتح مدرسة وجعل فيها مجتمعا للخطابة، واتصل بالصحافة. وبدا إخلاصه وفضله فيما يعلم بالفصل وفيما يخطب فى المجتمعات، وفيما يحرر من فصول تنشر فى الصحف.

وجاءت الثورة العرابية فكان خطيبها وداعيتها وركنا وثيقا من أركانها، بدت

فيها قوة نفسه وقوة رأيه وقوة بيانه . وندب ليرسل إلى الخديو توفيق ليقنعه بأمر فشل فيه غيره.

وفى طريقه علم أن الكارثة تمت والحرب انتهت فعاد إلى داره وخرج منها متخفيا. عصب عينيه وأرسل لحيته وبدل ثيابه ودب على عكازة طويلة بيده ، وبقى مختفياً نحو ثمانى سنوات والحكومة تلح فى البحث عنه وتقدر الجزاء لمن دل عليه . وهو فى اختفائه يدرس ويؤلف ويحتال للحكومة فى تضليلها حتى استطاع أن يعلن فى صحف فرنسا أنه فر من مصر ورئى خارجها ، وصدقت صحف مصر واستشاطت الحكومة لذلك غيظا .

فى هذه الرحلة وحدها التى تجاوزت ثمانى سنين آيات من الجهاد شاهدة بصدق الوطنية للنديم ولكل من آواه وأعانه من المصريين .

أقام مرة عند أحد الشيوخ بالريف وطاب له المقام فأطال . وتوفى الشيخ فأحضرت زوجته أكبر أولادها وقالت له : « ترك لك أبوك عز الدنيا والآخرة وهو أن تحتفظ بصداقة هذا الشيخ كما احتفظ أبوك . »

وأحس شدة المراقبة يوما فأراد أن ينتقل . وما سار طويلا حتى لقيه المأمور والعسكر فدعاه المأمور إليه وأمر العسكر أن يتقدموا . فلما خلا به سأله : من أنت ؟

حاول النديم أن يضلله فقال المأمور :

« أنت عبد الله النديم وأنت طلبة الحكومة وطلبتى وسأربح بك رقيا ومالا يحتاجه أولادى ، وواجبى أن أسلمك ولكن واجباً أعلى يدعونى أن أخلصك ، فانج بنفسك . »

ودله على طريق نجاة بعيدة من الطلب ، وقدم له كل ما فى جيبه وهو ثلاثة جنيهات .

ولما أبى النديم قبولها قال له :

« إن قبول هذا المال هو جزائى لنجاتك . »

ومضت الأيام وعفى عن النديم فعاد إلى سيرته الأولى من الدعوة إلى الحرية . وإلى الإصلاح حتى ضاق به الإنجليز فأخرجوه من مصر ، وبقى مجاهداً للحرية ولمصر حتى النهاية ، وكانت فى القسطنطينية عند حبيبه وأستاذه جمال الدين.

هذا هو الهيكل العظمى أو أقل من حياة النديم ، وهى مفصلة فى الرسالتين .

وللنديم فلسفة واضحة وطريق الإصلاح محددة فى السياسة وفى الاجتماع حتى فى الاقتصاد وترجع كل مبادئه إلى أصل واحد : هو التعليم . وقد كان هو معلما فى مدرسته وفى خطبه وفى صحفه ، وكان ينشئ الفصول فى صورة حوار بين أستاذ وتلميذه . وكان يكتب أحيانا بالعامية ليعلم العامة .

وكان يحرص على أن يتعلم الناس الكرامة والعزة والحرية، وأن يخلصوا فى الإيمان بربهم ووطنهم وبأنفسهم وهو القائل :

أرونى أمة بلغت مناها
بغير العلم أو حد اليمانى

وحد اليمانى لا يقوم إلا بالعلم أيضاً .

وكان ناموسه فى دعوته « الاتحاد والعلم والعمل » (١١٦ رسالة صقر) .

وبما تقرره الرسالتان :

١ ــ أن النـــديم أول من نادى بالمبدأ السياسى القائل « مصر للمصريين لا الأتراك ولا للإنجليز » .

٢ ــ وأنه أول من حرر الكتابة من قيد السجع وأنواع الحلية اللفظية وأوجب أن ترسل اللغة حرة خالصة للإفهام .

٣ ــ وأنه أول من سن التسامح الدينى وتوسع فيه .

وفى بعض هـذا سبيل للمناقشة . وقد كان النديم يدعو إلى هذا . أما أوليته فيها جميعها فإنها محل البحث . ومهما أذكر من حسنات الرسالتين فلا أستطيع أن أسكت عن عيب بدا نادراً فى رسالة الأخوين وغير نادر فى الرسالة الثانية . وذلك العيب هو الأخطاء اللغوية . ولكنا حملناها على التسامح ، وقد يكون من عملهم وقد لا يكون، ولكنا على كل حال لا نرضى أن تنشر الرسالتان وفيهما شىء من هذه العيوب ، ويعنينا أنها لن تكون .

وبعد فإنى أهنئ المؤلفين وقد أحسنوا حقا وقرر المجمع أنهم أحسنوا واستحقوا أن يجازوا

ونرجو أن يكون ذلك منهم بدء الإحسان فقد أصبح لهم مزيد اختصاص بترجمة النديم وعليهم أن يكملوا ويتموا ما خفى من سيرته : أسرته ـ داره ـ الدور التى اختفى بها ـ ما ترك من أثر مخطوط بيده ـ تفصيل مبادئه . وقد كان كل ما كتبوا مأخوذاً مما كتب غيرهم فهم مصدر ثان . وكان يمكن أن يكونوا المصدر الأول فى بعض الحقائق ولو بسؤال من بقى من أهله .

إن حياة النديم وأيامه لجديرة أن تكون مصدر وحى لكتابنا إذا استلهموها . وإنه لمصدر غزير بالإلهام لمن شاء أن يستوحى .

إنا لنطمع أن نقرأ قريباً رواية أو روايات تمثيلية أو قصصية من أقلام كتابنا أمثال الحكيم وتيمور وأبى حديد وعزيز وبيرم وغيرهم من الأدباء وكتاب السينما .

إنهم ليجدون فى حياة النديم موضوعا يمتلئ بالحركة وبتنويع الصور وبالتأثير فى النفوس .

إنه يمكنهم أن يعرضوا الإسكندرية أيام نشأته فيها ، بثيابها ذات السراويل والصدريات المضاعفة الأزرار ، ولغتهم القوية الخشنة .

الفــرزدق !

للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع

يرى علماء التحليل النفسى أن شيئاً لا يحدث فى عالم النفس عفواً ، وأن الأعمال التى تتعلق بالنفس لابد لها من سبب ، إن لم يكن ظاهراً فهو كامن فى أعماق النفوس يظهره التحليل . فالرجل الذى ينسى اسم صديق له ، والذى يسبقه لسانه إلى خطإ غير مقصود ، والرجل الذى يختار عدداً بعينه حين يطلب إليه أن يختار عدداً ما : كل هؤلاء لا يفعلون ذلك عفواً . والآثار الأدبية عامة والشعر خاصة من أدق الظواهر وأدلها على تلك الأعماق . ولا ترجع الدلالات فى الأعمال الفنية إلى موضوعها — فهذا لا شأن له بالبحث التحليلى — وإنما ترجع إلى صفات أخفى . وغاية التحليل النفسى تتبع الأسباب النفسية الخفية التى تصدر عنها مافى هذه الآثار الأدبية من مميزات .

وقد سبق لى أن حاولت تناول بعض شعرائنا ببحوث من هذا الطراز . وبدأت بالتعقيد عند «المتنبى» من حيث هو ظاهرة نفسية تحتاج إلى تفسير .

واليوم أريد أن أتناول شاعراً آخر هو « الفرزدق » . وأردت أن أجد تعليلا لإسراف «الفرزدق» فى مقذع القول وغلوه فى ذكر أمور جنسية فاحشة ، وما يمكن أن يكون لذلك من دلالات نفسية .

فى حياة «الفرزدق» وشعره كثير مما يحتاج إلى تفسير . ولا أعلم أن أحداً من الشعراء بلغ ما بلغ « الفرزدق » من ظلم لنفسه . فقد اتهم نفسه بالفسوق وأعلنه على رءوس الأشهاد . ووصف فى شعره ألواناً من الفجور ، وطائفة من العادات تأبى الطبيعة البشرية السليمة تصورها ، بله مقارفتها . ولا أظن أن العرب فى ذلك العصر كانوا يعرفون هذا الإبداع فى المجون ؛ بل لعل غيرهم لم يعرفه إلا فى العصور الحديثة ، فى أمم أغراها بمثله طول عهدهم بما فى الحضر من عوامل الإرهاق ، والبداوة العربية إذ ذاك فتية وسليمة لا قبل لها بهذا الافتنان فى العهر .

ولم يسبق « الفرزدق » فى هذا المجال إلا «النابغة» . على أن «النابغة» إنما وصف أمراً طبيعياً . أما « الفرزدق » فالخيال المريض فيه واضح .

وعندى أن « الفرزدق » كان حصوراً ، وكان هذا العيب فيه معروفا ، تحدث به الناس . وإن يكن رصفاؤه لم يذكروه فى النقائض . وهذا منهم عرف عقدوا عليه أمرهم ؛ فهم لا يذكرون ما فى خصومهم من العيوب الحقة . على أن غير رصفائه من الشعراء ذكروه . وكلنا يذكر قول القائل :

« لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً » .
وعلل ذلك فى عجز البيت تعليلا ليس فيه غموض ولا لبس ولا كناية . وذكره بعضهم للفرزدق نفسه فى حديث جاء فيه : « لولا أنى أعلم أن زوجك منك بكر ...... »

وفى حياة « الفرزدق » وشعره ما يدل على أنه تأثر كثيراً بهذا العيب وساءه كثيراً معرفة الناس إياه ، وقضى شطراً كبيراً من حياته يحاول إنكاره ؛ فقص قصصا كثيرة عن نفسه يثبت فيها ما أنكره الناس ، وقال شعراً كثيرا ينفى فيه عن نفسه ما كان يعلمه من ضعف ؛ فلم يزده ذلك فى رأيى إلا ثبوتاً .

ومن المعروف عمن بهم مرض «الفرزدق» أنهم يجاهرون بالفسوق ، ويعنيهم أن يذاع ذلك عنهم . وتراهم يفاخرون به فى غير احتشام .

وليس إسراف « الفرزدق » فى الوصف الدقيق للفحشاء غريبا عن أمثاله . ويذكرنى أمره بالماركيز « دى ساد » . فقد كان مصابا بداء «الفرزدق» . فلما سجن فى «الباستيل» هيأ له خياله المريض ألواناً من الشذوذ الجنسى أصبحت تعرف من بعده باسمه ، مما لا يخطر كثيراً على بال الأصحاء . ومن ذلك وصف « الفرزدق » للأمور الجنسية وصفاً لا يتفق إلا للخيال الذى أفسده الضعف وأرهقه اليأس .

وليرجع إلى ديوانه من أراد على ذلك دليلا ، فإن فيه قصيدة منها :

وإن هجاء الباهليين دارما
لمن عجب الأيام ذات العجائب !

يرى فيها القارئ وصفا للمهجو وأمه ومعهما « الفرزدق » على حال من العهر لا تخطر إلا على بال رجل مريض . وفى أخباره الكثير من الحوادث العجيبة ، وكلها من هذا الباب .

ومن ذلك قوله عن « جرير » :

«ما أحوجه ـ مع عفافه ـ إلى جزالة شعرى ،
وما أحوجنى ـ مع فسوقى ـ إلى رقة شعره . »

وهى كلمة عجيبة جداً ؛ فالفرزدق أعلم بالشعر من أن يجعل بين الفسوق ورقة الشعر سبباً ، أو بين العفة والجزالة صلة ، ومن شعر الزهد ماهو رقيق . وكثير من شعر الماجنين ماهو جزل .
وقبله كان « طرفة » جزل الشعر وهو ماجن فخور بمجونه . و «عمرو بن كلثوم» سلس فى معلقته وهو لا يعدّ فى الماجنين .

كلمة « الفرزدق » هذه واضحة الخطإ .
وحقيقتها لا تتبين إلا إذا ذكرنا ما كان عند « الفرزدق » من ضعف . فهو إنما أراد أن يقول : ليت الجزالة دليل على القوة وليت الرقة دليل على الضعف . ثم خلط ــ عن قصد أو غير قصد ــ بين القوة والجزالة وبين الضعف والرقة .

وهو أقل شعراء عصره نسيبا . وأكثر قصائده بتراء ينقصها النسيب الذى تعوده شعراء عصره . ولم يكن ذلك منه تجديداً ، بل كان أثراً من آثار ضجره بالنساء وضيق عطنه

بذكرهن . فلم يكن يلذه أن يشبب بهن فى مطلع قصائده .

أما حديثه مع ابنة عمه «النوار» فهو جدير بالدرس لدلالته على نفسيته : كانت «النوار» سيدة شريفة جميلة وكان لها كفئا . ولم يكن فى حاجة إلى هذه المكيدة النكراء ليتزوجها . وما كان عليه إلا أن يخطبها صريحا . وكان طبيعياً أن تفضله على غيره ، وأن تتبع نصيحته التى قالها لها فيما بعد حين قال :

هلمى لابن عمك لا تكونى
كمختار على الفرس الحمارا !

وليس هناك إلا تفسير واحد لهذه الحادثة الفذة . وذلك أنها كانت تعلم عنه الشىء الكثير . وكرائم السيدات لا يأبين أن يتندرن على أقرباتهن فى هذا الباب ، فى رفق وأدب . ولعلها كانت تظن أنه لن يجرؤ على أن يطلب يدها وهى بدائه عليمة . ولعله كان يعلم أنها لن ترضى به أبداً ، فخان عهده وزوجها من نفسه فغضبت وأعلنتها عليه حرباً شعواء . وتحدث «الفرزدق» بعد ذلك كثيراً عن فتوته وقوته مما لم يكن فى حاجة إليه لولا أنه كان يريد أن ينفى عن نفسه أمرا عرفه الناس جميعا . وفى سبيل هذا النفى ادعى عليها وعلى غيرها من نسائه اللائى هجرنه واحدة بعد أخرى أنهن مخطئات . فكيف يهجرنه وقد فعل بهن كذا وكذا . وهو تفاخر أجوف فيه كل دلائل الكذب والخداع .

ومن أعجب وقائع «الفرزدق» وأدلها على ما بلغه من شذوذ نفسى أصله هذا الداء ، ما رواه عن نفسه فى قصيدته الفائية . فقد ادعى أنه أحب امرأة متزوجة فدعا الله أن يصيب زوجها بزمانة تدلهه عنها . وحدث أن أصيب الزوج بمرض فى عينيه . وادعى «الفرزدق» الطب واستمر يداويه عامين وهى قريبة منه يتمتع بها ويختلس القبلات ، وذلك حيث يقول فى قصيدته التى مطلعها :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف
وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وهى قصيدة جيدة جداً سوى أن فيها :

دعوت الذى سوّى السماوات أيده
ولله أدنى من وريدى وألطف
ليشغل عنى بعلها بزمانة
تدلهه عنى وعنها فنسعف
بما فى فؤادينا من الهم والهوى
فيبرأ منهاض الفؤاد المسقف
فأرسل فى عينيه ماء علاهما
وقد علموا أنى أطب وأعرف
فداويته عامين وهى قريبة
أراها وتدنو لى مراراً فأرشف

وفى هذا القول ألوان من الانحطاط تزيدنى شعورا بأنه ادعى الطب فى سبيل غرضه المنحط . وكنت حريا أن أعد «الفرزدق» أسفل الناس خلقا لولا أن الأمر كله اختلاق محض ، ولم يقع له شىء مما جاء فى القصيدة ؛ وإنما هى

أمنية صورها له خياله المريض على أنها حقيقة وقعت فعلا . وفى بجرد تصوره هذا مسبة له . والقصيدة جيدة، وهذه الأبيات أضعف مافيها. وكان يصح أن نعدها منحولة، سوى أنى أعتقد أنه كان يرزح تحت عبء ثقيل : عبء الاختلاق والادعاء والخداع . فكان خليقاً أن يكون شعره مضطربا ضعيفا مما يدل على أنه كانت فيه بقية من ضمير .

وكان «الفرزدق» يعلم أن «امرأ القيس» لم يكن خيراً منه كثيراً . ولكنه كان يحسده على توفيقه فى مغازلة النساء . وكان يمنى نفسه أنه يستطيع أن ينعم بهن كما كان ينعم « امرؤ القيس » . ولكنه نسى أن «امرأ القيس» كان ابن ملك وكان مغرماً بالنساء خبيراً بهن ، فكن يقبلن عليه حتى يتبين لهن ما يزهدهن فيه . أما « الفرزدق» فلم يكن له نصيب من هذا الإقبال . وادعى أنه أراد أن يمثل معهن يوم « دارة جلجل» . وكان يحسب أنهن سيقبلن منه هذا المزاح كما قبلنه من « امرئ القيس » . ولكنهن رمينه بالطين وسخرن منه ، فعاد يلعن يوم « دارة جلجل » !

وثمة أربعة من كبار شعراء العرب لهم مع النساء شأن ، ولهذا الشأن أثره فى حياتهم وشعرهم، وهم : « الفرزدق » و «امرؤ القيس » و « جرير » و « بشار » .

أما «بشار» فكانت له بنفسه ثقة فى هذا الباب لم يؤتها كثير من الناس ، وكان فاجراً قادراً .

وله فى ذلك شعر كثير لا يصح ذكره هنا . وقوله عن نفسه صدق من غير شك . وهو فى تفاخره يختلف اختلافا بينا عن تفاخر « الفرزدق » . وحسبنا دليلا على ذلك قوله :

«عسر النساء إلى مياسرة
والصعب يمكن بعدما جمحا»

أما «جرير» فقد اشتهر بالعفة . ولا أحسبه اشتهر بالزهد . ولست أرى إلا أنه كان شديد الرغبة فى النساء ، ولا أرى فى شعره ما يسمى عفة إلا أن يكون كل ما يراد من هذه الكلمة أنه لم يأت محرماً . ورأيه فى النساء رأى الرجل البدائى ، يرى أنهن لا يصح أن يكون لهن رأى فى نفسهن . وكان يرى أنهن إذا تأبين ، فلهن عنده لجام الجوامح ، وهو سوط أعده لهذا .

وكان يعرف أن للشباب عليه فضلا فى هذا ، ولكنه لم يكن يعد ذلك سبباً فى جموح جاريته . وحديثه مع هذه الجارية يدل على نفسيته تماما . قال فيها :

«إذا ذكرت زيدا ترقرق دمعها
بمطروقة العينين شوساء طامح
تبكى على زيد ولم تر مثله
صحيحا من الحمى شديد الجوانح
أعزيك عما تعلمين وقد أرى
بعينيك من زيد قذى غير بارح
فإن تقصدى فالقصد بعض خلائقى
وإن تجمحى تلقى لجام الجوامح»

وقد حمله زيد هذا عناء كثيراً . قال فيه :

« تكلفني معيشة آل زيد
ومن لى بالصلائق والصناب
وقالت : لا تضم كضم زيد .
وما ضمى وليس معى شبابى ! »

و « جرير » فى هذا رجل طبيعى يحب النساء حبا واضحاً ، ولكنه كان بريئا من كل عقدة نفسية — كما يقول المحدثون — ولم يكن ذا حذق أو فن . ولم يفهم فى النساء فهم « بشار » ، ولم يكن يفهم مياسرتهن وعسرهن . فكلهن عنده سواء ، يجب أن يخضعن لرغبته ؛ فإن أبين فلهن منه علاج هو السوط !

أما « امرؤ القيس » فكان دون ذلك كثيرا . وقيل فى ضعفه الشيء الكثير . بل إن إحدى النساء حددت ضعفه تحديداً يعرفه الناس جميعا . ولكن ذلك لم يخلق فيه ما خلق فى « الفرزدق » من أمراض نفسية . فكان غزلا بطبعه ، وكان يحب منهن مجلسهن ومزاحهن . وكان على العكس من « بشار » يرى أن مياسرتهن إلى عسر .

أما « الفرزدق » فكان ضعفه هذا مصدر اضطراب واضح فى حياته وفى قوله . ولم يعلم عن النساء مياسرة قط . بل كانت حياته كلها خلافا معهن على كثرة ما عرف منهن ؛ فقد هجرنه جميعاً .

ولا أريد أن أقسو على « الفرزدق » أكثر مما فعلت . ولكنى أعتقد أن مرض « الفرزدق » هذا كان سبباً فى كثرة حديثه عن الجنس وكثرة ما فى قوله من فحش يدل دلالة واضحة على خيال مريض .

« كتاب النيروز » بزنة فيعول

للأستاذ محمد رضا الشبيبى (١)
عضو المجمع

هذا بحث طريف من إملاء الشيخ الأديب اللغوى أبى الحسين أحمد المعروف بـ « ابن فارس » مصنف كتاب « الصاحبى » وكتاب « مقاييس اللغة » وهما من كتبه النفيسة التى طبعت فى مصر. وقد أراد « ابن فارس » فى كتاب « النيروز » أن يجمع ما ورد من كلماتهم على زنة « فيعول ».

ربما كانت هذه الكلمات كلها أو بعضها مأنوسة أو مألوفة يستساغ اصطناعها فى الشعر وغيره، وذلك فى عصر الأمويين، أو فى الشطر الأول من عصور الدولة العباسية.

على أن الأمر ليس كذلك فيما تلاها من العصور إلى هذا اليوم، فإننا لا نستسيغ التقعر والإغراب فى الشعر والنثر. إننا لا نجد فى شعر الفحول من شعراء مصر والعراق والشام من الكلمات الواردة فى كتاب « النيروز » إلا قليلا، بل إننا لا نجد من هذه الألفاظ إلا ما قل فى شعر « أبى تمام » و « البحترى » و « المتنبى » و « الشريف الرضى ». فإذا قيل: ولماذا إذن يعنى « ابن فارس » بتدوين هذه الكلمات؟ قلنا: إنه يجرى فى هذا الباب على مذهب معروف لأئمة اللغة الأقدمين.

كنت نزيل « دمشق » فى أعقاب الحرب العامة الأولى أى قبل أكثر من ثلاثين عاما، وقد أظفرنى البحث فى « الخزانة الظاهرية » بجملة من المجاميع النادرة والمخطوطات النفيسة من ذلك الجزء الرابع من تلخيص « مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب » لمؤرخ العراق « عبد الرزاق ابن أحمد الشيبانى » المعروف بـ « ابن القوطى » المتوفى سنة ٧٢٣ هـ. ولى دراسة مبسوطة عن هذا المؤرخ وعن تاريخه تنشر الآن فى العراق عنوانها: مؤرخ العراق: « ابن القوطى ».

ومن المجاميع التى ظفرت بها فى تلك الخزانة مجموعة مخطوطة رقمها (٩) فى آخرها قراءات لجماعة منهم « بهاء الدين أحمد » ابن القاضى الفاضل « عبد الرحيم » المترسل المصرى المشهور فى ديوان « صلاح الدين الأيوبى ». وتاريخ القراءة سنة ٦٤٠ هـ. وتشتمل هذه المجموعة على جملة من الرسائل بعضها من إملاء « ابن فارس » مثل كتاب « السلامات » وكتاب « النيروز » وهذا هو نص ما أملاه فى كتاب « النيروز » ننقله بتصرف قليل لا يعدو حذف الأسانيد وبعض الشواهد وما إلى ذلك.

قال الشيخ « أبو الحسين أحمد بن فارس » رحمه الله: « سألت أعزك الله عن قول الناس: يوم « نيروز » وهل هذه الكلمة عربية، ولأى شىء وزنها؟

ولتعلم أن هذا الاسم معرب. ومعناه اليوم الجديد، وهو قولهم نوروز. إلا أن النيروز أشبه بأبنية العرب لأنه على مثال « فيعول ». والذى

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة السابعة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين.

جاء من الأسماء العربية على « فيعول » قليل . وإنى أذكر ما حضرنى ذكره .

فأول ذلك :

أيلول :

وهو اسم شهر غير عربى . وفيه يقول القائل :

مضى أيلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور .

بيروت :

اسم بلد .

البيقور :

جماعة البقر. يقال بقر وباقر وبيقور .
قال الشاعر :

أجاعل أنت بيقورا مسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر !

فالبيقور : جماعة البقر . وفى ذلك يقول « الورل الطائى » :

لادرّ درّ رجال خاب سعيهم
يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعل أنت بيقورا مسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر .

التيهور :

ومن ذلك التيهور وهى الرملة المشرفة .

ويقال : بل المفازة المجهل .

التيقور .. الحيزوم .. الخيشوم

والتيقور من الوقار . والحيزوم هو الصدر وما ضم عليه الحزام . وجمعه الحيازيم . تقول : اشدد حيازيمك للأمر ، أى استعد له .

و« حيزوم » يقولون اسم فرس « جبريل » وكان عليه « يوم بدر » ، فقال بعض من حضر القتال : « اعتليت على جبل مشرف فنشأت سحابة فسمعت قائلا يقول : « أقدم حيزوم . » فانخلع قلب صاحبي فمات . ومن ذلك الخيشوم وهو الأنف .

الديبوت :

ومن ذلك الديبوت وهو الذى يسعى ويدب بين الناس بالنمائم والفساد . وجاء فى الحديث « لا يدخل الجنة ديبوت ولا قلاع » . فالديبوت الذى ذكرناه . والقلاع الذى يأتى إلى إنسان له عند آخر منزلة فيفسد حاله حتى يقلعه عن مكانته .

الديجور .. الزيتون

الديجور الظلام والجمع دياجير ، والزيتون فيما يقال جبل أو مسجد وذلك فى قوله جلّ شأنه : « والتين والزيتون » .
والزيتون ، هو : المأكول .

الديقوع . . السيهوك . . السيهوج

الديقوع : الجوع الشديد . والسيهوك والسيهوج : اسمان للريح العاصفة .

الصيوب .. والبيوت

ذكر « ابن دريد » أن صيوب سهم صائب. ومطر صيوب صيب . والبيوت الماء يبيت ليله. والبيوت الرأى المبيت .

صيموت .. طيهوج .. عيشوم

صيموت بلد، والطيهوج : طائر . وما أحسبه عربيا . والعيشوم نبت ، ويقال العيشوم الفيلة الأنثى . قال ثعلب : قال أبو عمر : العيشوم: العظيم الجثة .

عيبوت .. غيذور .. فيروز

عيبوت بلد . والغيذور بالمعجمتين الحمار . وفيروز اسم أعجمى معرب .

قيدوم .. قيطوب .. كيعوم .. حيطوب .. عيهوم .. جيحون

القيدوم من كل شىء : أوله . حكاه ابن دريد. وحيطوب موضع . وجيحون فارسى . وكيعوم إسم . قال : وأحسبه مشتقا من كعمت البعير إذا شددت فاه . وقيطوب فيما يقال بيت الحمار ويقال هو بلد . والعيهوم الجمل الضخم والجمع العياهيم . قال « ابن دريد » : وكذلك العيهول .

الغيطول .. والهينوم

الغيطول من الغيطلة وهو اختلاط الأصوات والهينوم ما يسمع من صوت ولا يفهم وهو من الهينمة .

ومن هذا الباب مما أوسطه مثقل :

أيوب : اسم . بيوت : وقد مضى ذكره . خبول : اسم رجل . صيور : من قولهم « لا عقل له ولا رأى ولا صيور » . يريدون ما يصار إليه من رأى أو حزم ، ويقال : « ما بها ديور ولا ديار » . أى قطين. ومن ذلك العيوق، وهو نجم وراء الكف الخضيب ، وهو كوكب عظيم فى المجرة التى تلى الشمال، ويقال له عيوق الثّريا . وذلك لأنهما يطلعان معا ، فإذا توسطا السماء تدانيا . قال الشاعر :

« وإن عدياً والملامة ما مشى
لكالنجم والعيوق ماطلعا معا »

يقول لا يتخلف اللوم عن عدى كما لا يتخلف واحد من الثريا والعيوق عن صاحبه . والفيوم بلدة . والقيوم القائم . والله عز وجل القيوم القائم بأمر خلقه . والكيول هو آخر الصف فى الحرب . قال الشاعر :

« إنى امرؤ عاهدنى خليلى
ألا أقوم الدهر فى الكيول
أضرب بسيف الله والرسول »

قال « ابن فارس » : « هذا ما حضرنى من هذا الباب . فإن حفظ قارئ كتابى هذا شيئا غاب عن حفظى فليلحقه به إن شاء الله . »

مصادر الشك فى «كتاب العين»(١)

للأستاذ محمد رضا الشبيبى عضو المجمع

شك كثير من أئمة اللغة فى نسبة الأصل الذى وقع إليهم من كتاب « العين » إلى « الخليل بن أحمد الفراهيدى » ، وأصبحوا من روايته على حذر. أى رواية الأقوال الواردة فى «العين» على أنها أقوال «الخليل» نفسه .

ومن حق أولئك اللغويين أن يتسرب إليهم الشك فى صحة هذه النسبة .

أما كيف حامت الظنون حول نسبة كتاب «العين» ، ومن هم اللغويون الذين صوبوا سهام النقد إلى الأصل اللغوى المذكور حتى تضاءلت الثقة به ، وقل التعويل عليه؟ يبدو لنا أن «الأزهرى» صاحب «التهذيب» فى طليعة اللغويين الذين كشفوا ما فى هذا الأصل اللغوى من عوار . ويلاحظ أن «الأزهرى» فى تهذيبه لا يتردد عن التحامل على كثير من أئمة اللغة . ولكنه خص «الليث» : تلميذ «الخليل» بأوفر نصيب من تجهيله والتحامل عليه . ولنا أن نقول إنه لم ينصفه فى كثير من الأحيان . و «الأزهرى» أول من لاحظ أن هذا الأصل المتداول من كتاب «العين» ليس للخليل وإنما هو لتلميذه « الليث » ناقل كلام « الخليل » .

والخلاصة : يرد «الأزهرى» فى تهذيبه كثيراً على « الليث » . وزعموا أنه نحل «الخليل» كتاب «العين» لينفق كتابه باسم أستاذه المذكور . وقد سمى «الأزهرى» معجمه اللغوى «التهذيب» . وهو يقصد تهذيب «العين» ولهذا وضعه على نسق كتاب «العين» وترتيبه . ويبدو من التأمل فى معجم «الأزهرى» أن مؤلفه درس كتاب «العين» دراسة دقيقة أوقفته على كنه هذا الكتاب وحقيقته : وهى أن هذا الأصل المتداول ليس للخليل . وكيف لا يكون ذلك وفى غير مادة من مواد كتاب «العين» نجد هذه العبارة : « قال الخليل» أو « يقول الخليل» أو « قال غير الخليل» . والمرجح أن «الأزهرى» اقتنى نسخاً عدة من كتاب «العين» تختلف نصاً ورواية ، وعنى بمقابلة بعضها على بعض ، زيادة فى الدقة والتمحيص . والدليل على ذلك ما قاله «الزبيدى» فى مادة (علمص) وهذا نصه : (قال الأزهرى : « هذا كله بالصاد المهملة » . قال : ورأيت نسخا كثيرة من « العين » مقيداً بالضاد المعجمة) .

اشتهرت بعض نسخ « العين » عند اللغويين والأدباء . ومن نسخه المعتمدة نسخة « الزوزنى » شارح المعلقات ونسخة « الحاتمى » اللغوى المشهور .

امتاز «الأزهرى» كما قلنا بتحامله على كثير من اللغويين . وإليك ما قاله فى «ابن دريد» وهذا نصه

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة العلنية لافتتاح مؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

« وممن ألف الكتب فى زماننا فرمى باقتصال العربية وتوليد الألفاظ « أبو بكر بن دريد » . وقد سألت عنه « إبراهيم بن عرفة » فلم يعبأ به ولم يوثقه فى روايته . وألفيته على كبر سنه سكران لا يكاد يفتر عن ذلك » . هذا مثال من تحامل « الأزهرى » على اللغويين . و « ابن دريد » هو صاحب المقصورة التى عنى بشرحها « ابن خالويه » : الإمام اللغوى المشهور . ومن مؤلفات « ابن دريد » كتاب الجمهرة فى اللغة . ومن اللغويين الذين حذوا حذو « الأزهرى » فعنوا بنقل بعض النصوص عن العين ولم ينسبوها إلى الخليل « اللحيانى » و « الصاغانى » وغيرهما ، ومعنى ذلك أنهم يشكون فى نسبة ذلك الكتاب إليه . أما « ابن منظور » صاحب « لسان العرب » فقد نسب إلى « الأزهرى » أقوالا هى فى الواقع لصاحب « العين » . والغالب أن صاحب اللسان لم يملك نسخة من كتاب « العين » أو لم تكن فى حوزة يده نسخة منه . وإنما عرفه عن طريق النقل ورواية الرواة . ويعول صاحب اللسان فى هذا الشأن على كتاب « التهذيب » للأزهرى غالباً . ولذلك نجده يقول فى كثير من المواضع (حكاه الأزهرى عن الليث) .

إلى هذا ونحوه مردّ كثير من الشك فى نسبة كتاب « العين » إلى « الخليل » ، وربما كان « الأزهرى » فى نقده وغمزه لليث سبباً من أهم أسباب التشكيك فى الكتاب المذكور وضعف عناية اللغويين به واعتمادهم عليه . وقد لاحظ النظار من اللغويين أن آخر كتاب « العين » لا يناسب أوله أو مقدمته التى تدل على أن واضعها باقعة فى الذكاء وجودة الذهن والتفكير . وإذا رأينا الشك يساور أئمة اللغة فى نسبة هذا الكتاب إلى « الخليل بن أحمد » إجمالا ، فإن أكثرهم لا يشك بأن مقدمة « العين » وما اشتملت عليه من فلسفة لغوية وأسلوب مبتكر فى البحث عن مخارج الحروف وإحصاء أبنية الكلم وما إلى ذلك إنما هو للخليل ، ما فى ذلك من ريب . ولا يستكثر هذا على صاحب العربية ومخترع فن العروض وغيره من الفنون . ومن رأى بعضهم أن « الخليل » عنى أولا بالفلسفة ثم بالنجوم إلا أنه عدل عن ذلك إلى اللغة . ويقال كان جميع النحاة من أهل الأهواء إلا أربعة . أولهم : الخليل . وكان للخليل رأى فى أصول اللغة ومبادئ المنطق ، وهو مؤسس فلسفة اللغة العربية . وقال آخرون : إن الهمزة لم ترسم إلا فى عصر « الخليل » . وقدر « الخليل » أنها نوع من الضبط يوضع على الحروف .

لا يزال كتاب « العين » فى جملته مخطوطا ، ولكن نسخه المخطوطة غير نادرة . وتوجد فى العراق غير نسخة من الكتاب . وكان الأستاذ اللغوى العراقى « أنستاس الكرملى » شرع بطبعه سنة ١٩١٤ واقتنى لهذا الغرض ثلاث نسخ مخطوطة عورض عليها ما طبعه منه وهو لا يزيد على ثلاثة كراريس أو نحو ذلك ثم عاقته الحرب العامة الأولى عن إنجاز طبع الكتاب .

لغتنا فى أزمة!

للأستاذ أحمد حسن الزيات عضو المجمع

ولعلها لم تتعرض لمثلها منذ ابتليت هى
أهلها بتسلط التتار على العراق، والصليبيين على
شام، والفرنج على الأندلس، والترك على مصر.
و أنها استكانت لهذا التسلط فانحلت إلى لهجاتها
امية ولحقت بأخواتها السامية لما كان ذلك
عا من القول ولا حدثا فى التاريخ؛ ولكنها
نيت فى خلال تلك الحقب السود جزءاً من
قيقة الإسلام تحيا فى كتابه، وتنتشر فى كتبه
تدرس فى معاهده. أما الأزمة التى تأخذ
ـظمها اليوم فهى نصيبها والملك فى أيدى
لها يكاد يستقر، والحكم فى جميع أقطارها
شك أن يستقل. وكان منطق الأشياء يقضى
ن تنهض العربية بنهوض العروبة، وتتجدد
جدد الإسلام، وتزدهر بازدهار الحضارة،
لكنها وقفت وقفة الجسم القاصر بين قوتين
ضادتين: قوة تجذبه إلى الوراء وقوة تجذبه
الأمام، حتى انتهى به الجذب من هنا ومن هنا
أن تمزق فجمد بعضه فى أيدى فريق، وماع
ضه فى أيدى فريق. وهذان الفريقان اللذان
ماها هذه الأزمة هما: شيوخها الذين يتعبدون
ديمها عن تعصب، وشبابها الذين يتصرفون فى
ديدها عن جهالة.

شيوخها علموها كل العلم وأحبوها كل الحب

ثم اعتقدوا أنها حين استطاعت أن تعبر عن وحى
الله وسنة رسوله وأحكام شرعه قد كملت بكمال
الدين وتمت بتمام النبوة، فحرصوا على أن يظل
باب الوضع مغلقا ووقفوا من موادها وقواعدها
حيث وقف الأقدمون، لا يتقدمون إلا بدليل
منهم، ولا يحكمون إلا بنص منقول عنهم،
ولا يكادون يخرجون على قول «ابن فارس»:

«ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول
غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه»
ولا يدخلون فى حسابهم أن اللغة لا يمكن أن تثبت
ثبوت الدين ولا أن تختم ختام النبوة، لأنها
ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

والأغراض لا تنتهى، والمعانى لا تنفد.
والناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرسا وهم
يرون الأغراض تتجدد والمعانى تتولد،
والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع،
والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح.
ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى
حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه
الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء!

نرى النحوى المعاصر وقد اكتملت له الآلة
وقويت فيه الملكة فاستقصى أطراف النحو

وأحاط بأصوله وفروعه ، ووقف على شاذه ومقيسه ، ثم تعرض له أو تعرض عليه مشكلة من مشكلات التعبير الحديث تطلب منه جواز المرور إلى حرم القواعد المقررة . فينظر إليها نظر السنى إلى البدعة ، فإذا استحسنها حاول أن يسوغها بقول مروى عن أحد البداة ، أو رأى منقول عن بعض النحاة ، فإن وجد قولا لنحوى ولو أعجميا ، أو لحنا لقبيلة ولو حوشيا ، أجاز وإلا منع !

وربما كان نحوى اليوم أدق فهما لأسرار اللغات من نحوى الأمس ، ولكنها التبعية العقلية التى سرت من الفقهاء إلى اللغويين بحكم الصلة الوثيقة بين اللغة والدين .

لو أن عبارة النص القديم كانت من تقوى القلوب التى تحرص على سلامة الأسلوب فى اللغة كما تحرص على سلامة المنهج فى الشريعة ، لقلنا نعم ونعام عين ; ولكنها تعلقت بالضعيف كما تعلقت بالقوى ، وأخذت بالشاذ كما أخذت بالمطرد ، فكان من هذا التناقض أن فسدت كل قاعدة وصح كل خطأ !

ذلك على الإجمال نصيب المتزمتين من الشيوخ فى أزمة اللغة . أما نصيب الإباحيين من الشباب فيها فهو نتيجة محتومة لوقوف كهنتها على باب هيكلها يذودون عن وردها كل شارب ، ويصدون عن علمها كل طالب ، إلا من نذر نفسه طول الدهر لدراستها على النهج الموروث من تعدد الأوجه واختلاف الصيغ وتباين المذاهب وتناقض الأقوال !

وكيف يطلب كهان عطارد من النشء أن يخلوا أذرعهم لتحصيل اللغة على هذا النمط ، وليست قواعدها إلا مادة من مواد الدراسة المتعددة المتنوعة ، ولكل مادة على الطالب واجب مفروض من الجهد والوقت ؟

أما كان الأولى أن تقتصر المدرسة من النحو والصرف على قواعدهما الأساسية العملية ، ثم تقدمهما إلى الناشئ مبسطة فى صور شتى من الأمثلة الشارحة والنماذج الموحية والتمارين المدربة فتلائم بين قدرته وطبيعته وتوفق بين علمه وعمله ؟

بلى ، كان ذلك هو الأولى .

ولكن المدرسة عنيت بالحفظ لا بالفهم ، وبالشهادة لا بالكفاية ، وبالكم لا بالكيف ، فعجزت عن تخريج القارئ الذى يقرأ عن فهم ، والكاتب الذى يكتب عن علم ، والمفكر الذى يفكر عن أصالة .

وكان الجارى فى عرف الناس ألا يتعاطى إنسان عملا إلا إذا تجهز بجهازه ، فلا يزاول الطبابة إلا من درس الطب ، ولا الكتابة إلا من درس الأدب .

ولكن طائفة من الشباب أتاهم الله الاستعداد ولم يؤتهم العدة أرادوا أن يكونوا كتابا فاقتحموا مكاتب الصحف واقتعدوا كراسى الإذاعة وأخذوا يقودون الرأى ويوجهون الأدب ويروضون الأذواق على تفاهة العامية ،

فلما آلمهم النقد وأعياهم البيان ثاروا على الفصحى المنيعة المدرك ثورة الثعلب على العنقود البعيد المنال، ودعوا إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يتكلم: لا يتقيد بقاعدة من نحو، ولا قياس من صرف، ولا نظام من بلاغة؛ ليجعلوا الفوضى نظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة.

دعوا إلى العامية لأنها أسهل لا لأنها أفضل؛ فإن تحصيلها لا يحتاج إلى كتاب ومعلم ودرس، وإنما يحتاج إلى بواب وشارع واستماع.

وشر ما فى الأمر أنهم يكثرون والكتاب الأصلاء يقلون، وعما قريب أو بعيد ينخفض مستوى الأدب حتى يبلغه الكسيح ويناله القزم ويتزعمه الجاهل، ويومئذ يستساغ التفه ويؤلف السخف، وتصبح الفصحى هى الغريبة والأدب الرفيع هو المنكر!

أما تفريج هذه الأزمة، فلعله يكون إذا توسط بين التزمت الجامد والإباحية المائعة قوام من اللدونة المعتدلة، تصوغ ألفاظ اللغة على الأوضاع التى تقتضيها حال الحضارة، وتشكل أساليبها على الصور التى يرتضيها ذوق العصر، وتنظر إلى النحو والصرف على أنهما قواعد للغة واحدة، ولهجة واحدة؛ فيقتصر منهما على القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة وتقوم هذه اللهجة.

والمأمول المعقول أن يكون مجمع اللغة العربية هو الكتلة الثالثة التى تعدل المزاج بين الكتلتين اليمينية واليسارية، أو الرأسمالية اللغوية التى يقوم عليها حفاظ الشيوخ، والشيوعية الأدبية التى يدعو إليها سفه الشباب.

وأول ما يجب على المجمع أن ينظر فيه هو توجيه القائمين على تعليم العربية إلى إصلاح الطريقة التى تعلم بها اللغة، فإنها لا تزال تعلم باعتبارها ألفاظاً مفردة وقواعد مجردة لا تتصل بالعقل ولا بالنفس ولا بالحياة. وكان الطريق الأمثل أن تعلم على أنها الوسيط الذى تتمثل فيه الأفكار والآراء. فنحن لا نفكر إلا بلفظ ولا نلفظ إلا بفكر. والتلميذ منذ الحداثة يسمع الفكر باللغة ويقرؤه باللغة ويبرزه باللغة.

فالتلازم بينهما شديد والتفاعل بينهما ظاهر. وهذا هو الفرق بين لغة نتكلمها منذ الصغر ولغة نتعلمها فى الكبر. فالعربى إذا تعلم الفرنسية مثلا وأراد أن يعبر بها، فكر أولا بلغته الأصيلة، ثم ترجم فكره إلى اللغة الدخيلة.

وهذا يوجب على المعلمين أن يصلوا فكر الناشئ بالفصحى فى جميع أطوار عمره المدرسى فيسمع بها دروسه فى كل ما يتعلم، ويؤدى بها أفكاره فى كل ما يكتب.

ثم ينشأ للطفل أدب قائم بذاته يتألف من الحكايات والأساطير المنتزعة من أدب الشعب؛ تيسر عليه اللغة وتحبب إليه القراءة، وتضيق فى ذهنه الفرق بين لغة الكتابة ولغة الحديث.

ثم يستعان على تقويم لسانه وتقوية ملكته بالأناشيد القصيرة الموقعة، والمسرحيات البسيطة

المتنوعة. فإذا بلغ طور المراهقة ، وكان قد نشأ فى هذا الجو الجميل من القصص والشعر والغناء والتمثيل ، طلب المزيد من ذلك فى دروس الأدب ، فنحلل له أبلغ الروائع ليذوق ، ونشرح له أجمل النماذج ليحفظ ، ونختار له أمتع الكتب ليقرأ ، حتى إذا تخرّج وجد القراءة قد أصبحت من عادته ، فلا يكف عن الاطلاع ، والكتابة قد صارت من طبيعته ، فلا يضيق بالإنتاج . وبذلك يكون تعليم اللغة على هذا الوجه قد أحدث آثاره الثلاثة :

أثره العقلى بربط الفكر باللغة .

وأثره النفسى ببعث اللذة من تذوق الأدب .

وأثره العملى فى خلق القدرة على القراءة والكتابة .

وإذا استطاع الشاب بعد المدرسة أن يقرأ فيفهم ، ويكتب فيحسن ، ويفكر فيصيب ، استطاع أن يجد السبيل إلى كل علم ، والدليل إلى كل غاية .

أما تعليم الفصحى بالعامية ، وتحفيظ القواعد ليقرأ الطالب بها كتاب المطالعة دون أى كتاب ، ويكتب بها موضوع الإنشاء دون أى موضوع ، وتدريس الأدب على أنه سجل ولادات ووفيات ، وديوان حوادث وروايات ، فذلك هو الذى كرّه الدارسين فى اللغة ، وزهّد الناشئين فى الأدب ، وصرف أدباء الشباب إلى الآداب الأوربية ، وحملهم على أن يدعوا جهرة إلى اللغة العامية ؟

مذاهب الإعراب

للأستاذ إبراهيم مصطفى عضو المجمع (١)

الإعراب معروف وهو تلك الظاهرة الواضحة فى اللغة العربية ، تلك التى تتناول أواخر الكلمات بالتغيير فى الحركة أو الحرف ، وهى غالبة على اللغة العربية واضحة فيها تكاد تتميز بها ، وما زالت حتى الآن موضعا للخشية ومزلة للألسن والأقلام .

وسمى الإعراب كذلك لأن النحاة المتقدمين كانوا يختلفون فى شكل الكلمة وحالاتها ، فيقولون إعرابها كذا . فمثلا كان أبو عمرو يقرأ : (هؤلاء بناتى هن أطهرَ لكم) ويقول إعراب (أطهر) بالنصب ، ولهذا سميت هذه الظاهرة بالإعراب . ويكاد يكون النحو متخصصا بدراسة هذه الظاهرة .

وما يعنينا هنا هو اتجاه النحاة فى بحث هذه الظاهرة ، فقد رأى النحاة فى الكلمة المفردة تفاعلا بين الحروف بعضها وبعض . فحرف يؤثر فى التالى فيبدل من صفته كما فى التفخيم والترقيق أو يبدله حرفا آخر . وقد كشف النحاة بهذا التفاعل عن شىء عظيم من خصائص العربية فى تنافر الحروف أو امتزاجها .

يقول الخليل بن أحمد :(إن بعض الحروف أشد من بعض وأقوى جرسا . فإذا اجتمع حرفان وتجاورا قدموا الأقوى كما فى « وتد » و « ورل » . وليس عندهم كلمة فيها الدال مقدمة على التاء أو اللام على الراء .)

ويقول ابن دريد : (ليس فى كلام العرب لام بعدها راء) ، كما فى الجمهرة ج ١ ص ١٢ .

ويقول سيبويه فى الكتاب ج ٢ ص ٢١٥ : (وللحرف الأقوى تأثير فى الضعيف ؛ حتى إذا قدم عليه فلا يزال يؤثر فيه حتى يزحزحه عن مخرجه الأصلى ويحوله إلى حرف أقرب ما يكون إليه ؛ ليكون عمل اللسان فى الحرفين واحدا كما كان ذلك فى تاء الافتعال قبل حروف الإطباق) .

وحروف الإطباق هى : الصاد والضاد والطاء والظاء ، ففى (صبر) ، افتعل منه (استبر) ، وفى (صبر) (اصطبر) ؛ فكأن التاء قلبت طاء بتأثير الصاد .

ومثل ذلك ما قالوا فى اجتماع الواو والياء وسكون السابقة منهما .

وقالوا : إن بعض الحروف أيسر فلا يخلو منها كلمة خماسية ، وهى حروف الذلاقة ، تخرج من الشفة أو من طرف اللسان . فالفاء والباء والميم من الشفة ، واللام والراء والنون من طرف اللسان ويجمعها قولهم: (فر من لب) .

---

(١) الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

وبعض الحروف لا يجتمع فى كلمة مثل العين والحاء إلا فى مثل (حيعل) المنحوتة من (حى على الفلاح).

وبعض الحروف لا يجتمع إلا بفاصل مثل الضاد والكاف وكذلك الهاء والعين.

هذا شيء كثير تعرض له أئمة اللغة مثل الخليل وسيبويه وابن دريد وابن فارس، وألف فيه ابن جنى كتابا واسعا على حروف الهجاء يصف كل حرف ويبين مخرجه وأثره فى الحروف المجاورة له وتأثره بها. وهذا الكتاب واسع ولم يطبع حتى الآن، واسمه (سر صناعة الإعراب)، فكان البحث فى الحروف المفردة هو أساس فهم صناعة الإعراب.

لقد اهتدوا إلى شيء عظيم من أسرار العربية يتفق مع دراسة علم الأصوات الحديث وانتهوا إلى نتائج تحققها الأبحاث الجديدة.

لما صح للنحاة هذا البحث واستقرت لهم تلك الحقائق أخذوا ينظرون إلى العلامات فى الجملة نظرهم إلى الحرف فى الكلمة؛ فكما أن الكلمة يؤثر فيها حرف ويعمل فى تكوينها ولا بد من تمازجهما، كذلك فى الجملة قرروا أن الكلمات يتأثر بعضها ببعض، فالكلمة تعمل فى الكلمة الأخرى الرفع والنصب، والكلمة تزحزح الأخرى فتقدمها أو تؤخرها. وبذلك أخذوا يدرسون ظواهر الإعراب فى الكلمات كما درسوها فى الحروف. فصار المركز لدراسة النحو هو دراسة الكلمات بين عامل ومعمول. وما هى الكلمة العاملة؟ ومتى تعمل؟ وما هو عملها؟ وكيف تعمل؟ وكذلك الكلمة المعمولة كيف تتأثر؟

درس العامل والمعمول إذن هو فلسفة علم النحو، بل كل علم النحو. وقد جمعوا العوامل وألف بعضهم بعنوانها كتابه فى النحو، فللجرجانى كتاب «العوامل» وشرحه «العوامل على العوامل». وعدد العوامل مائة، كشفوا شروطها وتأثيراتها على أوسع نطاق.

قالوا: الأصل فى العامل الفعل، ولا يعمل الإسم إلا حملا عليه ولشبه بينهما. والعامل قد يكون ضعيفا وقد يكون قويا، والعامل القوى هو الذى يستوفى شروط الفعلية، والعامل الضعيف لا يتقدم معموله وليس له من السلطان ما للعامل القوى. والفعل يعمل الرفع والنصب لا الجر، والحرف يعمل الجزم والجر. وقد يعمل النصب، وهو يعمل حملا على الفعل كالإسم.

كل هذه قواعد تجمع فلسفة النحاة فى اكتشاه وجوه الإعراب وتأثير كلمة فى كلمة. ولكن هذا الاتجاه فى البحث قد صح لهم فى المفرد وفى تأثير حرف فى حرف، لأنه انتهى بهم كما قال ابن جنى إلى ذكر علل قوية صحيحة ليست كعلل الفقهاء بل كعلل المتكلمين فى انتهائها إلى الواقع والحقيقة.

أما مذهبهم فى الحروف فقد اعتمدوا فيه

على الحس ، فنقول هذا أثقل وهذا أخف ، ولم يجعلوه بمثابة السليقة بل المزاج . ولكل لغة مزاج ، فتقبل شيئا وترفض شيئا . فالعربية لا تبدأ بالساكن ولا تقبل اجتماع ساكنين . وينص الأصمعى على قبول الهمزة فى أول الكلمة وفى وسطها .

هذا المزاج وصلوا فيه إلى قرار ثابت اطمأنوا إليه ، يمكن الاحتكام إليه عند الاختلاف . أما فى شأن العامل فى الكلمة والجملة فلا ، لأنهم لم ينتهوا إلى أصل . ومع ذلك فقد أحصوا الأحكام وإن أخفقوا فى التعليل .

ما العامل فى « كتب محمد كتابه » ؟

هل هو كتب ؟ أو هو معنى الفاعلية ؟ أو هو الفعل مع الفاعل ؟

كل هذه آراء وفروض قد تبنوها ودافعوا عنها . وانتهى النحو على هذا ، واستطاع النحاة أن يضعوا ما نقلوا من علامات الإعراب عن العرب دون أن يستطيعوا تعليل هذه العلامات كما عللوا الحروف فى الكلمة المفردة .

جاء بعد ذلك فى الزمن الحالى مذهب آخر فى توجيه الإعراب ، اتجه إلى مراقبة الحركة : علام تدل ؟ وهل لها من معنى ؟

وصاحب هذا المذهب يعتمد على تتبع الحركة فى المزاج العربى . فقد اتخذ العرب الحركة إشارة إلى المعانى المختلفة وتغيرها بتغير المعانى ؛ فمثلا مرض واستخرج ومرح ووضؤ تختلف معانى كل منها باختلاف حركاتها ، بل إن الفرق بين قاتل وقتل ليس إلا حركة ممدودة لا حرفا .

هل يمكن أن تكون حركة الإعراب كذلك ؟ لقد لعبت الحركة فى العربية دورا عظيما واسعا فى الدلالة على اختلاف المعانى .

ولو أننا أحصينا آلات العربية فى الدلالة لوجدنا الحركة من أكثر الآلات والأدوات أثرا .

يصح الاهتداء إلى النظر فى حركات الإعراب : هل تدل على معان ، فنتتبعها لنقول إن الحركة تدل على هذا المعنى ؟ ولاسيما أننا رأينا الحركات تلتزم ، والشىء إذا انحرف عن دلالته لا يلتزم .

فمثلا : حبذا الرأى . ذا اسم إشارة ، وهو يختلف بين الواحد وغير الواحد ، وبين المذكر والمؤنث . ولكن حبذا تقال للجميع بلا تفريق ؛ وهذا لأن ذا بعد أن كانت إشارة ضاع هذا المعنى وجمدت الكلمة فصارت استعمالا .

ولو أن علامات الإعراب لا تدل على معنى لجمدت كما جمد اسم الإشارة فى حبذا . ومثلا : نعم وبئس . لا يقال ينعم لأن أصل الفعل يدل على الحدث فى الماضى ؛ ولكن هنا ضاع الزمن وضاع الإسناد ، فانتقل من الإخبار عن زمن خاص ومخبر عنه خاص إلى التكلم عن النفس . ولذلك قالوا : إن هذا الأسلوب إنشائى ، وهو لا يتصرف تصرفا تاما .

إذا خفيت الدلالة استراحت الموهبة اللغوية من البحث واطمأنت إلى صورة ثابتة .

وفى العامية يسند المضارع إلى الضمائر ، ولكنه يلتزم حالة واحدة . فإما أن يقولوا يخرجون فقط وإما أن يقولوا يخرجوا فقط . ولو أن المعنى يختلف حقا باختلاف الحركة لبقيت التفرقة ، ولكن ضياع الدلالة بين النون وحذف النون أبقى الكلمة وألزمها حالة واحدة .

إذن نستطيع البحث فى الإعراب على هذا الأساس ...

أمكن للباحث أن يتتبع الحركة فرآها تشير إلى تركيب الجملة وتكوينها ، فالضمة علامة على أن الكلمة متحدث عنها ، والكسرة علامة على إضافة الكلمة إلى غيرها بأداة أو بغير أداة .

وثمة مذهب ثالث لم يقصد إلى ناحية تأثير كلمة فى كلمة ولا دلالة المعانى ، وإنما قصد إلى جهة جديدة جديرة بالتوجه والتتبع ، لعلها تصل إلى تعليل الإعراب .

بحث جديد تلقيته بالغبطة لأنه يدل على محاولة تفهم شيء جديد دون نظر إلى ماسبق من تعليلات وآراء .

اتجه صاحب هذا البحث إلى أن طبيعة الحرف السكون ، فالحركة طارئة . وأن الكلمة فى موازين الصوت يعتبر الحرف فيها وحده هو الساكن ، ولا تكون الحركة إلا بمقتضى وداع ، حتى فى كَتَب وكُتُب . فيعد كل حرف يسجل الميزان الصوتى الحركة أو جزءا صغيرا من الحرف المتحرك . فالأصل هو الحرف الساكن فلماذا يحرك ؟

فى وسط الكلمة يحرك الحرف ليتصل . فإذا اتصلت الكلمة بأخرى فالنظرية الصوتية تنظر إلى الجملة باعتبارها كلمة واحدة ، وهذا يحتاج إلى اليسر ، واليسر يقتضى الحركة .

يشهد لهذا كلام النحاة فى التخلص من التقاء الساكنين ، فالحركة الأخيرة هى لذلك السبب. ففى مثل (جزاؤهم العقاب) الأصل جزاؤهم بسكون الميم ، وواضح أن الحركة لمنع التقاء الساكنين ، وكذلك (الحمد لله) الأصل الحمد بالسكون .

وبعض الكلمات تأخذ حكما فى الوصل ، فقرئ (الحمدِ لله) بكسر الدال للإتباع ، وقرئ (الحمدُ لُله) بضم الدال واللام للإتباع كذلك . وهذا مذكور فى أول كتاب «المحتسب» لابن جنى مع التوسع فى التعليل .

ولكن إذا كانت الحركة قد جاءت لتيسير النطق، فلم كانت ضمة أو فتحة أو كسرة ؟

هذا يرجع إلى طبيعة الحروف فيلتزم بحركة ما ، كما فى حروف الحلق ، أو لايلتزم بالحرف وحده بل بالحروف المجاورة الأخرى .

نتساءل ليستمر البحث فى بيان هذه الصلة أو الصلات الرابطة بين حرف وحرف ؟

رأى فى الإعراب بالحركات - للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس الخبير بالمجمع (1)

يظهر أن تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل فى الكلام شعرا أو نثرا ، فإذا وقف المتكلم أو اختتم جملته لم يحتج إلى تلك الحركات ، بل يقف على الكلمة الأخيرة من قوله بما يسمى السكون . ويترتب على هذا الفرض أن الأصل فى كل الكلمات المعربة أن تنتهى بهذا السكون ، وأن المتكلم لا يلجأ إلى تحريك الكلمات إلا لضرورة صوتية يتطلبها الوصل .

ويمكن أن تستمد الخيوط الأولى لهذا الفرض من تلك الظاهرة التى ترتبط ارتباطا وثيقا بوصل الكلام ، والتى يسميها النحاة « التخلص من التقاء الساكنين » .

وقد دلت التجارب الصوتية على أن الكلمات فى وصل الكلام يتداخل بعضها فى بعض فتسمع الجملة الطويلة كتلة واحدة لا انفصام بين أجزائها ، مما قد يترتب عليه أن يكون بين الكلمتين المتجاورتين ما يسمى بالتقاء الساكنين . وحينئذ نحتاج للتخلص منه إلى حركة فى آخر الكلمة الأولى منهما . ففى العبارتين : « جزاؤهم العقاب » و « الحمد لله » ، نرى أنه من الضرورى أن نحرك « الميم » فى الأولى و « الدال » فى الثانية ، فى حين أن عبارة مثل « الشجر مورق » لا نحتاج إلى تحريك آخر الكلمة الأولى منها ، بل يمكن ويسهل النطق بها مع سكون الراء .

أما الكلمات المنونة فهذه لا تنتهى فى الحقيقة بحركة ، بل تنتهى بنون ساكنة ، فإذا وليها كلمة تبدأ بحرف ساكن جرى عليها ما جرى على « الميم » فى عبارة « جزاؤهم العقاب » أى تتحرك نونها . أما الحركة التى قبل النون فقد كانت ملتزمة دائما ولا تسقط مطلقا فى وصل الكلام . ولذا نرى لهجة «نجد» حتى الآن تبقى على تنوين الأسماء فى الكلام المتصل وإن كانوا يجعلون الحركة التى قبل النون الكسرة ، فيقولون مثلا : « يومن من لأيام » !!

ويتحقق التخلص من التقاء الساكنين بأى حركة من الحركات الثلاث : الضم أو الكسر أو الفتح . غير أن الذى قد يرجح حركة على أخرى هو طبيعة الحرف المراد تحريكه ، أو انسجام الحركة مع ما يجاورها من حركات . فبعض الحروف تؤثر حركة معينة ، فحروف

---

(1) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

الحلق مثلا تؤثر الفتح . ويمكن القيام باستقراء كامل لتوزيع الحركات فى كلمات اللغة لنتبين ما يؤثره كل حرف أو مجموعة من الحروف .

أما الانسجام بين الحركات فيمكن تصوره حين نذكر تلك القراءة القرآنية « الحمدِ لله » بكسر الدال . فتحريك الدال فى هذه العبارة ضرورة صوتية ، أما الذى رجح الكسرة فهو محاولة الانسجام بينها وبين كسرة اللام فى « لله » .

ولا يؤثر هذا الفرض فى وزن الشعر ، إذ يستقيم الوزن مع أى حركة حين يكون التحريك ضرورة صوتية ، أما حين يكون التحريك غير ضرورى فقد يبدو للوهلة الأولى أن عدم التحريك يخل بوزن البيت ؛ ولكننا حين نستعيض عنه بسكتة قصيرة نرى البيت من الناحية الموسيقية مستقيم الوزن . ففى قول الشاعر :

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
إلا أقض عليك ذاك المضجع !

لا نرى ضرورة لتحريك آخر الفعل « يلائم » ، ويمكن أن ينطق به ساكنا دون إخلال بالوزن . وكل الذى حدث هو أن « متفاعلن » صارت « مستفعلن » ، وهو مقبول وكثير فى بحر الكامل .

ولذا لا ندهش حين يروى لنا بين الشواهد مثال :

(١) ... اليوم أشربْ غير مستحقب
إثما من الله ولا واغل

(٢) ... ولا تشتم المولى وتبلغْ أذاته
فإنك إن تفعل تسفه وتجهل

(٣) ... أحاول أن تعلمْ بها فتردها
فتتركها ثقلا على كما هيا

(٤) ... سيروا بنى الأعمام فالأهواز منزلكم
ونهر تيرى فما تعرفْكم العرب

كما لا ندهش لقراءة « أبى عمرو بن العلاء » :
« إن الله يأمرْكم أن تذبحوا بقرة » .

فليس فى كل هذه الأفعال « أشرب » ، « تبلغ » ، « تعلم » ، « تعرفكم » ، « يأمركم » ضرورة صوتية لتحريكها .

لهذا كله نرجح أن حركات أواخر الكلمات لم تكن تفيد تلك المعانى التى يشير إليها النحاة من الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك ، وإنما هى حركات دعا إليها نظام المقاطع وتواليها فى الكلام المتصل ، ثم إن هذا التحريك لم يكن ملتزما فى كل الحالات ، فقد رأينا ألا ضرورة له فى القليل من الأحيان .

أما الذى قد يعين الحركة فيجعلها الضمة أو الكسرة أو الفتحة فهو أحد عاملين :

(١) طبيعة الحرف الواجب تحريكه .

(٢) انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات ؟

خطرات فى الاحتفاظ بعبقرية النحو العربى (١)

للأستاذ ل . ماسينيون عضو المجمع

بصفتى ممثلا للمستشرقين ، فى هذا المجمع ، علىّ أن أبين وظيفتنا نحن الغربيين فى الاحتفاظ بعبقرية النحو العربى الأصيل : لا شك أنه للفائدة ولتيسير التعليم . فأشرنا سابقا إلى بعض الإصلاحات التى تكون فيها قوالب غريبة للنحو العربى ، مثل الحروف اللاتينية . ولا أنسى أنه فى سنة ١٩٣٠ بعد ما اطلعت على التقدم التركى فى نشر التعليم ومحو الأمية بواسطة الحروف اللاتينية ألقيت خطبة فى «طهران» فى أنجمان ايرانى جوان فى إمكان استعمال الحروف اللاتينية بدل العربية لكتابة الفارسية . وفى دمشق أيضا عند المجمع السورى ألقيت خطبة أخرى فى إمكان إدخال هذا الإصلاح فى الكتابة العربية . وثار علىّ كثير من أصدقائى الأدباء فانتبهت وفكرت وتوقفت . وبعد حين فهمت أن اختراع الإعراب ليس كما يزعم أكثر المستشرقين اختراعا باطلا وإنما هو توحد صحيح وربط بين الأسماء والأفعال المضارعة والجمل التى لها محل من الإعراب . وهذا للغة العربية فضل عظيم لا يمكن إبقاؤه إلا بالاستمساك بالكتابة العربية .

أما الاعتراض بأن هذا إبقاء للتعقيد فأجيب عنه بأن هذه رياضة مثل اختراع الروىّ لصناعة الشعر .

كذلك تأملت منذ عشرين سنة فى تركيب أعضاء النحو وانضمامها على نحو من الجذب الداخلى الذى فيه إحياء للحديث المفيد . ونويت أن أكتب رسالة فى الموضوع لخصت موادها اليوم تحت عنوان : « فاطمة أو رفع حجاب النحو العربى أمام المحرم » . واخترت اسم فاطمة إشارة للصمت النسوى المقابل لنطق الرجال . فما أنسى مثلا من أمثال العامة من المرازق فى تونس وهم بدو خلص يقولون : وليا صقر نكر . وليا صقراط رضيت . ومعنى هذا المثل : الذى كان صامتا أنكر والتى كانت صامتة رضيت .

إذا نظرنا إلى الأسماء المخطوطة فى الألواح فى كثير من بيوت المسلمين عليها أسماء

---

(١) الجلسة الأولى لمؤتمر المجمع لدورته العشرين .

أصحاب العباء فى يوم المباهلة . وهم الخمسة : محمد وعلى والحسن والحسين وفاطمة . وفاطمة بينها فى المركز صامتة . وهى لها الأمومة والنبوة والزوجية وهى تقبل النطاق من هذه الجهات الثلاث وهى فى وسط المحرمين .

الآن فصلت هذه الرسالة أربعة فصول . مشيرا إلى وجود أربعة أوجه من عبقريات النحو العربى . الوجه الأول : دستور الكتابة للخط وهذا مذكور فى رسائل إخوان الصفا ؛ لأنه أصل فن الخطاطين ، وتدريس قدود الحروف داخل الدائرة، ونسبة بعضها إلى بعض فى هذه الدائرة . والآن يستعمل مذهب التنقيط فى تحديد قدود الحروف وأبعادها ، فيما يتعلق بالحروف نفسها على أساس النقط فى مربع . ولا شك أن المذهب القديم من الدائرة كان لكل حرف اعوجاج أقرب ، لأنه ملامس لاعوجاج الدائرة .

الوجه الثانى : مثلث ثلاثية الحروف فى اللغة مثل مثلث الأثافى للقدور فى البادية . وقد فصلت أهمية هذا المثلث اللغوى المخصوص للغة السامية فى مواقف أخرى فى المجمع .

الوجه الثالث : معالم الإعراب فى النحو . وقد ذكرت كيف آمنت بعبقرية النحو ، ورفضت مذهب تغيير الكتابة العربية بحروف لاتينية .

الوجه الرابع : أهمية التضمين فى بناء المعانى . فى سنة ١٩٣٤ وفى المؤتمر الأول من المجمع ابتهج سمع اثنين من الأعضاء الأجانب وهما : جب وأنا بخطبة الشيخ محمد الخضر حسين — وهو رئيس الجلسة اليوم — حين كان يتحدث عن التضمين بصفة تاريخية للمذاهب فيه . وسأتحدث عن هذه العبقريات الأربع من وجهة النظر الفلسفية . وهذا هو موضوع حديثى عن فلسفة التضمين :

اسم الآلة

للأستاذ إبراهيم مصطفى (1)
عضو المجمع

١) لم يذكر سيبويه فى كتابه « اسم الآلة» بهذا العنوان ، بل قال : «هذا باب ما عالجت به» (جـ ٢ ص ٢٤٩ طبع مصر) . ونص الباب هو «أما المقص فالذى يقص به والمقص المكان والمصدر وكل شىء يعالج به فهو مكسور الأول كانت فيه تاء التأنيث أو لم تكن . وذلك قولك محلب ومنجل ومكسحة ومسلة والمصفى والمخرز والمخيط . وقد يجىء على مفعال نحو مقراض ومصباح ومفتاح. وقالوا المفتح كما قالوا المخرز، وقالوا المسرجة كما قالوا مكسحة » اهـ

ويرى القارىء فى الكتاب أن سيبويه أوجز كثيرا فى الكلام على اسم الآلة ولم يبسطه بعض ما بسطه فى صوغ اسم الزمان والمصدر الميمى قبله .

٢) وأبو سعيد السيرافى المتوفى سنة ٣٦٨هـ شارح الكتاب المفيض فى شرحه لم يزد على هذا إلا أنه بحث فى أى الصيغتين هى الأصل: مفعل أو مفعال . ومع أن سيبويه يبدأ بمفعل ثم يقول « وقد يجىء على مفعال»؛ فإن أبا سعيد يقرر أن الأصل هو مفعال . ولولا أن مخيط أصله مخياط لوجب أن يعل . فلما لم يعل، ولا مانع من إعلاله إلا أن يكون بعد الياء ألف تمنع إعلالها حتى لا يتوالى إعلالان ، علمنا أن أصله مفعال . ويتبع أكثر النحاة رأيه فى هذا ويؤيدونه بأن الأصل أن يصار من الأثقل إلى الأخف لا من الأخف إلى الأثقل .

٣) وعلى ابن على الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ شارح الكتاب أيضا يسمى « ما عالجت به » اسم الآلة. ثم لا يزيد إلا تعليل اختصاص مفعل بكسر الميم للآلة. ويقول: «لما كان اسم الآلة أقل دورانا فى الكلام من اسمى الزمان والمكان والمصدر اختص الأكثر بالأخف وهو الفتحة » .

٤) ولا يزيد على هذا الزمخشرى فى مفصله ولا ابن يعيش فى شرحه للمفصل .

---

(١) اقرأ نص قرار المجمع فى اسم الآلة وتوضيحه فى باب « قرارات علمية وأخبار مجمعية » فى هذا الجزء .

وكذلك ابن الحاجب فى الشافية وشارحها الإمام الرضى .

وأبو حيان فى الارتشاف يزيد أن اسم الآلة يجىء على«فعال» أيضا مثل: أراث وسراد ولكنه لا يطرد . وينقله السيوطى فى جمع الجوامع. وأرى أن أبا حيان نقل ذلك عن الإمام ابن مالك فى التسهيل كما تعود أن يفعل .

وهكذا يتتابع المتأخرون على النقل والتفسير لا يزيدون . على أن من شراح الشافية المتأخرين من زاد الأمر ضيقا . قال شيخ الإسلام زكريا فى شرحه على الشافية :«والأوزان الثلاثة قياسية لا من حيث أنه يجوز أن يشتق كل منها من أى فعل اتفق وإن لم يسمع، بل من حيث أن كلا منها إذا ورد به السماع من فعل أمكن أن يطلق على ما يمكن أن يستعان به فى ذلك الفعل كالمفتاح فإن كل ما يفتح به الباب يسمى مفتاحا وإن لم يكن الآلة المعروفة بذلك».

وينقل مثله الجاربردى فى شرحه للشافية أيضا فيكاد يوصد الباب ويبطل القياس فى شأن اسم الآلة .

٥) وبجمعنا عنى باسم الآلة عناية كبيرة وناقشه فى ثلاث جلسات هى ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ من جلسات المؤتمر لسنة ١٩٣٤ ولم ينته إلى قرار :

التى فيه الأستاذ عبد القادر المغربى بحثا واسعا جمع فيه كثيرا من الأسماء التى وضعت للدلالة على الآلة ولم تستوف ما شرط النحاة لصوغها . وكان يرمى إلى أن يقرر المجمع صوغ اسم الآلة على زنة مفعال ومفعل ومفعلة من كل فعل ثلاثى أو غير ثلاثى متعد أو لازم ومن بعض الأسماء أيضا .

والمرحوم الشيخ حسين والى قدم بحثا جامعا أحصى فيه أكثر المنقول عن كتب النحاة المتأخرين . وكان يريد أن نلتزم ما شرط النحاة فلا يصاغ مفعال ومفعل ومفعلة لاسم الآلة إلا من فعل ثلاثى متعد .

والبحث لم يتعد الصيغ الثلاثة ولم يعرض لصيغة أخرى تزاد عليها واقتصر على أن يتوسع فى القياس أو لا يتوسع . ومع ذلك لم يصل المجمع إلى قرار ، وكان أكثر الميل إلى عدم التوسع فى القياس .

وفى جلسة ٢٢ من مارس سنة ١٩٥٤ نظر المجمع اقتراحا بأن يقبل صوغ اسم الآلة على فعال لكثرة دورانه على ألسن الناس الآن وشيوعه فى الاستعمال مثل ما يقولون فى ثلاجة وغسالة وهراسة وكسارة . ولم يتخذ المجلس فى ذلك قرارا ، وطلب إلى لجنة الأصول بحث الموضوع ؛ ولكن متابعة المناقشة قد ترى ميلا إلى إقرار ما استعمل الناس إن بدا ما يسوغه .

٦) وفى تتبعى لمجرى هذا البحث لاحظت الأمور الآتية :

أولا : أن سيبويه لم يتوسع فى بحث اسم الآلة ما توسع فى غيره ، وأن اسم الآلة لم يكن كثير الدوران فى كلام العرب ولم تكن حالة الحياة تدعو لشيوعه وتلح على استعماله. وأحصيت ما ورد من صيغ اسم الآلة فى القرآن فلم أجد أكثر من ست كلمات هى :

مصباح — مفتاح — ميثاق — ميزان— ميقات — ميكال .

وردت كلمات أخرى على غير هذه الصيغ قليلة أيضا مثل حجاب وخياط وسقاية .

ثانيا : أن النحاة قد ساروا فى هذا الباب على منهج بحثهم فى سائر الأبواب لا يخرجون على طريق سيبويه ولا يتوسعون إلا بما استقروا فيه من فنون التعليل المنطقى . يقررون بمقتضاه قواعدهم ويتخيرون أحكامهم وإن فارقت الوارد الكثير وخالفت نتائج الاستقراء . فمفعال عندهم أصل ، وإن كان مفعل أكثر دورانا فى الكلام ، وإن قال سيبويه : وقد يجىء على مفعال .

ثالثا : أن المتأخرين كانوا كأسلوبهم فى مناحى تفكيرهم أميل إلى تضييق القياس والركون إلى السماع ، والتحرج من التصرف .

رابعا : أن المجمع كان فيه نزعتان : الأولى الميل إلى التوسع فى القياس وتيسير اللغة للقائلين والرجوع إلى ماورد من اللغة لمناقشة أقيسة النحاة ونقدها . والثانية التمسك بآراء النحاة ونقولهم . وقد شافه العرب متقدموهم وأتيح لهم ما لم يتح لمن بعدهم وخلفوا أقيسة تشهد بنفوذ بصرهم ودقة حكمهم واتساع جهدهم . وكانت النزعة الثانية أغلب على المجمع ويظهر أن هذا الميل يتبدل استجابة لتطور الحياة العربية ونشاطها وكثرة حاجاتها وأنه لا بد للغة من أن تساير هذا النشاط وتتوسع باتساع حاجات الناطقين بها .

٧) وبعد تلك النقول وهذه الملحوظات أعود إلى موضوع البحث وهو استعمال صيغة فعال للدلالة على آلة العمل فأقول :

ا ـ فعال صيغة مبالغة ودلالته على من أو ما يصدر عنه الفعل بكثرة استعمال عربى صحيح.

ب ـ إن صيغتى مفعل ومفعال من صيغ المبالغة أيضا وإن بعض علماء اللغة لاحظ أنهما استعملتا للآلة بما فيهما من معنى المبالغة .

ج ـ إن العرب اعتادت أن تنسب الفعل إلى بعض ما يلابسه أو يلابس الفاعل كالزمان والمكان والآلة ـ قالوا : ليل ساهر ويوم صائم ونهر جار وزند وار وعيشة راضية . فإذا قلت : كوت المكواة ثيابى وحرث المحراث أرضى فهو استعمال عربى سائغ .

د ـ وإذن فاشتقاق صيغة فعالة للدلالة على اسم الآلة نهج عربي صحيح لا وجه لاستنكاره ولا لرد استعماله ، وقد تقدمت لجنة الأصول بقرار يحقق هذا .

وأريد أن أزيد أن تنوع الأعمال وكثرة الآلات جعلت الناس فى مصانعهم وأعمالهم يفرقون بين الآلة والأداة ، ويطلقون الآلة على الجهاز الكامل الذى يعتمد عليه فى الإنتاج . وأن الأداة الجزء الصغير يكون فى هـذه الآلة أو يستعان به فى عمـل جزئى ، فعندهم الجرارة آلة الحرث وتسوية الأرض والمبرد أداة . وأقترح أن تكون صيغة فعالة اسم آلة ، وصيغة مفعل اسم الأداة .

ولا يكون ذلك إلا مظهرا من التطـور اللغوى ، إذ تشيع أداة فى زمن ماثم تشيـع أخرى . وذلك يجرى فى الأدوات كما نرى فى اللغة القديمة النفى كثيرا بإن ولا نراه الآن إلا قليلا فى ألسن الكتاب ، إذ استعيض عنه بالنفى بغير إن من الأدوات الأخرى .

معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم

للأستاذ حامد عبد القادر عضو المجمع

١ — معانى الماضى

جرت عادة النحاة من علماء العربية أن يقسموا الفعل ثلاثة أقسام هى : الماضى ، والمضارع ، والأمر ؛ وأن يعرفوا الماضى بأنه ما دلّ على حدوث فعل قبل زمن التكلم ، والمضارع بأنه ما يدل على حدوث فعل فى الحال أو فى المستقبل ، والأمر بأنه ما يطلب به حدوث فعل فى المستقبل .

ونرجع إلى بعض اللغات الأخرى - كالفارسية والإنجليزية وغيرهما من اللغات الحديثة - فنجد نحاتها يذكرون أنواعا لكل من الماضى والمضارع .

فللماضى فى اللغة الفارسية مثلا خمسة أنواع هى :

١ — الماضى المطلق ، وهو أبسط الأنواع وأعمها فى الدلالة . أما أنه أبسطها فلأن مادته خالية من السوابق وكذلك اللواحق إذا استثنينا الروابط التى تدل على العدد أو على الشخص المتحدث عنه : متكلما كان أو مخاطبا .

وأما أنه أعمها فى الدلالة فلأنه يدل على مجرد وقوع الحدث فى الماضى دون الإشارة إلى قرب أو بعد أو استمرار أو انقطاع أو توكيد أوغيره ، فليس فى صيغته ما يدل على شىء من هذا .

وأبسط صور هذا الماضى المطلق هى صورة الفعل المسند إلى المفرد الغائب أوالمفردة الغائبة ؛ إذ لافرق فى الفارسية بين مذكر ومؤنث ؛ مثل هذه الصيغة فى الفارسية مثل صيغة الماضى المسند إلى المفرد الغائب فى العربية .

ومن هذه الصيغة تؤخذ الصور الأخرى بإضافة اللواحق أو الروابط المناسبة ؛ فهم يقولون : رفت مثلا يريدون ذهب أو ذهبت ، ويقولون « رفتى » يريدون ذهبتَ أو ذهبتِ ، ويقولون « رفتم » يريدون ذهبت ، و « رفتند» بمعنى ذهبا أو ذهبتا أو ذهبوا أو ذهبن ، و« رفتيد » بمعنى ذهبتما أو ذهبتم أو ذهبتن .

٢ — الماضى الاستمرارى أو التعودى أو النقلى :

ويدل على حدوث الفعل فى الزمن الماضى على سبيل الاستمرار أو التعود لمدة معينة . ويؤخذ من الماضى المطلق بإضافة السابقة « مى »

إليه، فيقولون: ميرفت - وميرفى - وميرفتم - وميرفتند - وميرفتيد - وميرفتيم؛ بمعنى كان يذهب أو كانت تذهب - وكنت تذهب أو كنت تذهبين - وكنت أذهب - وكانوا يذهبون - وكنتم تذهبون - وكنا نذهب - على الترتيب، مع عدم التفرقة بين المثنى والجمع، ولا بين المذكر والمؤنث فى جميع الحالات.

ولهم فى الدلالة على هذا المعنى نفسه طريقة أخرى، وهى إضافة اللاحقة «ى» الياء الساكنة المكسور ماقبلها إلى آخر الفعل، فيقولون مثلا: «رفتمى» بمعنى كنت أذهب.

٣ ــ الماضى القريب أو المؤكد:

ويدل على حدوث الفعل فى الماضى إما فى وقت قريب وإما على سبيل التأكيد. ويتركب الماضى القريب فى الفارسية من جزأين: الأول اسم المفعول من الفعل المراد التعبير عن حدوثه، والثانى الرابطة المطولة وهى: «أست» للغائب و «اى» للمخاطب، و «أم» للمتكلم، و «أند» لجمع الغائبين، و «إيد» لجمع المخاطبين، و «إيم» لجمع المتكلمين. فإذا أرادوا أن يقولوا قد ذهب جاءوا باسم المفعول من رفت وهو رفته، ثم أضافوا إليه الرابطة المطولة المناسبة فقالوا: رفته أست، ورفته اى، ورفته ام، ورفته اند، ورفته إيد، ورفته إيم بمعنى: قد ذهب، وقد ذهبتَ، وقد ذهبتُ، وقد ذهبوا، وقد ذهبتم، وقد ذهبنا، على الترتيب.

٤ ــ الماضى البعيد:

ويستعمل للدلالة على حدوث فعل قبل غيره فى الماضى: أى أنه إذا حدث فعلان فى الماضى أحدهما قبل الآخر عبر عن الفعل الأول السابق بصيغة الماضى البعيد، وعن الثانى اللاحق بصيغة الماضى المطلق؛ كأن تقول: حينما وصلت إلى الدار كان أبى قد خرج منها؛ فهنا فعلان حدثا فى الماضى، وهما وصولى إلى الدار، وخروج أبى منها. وقد وقع الفعل الثانى قبل الأول، وتستعمل صيغة الماضى البعيد للدلالة على الفعل السابق.

ويتركب الماضى البعيد فى الفارسية من جزأين: الأول اسم المفعول الآنف ذكره. والثانى ماضى فعل الكينونة وهو «بود» متصرفا بحسب الأحوال. فيقولون: رفته بود، ورفته بودى، ورفته بودم. ورفته بودند، ورفته بوديد، ورفته بوديم - بمعنى: كان قد ذهب، وكنتَ قد ذهبتَ، وكنتُ قد ذهبتُ، وكانوا قد ذهبوا، وكنتم قد ذهبتم، وكنا قد ذهبنا، على الترتيب.

٥ ــ الماضى الاستقبالى:

ويدل على أن فعلين سيحدثان فى المستقبل أحدهما قبل الآخر، وتستعمل صيغة الماضى الاستقبالى للدلالة على السابق من الفعلين، كأن تقول: حينما تصل إلى الدار فيكون أخوك قد خرج منها.

وسميت هذه الصيغة صيغة الماضى الاستقبالى لأن ما تدل عليه — وإن كان سيقع فى المستقبل — سيكون فى حين الماضى عند وقوع الفعل الآخر . فمع أن وصولك إلى الدار وخروج أخيك منها سيقعان فى المستقبل فإن خروج أخيك سيكون قد انتهى قبل وصولك .

ويتركب الماضى الاستقبالى فى الفارسية من جزأين الأول : اسم المفعول السابق ذكره ، والثانى : المضارع المصدرى من فعل الكينونة ، وهو باشد متصرفا على حسب الأحوال ، فيقولون : رفته باشد ، ورفته باشى ، ورفته باشم ، ورفته باشند ، ورفته باشيد ، ورفته باشيم . بمعنى سيكون قد ذهب ، وستكون قد ذهبتَ ، وسأكون قد ذهبت ، وسيكونون قد ذهبوا ، وستكونون قد ذهبتم ، وسنكون قد ذهبنا ... على الترتيب .

وقد تستعمل هذه الصيغة للدلالة على الاحتمال فيكون معناها : ربما يذهب ، وهكذا .

هذه هى أنواع الفعل الماضى المستعملة فى كثير من اللغات الحديثة ، ولا شك أن كلا منها — عدا النوع الأول — يفيد معنى زائدا على مجرد وقوع الفعل فى الماضى .

وقد رأيت فيما مضى أنه من الممكن فى اللغة العربية التعبير عن هذه المعانى الإضافية كلها باستعمال صيغ خاصة .

وليس هذا مقصورا على العربية الحديثة التى قد يقال إنها متأثرة باللغات الحديثة الأخرى ، بل إننا نجد فى القرآن الكريم أمثلة كثيرة لكل نوع ما عدا النوع الخامس .

١ — أما الماضى المطلق فله فى كتاب الله تعالى أمثلة كثيرة لا تكاد تحصى ؛ فمن ذلك قوله تعالى : « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا (١) » .

وقوله : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى (٢) » .

وقوله : « قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإنى خفت الموالى من ورائى (٣) » .

---

(١) يوسف : ٥ - ٦

(٢) النمل : ٤١

(٣) مريم : ٤ - ٥

٢ — وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة للماضى الاستمرارى أو التعودى ، وذلك نحو قوله تعالى : « وإذا جاءوكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون (١) . »

وقوله : « لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون(٢). »

وقوله : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة . كانا يأكلان الطعام (٣). »

وقوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (٤) ؟ »

(١) المائدة : ٦٥ - ٦٧
(٢) المائدة : ٨٢ - ٨٣
(٣) المائدة : ٧٩
(٤) التوبة : ٦٧

وكأن تقول : « كان محمد يتعبد بغار حراء ، وكان الوحى ينزل عليه ، وكانت خديجة تواسيه وتشفق عليه . أما المشركون فكانوا يكذبونه ويؤذونه » .

ومن هذه الأمثلة نعرف أن الماضى الاستمرارى فى العربية يتركب من جزأين : الأول ماضى فعل الكينونة ، والثانى المضارع الدال على الفعل الأساسى المراد التعبير عنه .

ويجب أن يتحد المسند إليه فى الفعلين من حيث العدد والنوع والشخص .

٣ — ومن السهل أن نأتى من القرآن الكريم بعدة أمثلة للماضى المؤكد ؛ فمن ذلك قوله تعالى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ؛ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك (١) . »

وقوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح (٢). »

وقوله : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون (٣) . »

وقوله : « قد أفلح من تزكى (٤) . »

وقوله : « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها (٥) . »

(١) النساء : ١٥٣
(٢) الأنفال : ٢٠
(٣) المؤمنون : ٢
(٤) الأعلى : ١٥
(٥) الشمس : ١٠

ومن هذه الأمثلة نرى أن تأكيد حدوث الفعل فى الماضى يتم فى العربية باستعمال الأداة « قد » قبله .

وتمتاز هذه اللغة الشريفة بأنه من الممكن زيادة هذا التأكيد إذا اقتضى الحال ، وذلك بإضافة لام التأكيد قبل « قد » كما فى قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم(١) . »

وقوله : « ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون (٢) . »

ونحاة العربية متفقون على أن « قد » تفيد التحقيق مع الماضى ، والتحقيق هو التأكيد .

ومما يحسن ذكره فى هذا المقام أن استعمال « قد » فى هذا المعنى من مميزات اللغة العربية ، وأن هذه الأداة منقولة — فى رأى كثير من علماء اللغة — عن الفعل قدّ بمعنى قطع ، ومن ثم أفادت القطع أو التأكيد .

٤ — ونمثل للماضى البعيد بقوله تعالى فى نوح عليه السلام : « وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر (٣) . »

فهنا أمران وقعا فى الماضى : الأول حمل الله تعالى لنوح على السفينة ، ونجاته من الغرق . والثانى كفر قوم نوح به . ولما كان الكفر قد حدث قبل النجاة فقد عبر عنه بصيغة الماضى البعيد ، المكونة من فعلين هما : ماضى فعل الكينونة وهو كان ، والفعل المراد التعبير عنه فى صيغة الماضى وهو كفر . أما الأمر اللاحق وهو نجاة نوح عليه السلام بحمله على السفينة ، فقد عبر عنه بصيغة الماضى المطلق وهو حملناه ...

وهنا إشارة لطيفة يفيدها قوله تعالى : « جزاء لمن كان كفر » : تلك هى تنبيه الأذهان إلى إدراك الفرق الواضح بين حالى نوح عليه السلام : حاله حين كفر به قومه وسخروا منه وهو يصنع الفلك ، وحاله حين حمله الله تعالى على السفينة نفسها التى كان يصنعها وأنجاه من الغرق ؛ فكأن الله تعالى يقول : « إن هذا النبى الذى حملناه على سفينة الخشب التى كان يصنعها ، هو نفسه الذى كفر به قومه وسخروا منه حين كان يصنع السفينة نفسها » .

وكثيرا ما نجد القرآن الكريم يستعمل للدلالة على هذا المعنى الماضى المؤكد متبوعا بالظرف « قبل » أو « من قبل » .

(١) التوبة : ١٢٠
(٢) الصافات : ١٥٩
(٣) القمر : ١٤ - ١٥

كما فى قوله تعالى عن فرعون : « فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (١) . »

وقوله : « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق (٢) . »

وقوله : « وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل (٣) . »

وقوله : « وهذا ذكر مبارك أنزلناه ، أفأنتم له منكرون ، ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل (٤) . »

وقد يجمع بين الأمرين فيؤتى بصيغة الماضى البعيد متبوعة بالظرف مجرورا بمن كما فى قوله تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار (٥) . »

وكذلك قوله : « أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٦) . »

فإن المضارع المنفى بـ « لم » بمثابة الماضى المنفى بـ « ما » ؛ فقولك لم أكن فعلت هذا بمثابة قولك ما كنت فعلت هذا .

٥ — أما النوع الخامس من أنواع الماضى وهو الماضى الاستقبالى فهو نادر الاستعمال وليس له - فيما أعلم - مثال فى القرآن الكريم ، ومع ذلك فقد نكون فى حاجة إليه حينما نريد أن نبين أن حدثين سيقعان فى المستقبل أحدهما قبل الآخر كأن نقول : حينما تكون الساعة العاشرة تكون الحفلة قد انتهت . ومن الممكن التعبير عن المعنى نفسه بأن نقول : لا تنتهى الساعة العاشرة إلا وقد انتهت الحفلة .

والماضى الاستقبالى يتركب من جزأين : الأول مضارع فعل الكينونة ، والثانى فعل ماض يدل على وقوع الفعل المراد التعبير عنه ، ولا بد من اتحاد الفعلين فى العدد والشخص والنوع كما ترى .

الآن وقد بينا أن اللغة العربية قادرة على التعبير عن جميع المعانى الإضافية التى يفيدها الفعل الماضى — على اختلاف أنواعه التى أوضحناها — نقول إن هذه اللغة الحافلة بالعجائب والأسرار تفوق اللغات الحية فى استعمال الماضى لأغراض أخرى .

وفى مقدمة هذه الأغراض أن الماضى يستعمل لما سيقع فى المستقبل ، أى أنه يحل محل المضارع إذا دل السياق على ذلك ؛ كما فى قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه (١) . »

---

(١) يونس : ٩٢
(٢) يوسف : ٣
(٣) القصص : ١٢ - ١٣
(٤) الأنبياء : ٥١ - ٥٢
(٥) الأحزاب : ١٦
(٦) إبراهيم : ٤٥

---

(١) النحل : ١

وقوله : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت (١) . »

وقوله : « ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (٢) . »

واستعمال الماضى بدلا من المضارع إنما يكون - كما يقول علماء البلاغة - لنكتة بلاغية هى تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضى للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة ، مثلها فى تحقق وقوعها فى المستقبل مثل حوادث الماضى التى وقعت وأصبحت حقائق واقعية .

وقد يستعمل الماضى مجردا عن الزمان فى عدة حالات منها :

(١) الفعل « كان » إذا أسند إلى الله تعالى نحو : « وكان الله غفوراً رحيما » .

(١) الزمر : ٦٩ — ٧٠

(٢) يس : ٥٢ - ٥٣

(٢) أى فعل ماض آخر إذا أسند إلى الله تعالى ودل على ظاهرة كونية تتجدد أو على حدث عادى يتكرر . أما الأول فنحو قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون (١) »

وقوله : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها (٢) ... » الآية

وقوله : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (٣) . »

وقوله : « الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار .(٤)

(١) البقرة : ١٨

(٢) البقرة : ١٦٥

(٣) النحل : ١١

(٤) إبراهيم : ٣٣ - ٣٤

وقوله : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه (١). »

وأما الثانى فنحو قوله عز وجل : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها (٢) . » الخ

(٣) الماضى فى جمل شرطيه شرطا كان أو جزاء كما فى قوله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم (٣) . »

وقوله : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى (٤) . »

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

(١) الحجر : ٢٢
(٢) النحل : ٨١ - ٨٢
(٣) الإسراء : ٨
(٤) النساء : ١٤٢

« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان . »

٤ - الماضى المستعمل للتعظيم أو الدعاء أو التمنى ، كما فى قوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده (١) »

وقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم (٢). »

وكأن تقول : « أيد الله عز وجل حكومتنا الرشيدة بروح من عنده » .

من هذا كله يتبين لنا أن ما يقوله النحاة فى تعريف الفعل الماضى فى حاجة إلى التعديل .

أما استعمال المضارع فى القرآن الكريم ، فسأتحدث عنه فى مقال آخر إن شاء الله ؟

(١) الفرقان : ١
(٢) التوبة : ٤٥

الوصف وفعله

للأستاذ محمد على النجار
عضو المجمع

لا تنكر الصلة بين الوصف وفعله . والوصف قد يدل على الذى قام به حدث فعله أو وقع منه ، وهذا هو اسم الفاعل ، ويلتحق به الصفة المشبهة باسم الفاعل . وقد يدل على الذى وقع عليه حدث فعله ، وهذا هو اسم المفعول . وقد يدل على زيادة الحدث ، وهو اسم التفضيل . وهذا لا يعنينى فى البحث .

وقد اشتهر أن الوصف يهدى إلى فعله . وبنى على هذا أن الوصف إذا ورد فى العربية ساغ لنا أن نضع فعله المناسب له ونعتده فى العربية .

وأساس هذا الأصل قول ابن جنى ـ تبعا لأستاذه أبى على الفارسى ـ : « إذا صحت الصفة فالفعل فى الكف » .

وابن جنى عرض لهذا المبحث فى ثلاثة مواطن فى الخصائص فى الجزء الأول .

الموطن الأول فى « باب فى تعارض السماع والقياس » وفيه يقول فى ص ١٢١ :

«قال لى أبو على بالشأم : إذا صحت الصفة فالفعل فى الكف » .

والموطن الثانى فى « باب فى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» . وفيه يقول فى ص ٣٥٧ : « إن المعرب قد تتصرف فيه العرب كما تتصرف فيما وضعته ٠ وأورد من هذا أنها تشتق من الأسماء الأعجمية ؛ كما اشتق رؤبة سختيتا من السخت فى قوله :

هل ينجينى حلف سختيت

أو فضة أو ذهب كبريت(١)

فسختيت اشتق من السخت ، وهى كلمة فارسية بمعنى قوى . وأورد أيضا الاشتقاق من الدرهم ـ وهو فى الأصل أعجمى (٢) ـ فحكى

---

(١) ذهب كبريت ، أى : ذهب أحمر .

(٢) نقله العرب عن الفارسية . ولا يزال الدرهم فى النقد اليونانى . وهو عندهم دراخمى DRACHME

عن ابن الأعرابي أنه يقال : درهمت الخبازى(١) أى صارت مستديرة كالدراهم . ويقول ابن جنى : «فاشتق من الدرهم-وهو اسم أعجمى- وحكى أبو زيد : رجل مدرهم ، قال : ولم يقولوا منه : دُرْهِم ؛ إلا أنه إذا جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل فى الكف» .

والموطن الثالث فى «باب(٢) فى امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس» . فقد أورد فيما يجوز فى القياس ولم يرد به الاستعمال: «رجل مدرهم» ، وهو يقول : «ومما يجوز فى القياس ، وإن لم يرد به استعمال ، الأفعال التى وردت مصادرها ورفضت هى ؛ نحو قولهم : فاظ الميت يفيظ فيظا وفوظا ، ولم يستعملوا من فوْظ فعلا ؛ وكذلك الأين للإعياء ، لم يستعملوا منه فعلا(٣) . قال أبو زيد : وقالوا : رجل مدرهم ولم يقولوا : دُرْهِم . وحدثنا أبو على - أظنه عن ابن الأعرابى - أنهم يقولون : درهمت الخبازى ، فهذا غير الأول .

وقالوا : رجل مفئود ، ولم يصرفوا فعله ، ومفعول الصفة إنما يأتى على الفعل ؛ نحو مضروب من ضُرب ، ومقتول من قُتل» .

ورجل مدرهَم أى كثير الدراهم . ومفئود أى جبان ضعيف كأنه لا فؤاد له . وقد ورد فأده أى أصاب فؤاده ، فيكون إطلاق المفئود على الجبان على التشبيه بمن أصيب فؤاده .

وقد يكون ابن جنى لم يصح عنده هذا الفعل ، ويريد بقوله : «فهذا غير الأول» أن «درهمت الخبازى» فيه الفعل مبنى للفاعل ، و «مدرهَم» من المبنى للمفعول . فمدرهم ليس من دَرْهَم اللازم الوارد ، وإنما يكون من دُرْهِم الذى لم يسمع .

ويعنينى فى هذا البحث أن أبين أن الوصف قد يرد فى اللغة ، ولا يسوغ مع هذا استعمال الفعل . فإذا رأينا فى المعاجم أو فيما صح فى العربية وصفا فلا ينبغى أن نبادر إلى أخذ الفعل منه واستعماله ، ومن الخير أن نتثبت ونحتاط فى الأمر ، فلعل بعض الموانع يقوم فى وجه الفعل .

١ - فقد يكون الوصف غير جار على فعله . ويعبر عنه النحويون بأن يأتى على وجه النسب . وأكثر ما يكون ذلك فى اسم الفاعل ويقل أن يأتى فى اسم المفعول . وذلك أن الوصف إذا خرج مخرج النسب فقياسه (٤)

(١) هى من النبات . ومن لغاتها الخبيز . وهى معروفة فى مصر بهذا الاسم الأخير .
(٢) ص ٣٩١ وما بعدها .
(٣) أثبت أصحاب المعاجم للفوظ والأين فعليهما .
(٤) الاقتضاب ١٦٠ . وانظر الخصائص ١ / ١٥٢

أن يجيء المفعول منه على صيغة لفظ الفاعل، ألا تراهم قالوا : عيشة راضية ومعناه : مرضية ، وماء دافق ومعناه مدفوق .

وإنما لزم أن يجيء المفعول من هذا الباب على صيغة لفظ الفاعل لأن الفعل ينسب إليه كنسبته إلى الفاعل ، فيقال : رجل ذو رضا وعيشة ذات رضا ، ورجل ذو دفق وماء ذو دفق.

فلما تساويا فى نسبة الفعل إلى كل واحد منهما على صورة واحدة وجب أن تكون صيغة اسميهما واحدة . ونظير تساوى الفاعل والمفعول فى الاسم المصوغ لهما ـ لتساويهما فى الفعل المسند إليهما ـ تساويهما فى الإعراب حين تساويا فى إسناد الحديث إليهما . فقالوا : ضُرِب زيد فرفعوه وهو مفعول حين حدثوا عنه كما يتحدث عن الفاعل . وكذلك مات زيد وضُرِب الضرب ، والضرب لا يُضرَب . وعلى هذا المجرى كلام العرب :

قال علقمة :

فظل الأكف يختلفن بحانذ
إلى جؤجؤ مثل المداك المخضب(١)

يريد : اللحم المحنوذ .

وقال آخر :

لقد عيل الأيتام طعنة ناشره
أناشر لازالت يمينك آشره(٢)

أى مأشورة .

ومن أمثلة ما جاء للنسب على صيغة فاعل : لابن وتامر: أى ذو لبن وذو تمر . وتامج أى ذو تاج ، ولا يستعمل من هذه الأوصاف فِعل ، فلا يقال : لَبَنَ ولا تَمَرَ ولا تَاجَ .

ومما جاء على فاعل للنسب ومعناه المفعول : فاقد(٣) فى معنى مفقود ، والساحل ، وإنما هو مسحول لأن الماء سحله أى قشره ، ودابة حاسر أى حسرها السير .

ومما ورد على مفعول للنسب قولهم : مكان مأنوس . وفى اللسان : « إنما هو على النسب . لأنهم لم يقولوا : أنَستَ المكان ولا أنِسْتُه . فلما لم نجد له فعلا وكان النسب يسوغ فى هذا حملناه عليه . قال جرير :

حى الهدملة من ذات المواعيس
فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس (٤)

(١) قبله : فقلنا ألا قد كان صيد لقانص فخبوا علينا فضل برد مطنب
والجؤجؤ : الصدر . والمداك : الصخرة يسحق عليها الطيب . يقول : إنه ظفر بصيد ، فأمر الغلمان أن ينصبوا خباء يستظلون به ، وشووا الصيد فاختلفت أكفهم إليه ظافرة بالحنيذ منه الواصل إلى صدر المصيد ، وجعل الصدر بما عليه من الودك كالمداك إذا خضب بالطيب .

(٢) ناشرة من بنى تغلب قتل همام بن مرة فى يوم واردات . وانظر التعليق على الخصائص ١/١٥٢

(٣) المخصص ١٥/٧٠ و ١٦/١٢٨

(٤) الهدملة وذات المواعيس والحنو : مواضع .

ومن هذا حجاب مستور، ورجل مرطوب، ومكان مهول، وجارية مغنوجة .

ذكر أبو حيان فى البحر (١) أن هذه الأوصاف جاءت على النسب فى بعض الأوجه، وهو يقول: «والظاهر إقرار (مستورا) على موضوعه من كونه اسم مفعول أى مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه، أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم، أو نسب الستر إليه لما كان مستورا به. قاله المبرد، ويئول معناه إلى أنه ذو ستر، كما جاء فى صيغة لابن وتامر أى ذو لبن وذو تمر. وقالوا: رجل مرطوب أى ذو رطوبة، ولا يقال: رَطَبته. ومكان مهول أى ذو هول وجارية مغنوجة، ولا يقال: هُلت المكان ولا غَنَجْت الجارية. وقد أنكر بعض اللغويين أن يقال: أمر مهول، وإنما يقال: هائل.

ومن ورود الصفة المشبهة على معنى النسب نَهِر أى يعمل بالنهار، قال الراجز.

لست بليلى ولكنى نهِرْ
لا أدلج الليل ولكن أبتكرْ (٢)

ومن هذا دنف عند سيبويه، وفى المخصص ٥/٦٦: «سيبويه: أدنف ولا يقال: دنِف، وإن كانوا قد قالوا: دنف يذهب به إلى النسب». وقد أثبت غير سيبويه دنِف: أى مرض فعلا.

٢ ــ وقد يرد اسم المفعول مع الفعل اللازم، ولا يرد فعله المتعدى. ولا يسوغ لنا حينئذ صوغ المتعدى، استغناء باللازم، وقد نص ابن جنى وغيره على أنه إذا طرح فعل للاستغناء عنه بآخر لا يجوز استعمال ما هجرته العرب، فإن ما اطرحته العرب يجب اطّراحه.

وعقد ابن جنى فى الخصائص بابا (٣) فى الاستغناء بالشىء عن الشىء، صدره بقوله: «قال سيبويه: واعلم أن العرب قد تستغنى بالشىء عن الشىء، حتى يصير المستغنى عنه مسقطا من كلامهم البتة».

وأكثر ما يكون هذا الضرب فيما دل على داء أو عيب.

وقد جاء فى اللغة من هذا قدر صالح. فمنه: مأدور ومضعوف ومحرور ومأبوت، وأرض مرشوشة.

فمأدور فعله الوارد أدِر الرجل أى انتفخت خصيته. والوصف الجارى على الفعل

(١) ج ٦ ص ٤٢
(٢) انظر كتاب سيبويه ٢/٩١
(٣) ج ١ ص ٢٦٦

آدر . ويقال : رجل مضعوف إذا كان فى عقله ضعف ، ولم يأت منه فعل متعد . ويقال : رجل محرور أى حرّان .

وفى اللسان : « والحرير المحرور الذى تداخلته حرارة القيظ وغيره ، وفعله لازم ، يقال : حررت تحير . ولا يقال : رجل مأبوت أى محرور وإنما يقال : أبت اليوم ، كسمع ونصر وضرب ، أى اشتد حره ، وقد انفرد القاموس بذكر مأبوت ولم يرد فى اللسان : وأرض مرشوشة : أصابها رش وهو أول المطر .

ولايقال: بعير معجوف أى أعجف هزيل غير سمين ، وإنما يقال : عجف ؛ كفرح وكرم . ويقال : بعير مغيوم ، أى به الغيم ، وهو داء يصيب الإبل ، كالقُلاب وهو وجع القلب . ولا يقال: يوم مغيوم أى فيه غيم . ومما ورد فيه قول علقمة الفحل فى قصيدة مفضليته يصف الظليم :

حتى تذكر بيضات وهيجه

يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم

يذكر أن الظليم ـ وهو ذكر النعام ـ كان يرعى ، فلما أرذّت السماء تذكر بيضاته . وكان تركها فى الأدحىّ ، وخشى أن يضرها المطر ، فهيجه ذلك إلى الرواح ليدرك بيضاته ، ووصف يوم الرذاذ بأنه مغيوم ، وإنما يقال : غامت السماء وغيمت ، ولم يأت منه المتعدى .

وهنا يعن للباحث أن يسأل :

ما بال العرب صاغت اسم المفعول مع الفعل اللازم ؟

ويبدو لى فى الجواب أن العرب يذهبون فى نحو مضعوف إلى أنه مصاب بالضعف مرمى به ، فهذا فيه معنى غير ما فى معنى ضعيف ؛ كما قالوا فى قول النابغة يصف ناقة :

مقذوفة بدخيس النحض بازلها

له صريف صريف القعو بالمسد

إن المعنى أنها مرمية باللحم . وفى اللسان (قذف) : «يقال : قُذِفت الناقة باللحم قذفا ، ولُدِست به لَدْسا ، كأنها رُميت به رميا فأكثرت منه » .

فأدرر : مصاب بالأدرة ، ومحرور : مصاب بالحرة ، وهكذا .

وقد أشار اللغويون إلى هذا المعنى . فيقول ابن سيده فى المحكم (ج ر د) ، ونقله صاحب اللسان : « فأما ما حكاه أبو عبيد من قولهم أرض مجرودة من الجراد فالوجه عندى أن يكون : مفعولة من جردها الجراد ، كما تقدم . والآخر أن يعنى بها كثرة الجراد ؛ كما قالوا :

أرض موحوشة : كثيرة الوحش فيكون على صيغة مفعول من غير فعل إلا بحسب التوهم كأنه جردت الأرض ، أى حدث فيها الجراد أو كأنها رميت بذلك . ومن هذا كان الأصل فى الباب للعيوب والأدواء .

وقد يحمل ضد العيب على العيب فيصاغ اسم المفعول مع الفعل اللازم . ومن هذا - عندى - مكان مأنوس ، جاء على مكان موحوش وأرض موحوشة إذ كان ضده . وحمل الضد على الضد مألوف فى العربية . ومنه قولهم : عدوة بالتأنيث حملا على ضده صديقة ، ولولا هذا لما ساغ التأنيث ، كما لا يقال فى صبور : صبورة . ومما جاء من هذا الباب قول الشاعر :

إذا رضيت على بنو قشير
لعمر الله أعجبنى رضاها

فقد عدى رضى بـ «على» حملا على ضده سخط ، والمألوف أن يعدى بـ «عن» ، كما فى قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

ومن باب مأنوس قولهم : رجل ملبوب ، أى موصوف باللبابة والعقل ، جاء على صيغة ضده : مضعوف ، وفعله لببت ولببت أى من بابى كرم وفرح .

ومما جاء على أصل الباب - وهو العيوب وما جرى مجراها - قول الفقهاء للعبد : مرقوق أى مصاب بالرق ، وإنما يقال : رق العبد ، ولا يقال : رقه مالكه . وفى شفاء الغليل : « استعمله الفقهاء . وقالوا : لم يسمع عن أئمة اللغة رقه حتى يشتق منه مرقوق . وردّ بأن الأزهرى حكى عن ابن السكيت أنه جاء عبد مرقوق ، وهو ثقة » .

ويكثر هذا الضرب فى الثلاثى ، ويقل فى غيره : أن يرد اسم المفعول مع الفعل اللازم .

ومما جاء من غير الثلاثى قولهم : ألفجَ الرجلُ أى أفلس . جاء الوصف على ملفج بكسر الفاء على الأصل . وجاء أيضا ملفج بفتح الفاء . وفى الحديث : أطعموا ملفجيكم أى فقراءكم . فالملفج جاء على صيغة اسم المفعول ، ومعناه : المصاب بالإلفاج .

ومنه قولهم : أسهب الرجل أى أكثر الكلام . يجىء الوصف منه على مسهب بكسر الهاء على الأصل . وجاء أيضا مسهب بفتح الهاء .

وفى اللسان : « قال ابن برى : قال أبو على البغدادى : رجل مسهب - بالفتح - إذا أكثر الكلام فى الخطأ . فإن كان ذلك فى صواب فهو مسهب بالكسر لا غير » .

وكأن رأى أبى على القالى هو الذى اعتمد عليه الأعلم الشنتمرى فى جوابه على سؤال سلطان الأندلس المعتمد بن عباد فى الفرق بين الصيغتين .

وانظر نفح الطيب (الباب السابع ج ٢ ص ٣٨٣ من الطبعة الأزهرية) وكتاب « ليس فى كلام العرب » ص ١٣ بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

ومن هذا قولهم : أجرأشّت الإبل إذا سمنت وامتلأت بطونها . ويقال : إبل مجرأشّة على صيغة المفعول . وكأن مأتى هذا أن رجلا سمنت إبله فخال سمنها داء فصاغ الفعل على هذا .

وقد عد من هذا الباب أحصَن الرجل فهو محصن . وهذا عند التحقيق ليس منه ، فإنه يقال : أحصن الرجل ـ لازما ـ أى تزوج أو عفّ ، والوصف محصِن بكسر الصاد . ويقال أيضا : أحصن الرجل نفسه فهو محصن . وهكذا يقال فى المرأة . والأصل فى هذا : الحصن أى العفة والتصون ، والحاء فى الحصن مثلثة . وأذكر بذكر الحصن ـ وهو النزاهة عن الريبة ـ محاورة (١) بين بنت وأمها .

فقدقصت البنت على أمها ـ بتبجح ـ بتصونها أنها لقيت شابا فحثت فى وجهه التراب كيلا يطمع فيها . فقالت لها أمها الجربة الحكيمة : كان الخير لك ألا تعرضى له وأن تتجنبيه البتة . وهذا معنى ما جرى بينهما . فأما لفظه فقد قالت البنت :

«يا أمتى أبصرنى راكب
يسير فى مسحنفر لاحب
مازلت أحثو الترب فى وجهه
عمدا وأحمى حوزة الغائب»

(١) انظر اللسان فى (أيا) .

فقالت أمها :

« الحصن أدنى ـ لو تأبيته ـ
من حثوك الترب على الراكب »

تأبيته : قصدته . والمسحنفر : الواسع . واللاحب : الطريق الواضح .

٣ ـ وقد يأتى اسم المفعول من اللازم حملا على ما هو فى معناه أو ضده من المتعدى .

وقد حمل بعضهم على هذا معكوفا فى قوله تعالى فى سورة الفتح : « هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله » . معكوفا : أى محبوسا ،

وينكر بعضهم ورود عكفه أى حبسه ، فيجعل صوغ معكوف من اللازم لأنه فى معنى محبوس . ويرى بعضهم ورود عكفه ، فلا يحتاج إلى هذا التأويل . ومن هذا قولهم : رجل مفروح من فرح اللازم حملا على ضده : محزون ، وقولهم : رجل مبخوت ومجدود حملا على ضدهما : محروم .

٤ ـ وقد يأتى اسم المفعول من الفعل اللازم على حذف الصلة ، ويعرف هذا عندهم بالحذف والإيصال . ومن هذا الضرب قولهم : أمر مشترك أى مشترك فيه . وفى المصباح : « وطريق مشترك بالفتح ، والأصل مشترك فيه . ومنه الأجير المشترك ، وهو الذى لا يخص

أحدا بعمله، بل يعمل لكل من يقصده بالعمل؛ كالخياط فى مقاعد الأسواق». ومنه ـ عند ابن جنى (١) ـ المبروز فى قول لبيد:

فكأن معروف الديار بقادم
فبراق غول فالرجام وشوم

أو مذهب جدد على ألواحه
الناطق المبروز والمختوم

قادم وبراق غول والرجام: مواضع. والوشوم جمع الوشم، والمذهب: اللوح المطلى بالذهب، وجدد جمع جدة وهى الطريقة، والمبروز: المظهر المشهور، والمختوم: الغامض. يريد بالمبروز الخط الواضح والمختوم الخفى منه. شبه المعروف من آثار الديار بالوشوم أو باللوح الذى فيه كتابة، بعضها واضح وبعضها خفى. ويقول ابن جنى: «أى المبروز به، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول».

وجعل ابن جنى من هذا الباب موثوقا فى قول بشر بن أبى خازم:

لئن شبت الحرب العوان التى أرى
وقد طال إبعاد بها وترهب

لتحتملنْ بالليل منكم ظعينة
إلى غير موثوق من العز تهرب

ويقول ابن جنى: «أى موثوق به، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول».

٥ ـ وقد وردت فى اللغة ألفاظ على صيغة اسم المفعول ـ على غير الوجه فيها ـ عرض لها العلماء. فمن هذا قولهم فى المثل: كل مُجْرٍ فى الخلاء مُسَرٌّ. قال ابن سيده، كما فى اللسان (سرر): «هكذا حكاه أفتار بن لَقيط، إنما جاء على توهم أسر؛ كما أنشد الآخر فى عكسه:

وبلد يغضى على النعوت
يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد: المثبت، فتوهم ثَبَتَه، كما أراد الآخر: المسرور، فتوهم أسرّه».

وقد نسب ابن سيده حكاية المثل إلى أفار لأن المعروف فيه: كل مجر فى الخلاء يسر، وهذا واضح لا شىء فيه.

وقوله فى البيت «كإغضاء الروى»: ضبط فى اللسان بضم راء الروى. والظاهر أنه الروا بكسر الراء مقصور الرواء، وهو الحبل يشد به الرحل.

ويريد بالبلد صحراء مبهمة.

وقوله: يغضى على النعوت أى لا ينفع السائر فيه أن ينعت له ويوصف طرق السير فيه، فهو يغضى ولا يستجيب لذلك.

(١) انظر الخصائص ١/١٩٣

ومن هذا محصول الشيء للحاصل منه . وفى شفاء الغليل (حرف الميم) : « محصول بمعنى غلة ليس مولدا ، كما توهم . قال ابن يعيش : مفعول يكون اسما ؛ كمعقول بمعنى العقل ومحصول بمعنى الحاصل ، وهو البقية . انتهى . قلت : أو مفعول للنسبة » .

ويقول الزمخشرى فى أساس البلاغة :
« وهذا محصول كلامه ومحصول مراده . وفيه وجهان : أحدهما أن يكون مصدرا ؛ كالمعقول والمجلود، وضع موضع الفاعل ؛ كما وضع صوم وفطر موضع صائم ومفطر ، والثانى أن يقال : حصّله بمعنى حصّله من قول العباس بن مرداس :

يا جسر إن الحق بعد حصله
له فضول يهتدى بفضله
يبينه الجاهل بعد جهله » .

هذا كلام الزمخشرى . والظاهر أن « حصله » فى الشعر بمعنى حصوله ، مصدر حصل اللازم ، وهذا كالسكت والسكوت لسكت اللازم .

وفى مستدرك مادة (س ق ط) من التاج :
« وفى الحديث : مر بتمرة مسقوطة . قيل : أراد : ساقطة ، وقيل : على النسب أى ذات سقوط . ويمكن أن يكون من الإسقاط ، مثل أحمّه الله فهو محموم » .

وفى شفاء الغليل : « مسقوطة بمعنى ساقطة ليس بخطأ » .

وفى البخارى : مر بتمرة مسقوطة ، قال الشراح : القياس ساقطة ، لكنه قد يجعل اللازم متعديا بتأويل . وقد يقال : سقط جاء متعديا بدليل « سُقط فى أيديهم » وكأنه يريد بالتأويل التضمين ، فيضمّن سقط معنى رمى أو ألقى . ولا دليل فى قوله تعالى « سُقط فى أيديهم » على التعدى ؛ فإن الفعل مسند إلى الصلة ، ويستوى فى هذا اللازم والمتعدى .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : « الفاء والكاف واللام كلمة واحدة . وهى الأفكل : الرعدة . ويقولون : لا يبنى منه فعل » .

وفى شرح القاموس : « وقال ابن فارس : ويقولون : لا يبنى منه فعل ، وليس كذلك لأنهم قالوا : (مفكول) » وتراه استدل على بناء الفعل منه بمجىء اسم المفعول ، فكأنه يرى أن مجيئه مؤذن بمجىء الفعل على ما اشتهر . وقد يكون مفكول أتى كما جاء مضعوف ومحرور أى مصاب بالأفكل ، فلا يسوّغ لنا ذلك بناء الفعل ، كما تقدم ، فلا يصلح كلام الزبيدى ردا على ابن فارس إلا إذا عنى بعدم ورود الفعل ما يشمل عدم ورود ما تصرف منه ؟

صيغ الاسم الثلاثى المجرّد

للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس الخبير بالمجمع

عرض أستاذنا السيد فريد أبو حديد على مؤتمر المجمع فى العام الماضى ملخصا للبحث الذى اشتركنا فى القيام به للجنة اللهجات وهو « بحث جموع التكسير للاسم الثلاثى » .

وقد بدا لنا ـ بعد هذا ـ أن نستكمل البحث بالرجوع إلى صيغ المفرد للاسم الثلاثى المجرد واستقرائها فى القرآن الكريم والقاموس المحيط للفيروزبادى ، رجاء الاهتداء بها فيما نحن بصدده من بحث طرق تكسيرها .

رأى النحاة فى صيغ الاسم الثلاثى :

لجأ النحاة كعادتهم إلى القسمة العقلية وتصوروا للاسم الثلاثى المجرد اثنتى عشرة صيغة . رفضوا منها صيغتين فقط هما :

١ ـ « فعل » بضم فكسر مثل دئل اسم لدويبة . وذلك لأن هذا الوزن فى رأيهم قد قصد تخصيصه بالفعل المبنى للمجهول . ولكن يروى عن الليث أن « الوُعِل » لغة فى « الوَعِل » كما روى عنه كلمة « الرُئِم » .

٢ ـ « فعل » بكسر فضم . واعتبروا قراءة بعضهم « والسماء ذات الحِبُك » ـ على شذوذها ـ من تداخل اللغتين فى جزأى الكلمة .

ولكن من النحاة من أنكر فكرة تداخل اللغات هنا قائلا إن « حبك » بضمتين جمع حباك ، فى حين أن « حبك » بكسرتين مفرد ، ويبعد تركيب الاسم من مفرد وجمع .

ومنهم من اعتبر كسرة الحاء فى مثل هذه القراءة إتباعا لكسرة التاء فى « ذات » .

وهم فى كلتا الصيغتين المرفوضتين يعزون عدم ورود هذا فى صيغ الاسم الثلاثى لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم أو العكس . بل يقررون أن الانتقال من الكسر إلى الضم أثقل من الانتقال من الضم إلى الكسر .

أما فيما يتعلق بالصيغ العشر الأخرى فلا نكاد نلمح فى كلام النحاة ما يشتم منه أن بعضها أكثر شيوعا فى اللغة من البعض الآخر ، إلا فى تلك الإشارة العابرة لسيبويه حين يشير إلى أن مثل «كتِف» أقل من مثل « فرَس » بكثير وأن مثل «عِنَب» أقل من « كتف » . ثم نراه يسوّى بين وزن « عضد » و « أفق » فى نسبة الشيوع ، ويعتبر وزن « صرد » بضم ففتح قليلا جدا ، ووزن « إبل » نادرا جدا ، بل يقرر أنه لم يرد

غير « إبل » فى كل اللغة . ولكن المتأخرين من النحاة يسوقون من هذا الوزن كلمات أخرى مثل « بلز » أى ضخم و « حبر » لصفرة الأسنان و « إبط » و « إطل » .. الخ

على أن سيبويه نفسه لم يعقد لصيغ الاسم الثلاثى بابا مستقلا ، بل اكتفى بالإشارة إليها حين عرض لجمعها جمع تكسير .

ولا نكاد نرى الصرفيين يتحدثون عن أصالة الصيغة إلا حين يكون للكلمة أكثر من نطق . فيقولون إن مثل « فَخِذ » هى الصورة الأصلية ثم تطورت إلى فَخْذ أو فِخْذ أو فِخِذ . ويعتبرون الصورة الأخيرة خاصة بالاسم الحلقى العين . أما مثل « كتف » فلا يجوز فيها سوى كَتْف وكِتْف .

وهم يلتمسون فى تفسير هذا التطور عللا لا تخلو من التكلف والتعسف . ويظهر أنهم تصوروا أن الأصل فى كل هذه الكلمات تحرك العين فيها . وقد بنوا هذه الأصالة فى بعض الكلمات على شهرة الوزن وشيوعه . فكلمة « فخذ » بفتح فكسر أشهر منها بفتح فسكون أو كسر فسكون ومع هذا فحين تصادفهم كلمات مثل « عسر » و « يسر » و « قفل » ويرونها بالسكون أكثر شيوعا وشهرة منها بضم العين ، يقولون إن عدم شهرة الصيغة الأصلية هنا وهى « عسر » و « يسر » لا سبب له سوى زيادة الثقل فى توالى الضمتين ، فدعا هذا إلى قلة استعمالها مع كونها أصلا .

ثم نرى فكرتهم فى الأصالة والفرعية تزداد اضطرابا حين يؤكد لنا الأخفش أن كل « فعل » بضم فسكون يجوز ضم عينه إلا ما كان صفة أو معتل العين . وحين يؤكد لنا عيسى بن عمر أن كل فعل « بضمتين » يجوز تخفيفه بالإسكان . وحين يقول لنا البصريون إن « الشَّعْر » و « الشَّعَر » لغتان مستقلتان . ويقول الكوفيون إن الأصل فيهما « فعل » بفتح فسكون وإن مثل هذه الصيغة يجوز فتح عينها إذا كانت العين من حروف الحلق ؛ وجعلوا هذا قياسيا .

وينسب النحاة كل هذه الفروع إلى تميم فيقولون : « وجميع هذه التفريعات لتميم . وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون » .

وهكذا نرى النحاة يتخذون من شهرة الصيغة دليلا على أصالتها ، ويجعلون تحرك العين فى الكلمة هو الأصل ؛ ثم لا يستقيم لهم هذا حين يطبقونه على مثل « فخِذ » و « عُسُر » . كأنا نراهم يقتصرون فى فكرة الأصالة أو الفرعية على تلك الكلمات التى ورد لها أكثر من وجه .

نسبة شيوع الصيغ :

ونحن أمام هذا الإضطراب والغموض اتجهنا إلى إعادة الاستقراء ، فرجعنا إلى القرآن الكريم واستقرأنا ما ورد فيه من الأسماء الثلاثية

فرأينا أن نسبة شيوعها تختلف اختلافا بينـا . فأكثرها شيوعا هى « فعل » بفتح فسكون ، إذ ورد منها فى القرآن نحو ٢٣٠ كلمة . ثم صيغـة « فعـل » بفتحتين ، فقد ورد لها نحو ٩٧ كلمة . ثم «فعل » بكسر فسكون وعدد كلماتها القرآنية نحو ٥٩ . ثم « فعل » بضم فسكون وكلماتها نحو ٣٧ . ثم «فعل» بضمتين وكلماتها نحو ١٧ كلمة . أما باقى الصيغ فنادرة جدا تكاد تنحصر فى الكلمات الآتية :

رجل . عضد . سبع . ملك . كذب . لعب . عنب . إبل .

وهكذا نرى أن النسب المئوية لهذه الصيغ القرآنية هى :

فَعْـل ٥١٪ فِـعْـل ٢٢٪ فُعْـل ١٣٪ فَعَـل ٩٪

ولم يبق لـكل الأوزان الأخرى سوى نسبة ٥ ٪

وهذه نسب قريبة جدا من تلك التى وصلنا إليها باستقراء القاموس المحيط مستعينين ببعض طلبة الليسانس فى كلية دار العلوم . فقد جمعوا لنا من هذا المعجم نحو أربعة آلاف كلمـة موزعة على حسب النسب الآتية :

فَعْـل٤٨ ٪ فَعَـل ٢١ ٪ فِعْـل١٣ ٪ فُعْـل ١١ ٪

ثم لا نكاد نرى الأوزان الستة الأخرى مجتمعة ما يجاوز نسبة ٧ ٪

نشأة الاسم الثلاثى فى اللغات السامية :

نشأة الاسم الثلاثى وصيغه فى اللغـات السامية ، يعتورها بعض الغموض . على أنه بمقارنة بعض هذه اللغات يمكننا أن نفترض لها فرضا معقولا مقبولا تؤيده الكلمات الثلاثية المشتركة بين بعض هذه اللغات الساميـة ، كما يؤيده سلوك هذه الكلمات فى تراكيب كل لغة واشتقاقها . وقد اكتفينا هنا بمقارنة العربيـة والعبرية والسريانية . وجمعنا نحو ٩٠ كلمـة ثلاثية مشتركة فى اللفظ والمعنى بين العربيـة والعبرية . وبين هذه الكلمات التسعين نحو ٣١ كلمة لها نظائر فى لفظها ومعناها فى اللغـة السريانية أيضا .

وقد اتضح لنا من عقد هذه المقارنة أن اللغة السامية الأولى قد تميز فيها أربع صيـغ للاسم الثلاثى هى :

« فعل » بفتح فسكون . «فعل» بفتحتين . « فعل » بكسر فسكون . « فعل » بضم فسكون .

وقد ورثت معظم اللـغات السامية التى نعرفها هذه الظاهرة واحتفظت بها زمنا ما ؛ ثم تطورت فى بعضها على صور أخرى ؛ ولكنها ظلت ملتزمة إلى حد كبير فى العربية والعبرية . أما السريانية التى تعد من أحدث اللغات السامية

فقد استقر فيها الاسم الثلاثى على صورتين فقط فيهما العين ساكنة . وفى إحداهما فتحت فاء الكلمة وهى الكثيرة الشيوع ، وفى الأخرى كسرت فاؤها مثل :

ܢܦܫܐ نَفْس ܓܒܪܐ رِجْل

ويكاد يجمع المستشرقون على اعتبار الصيغة العربية بمثابة الأصل ، منها يبدأون مقارنتهم ويفسرون الصيغ التى ترد فى الساميات الأخرى على أساسها . فهم مثلا يرجحون أن الصيغة الأصلية « فعل » بفتح فسكون ، قد حركت عينها أولا بحركة تشبه الكسرة أو الفتحة الممالة وهى التى تسمى فى العبرية بـ « السيجول » وذلك بسبب التخلص من التقاء الساكنين . ثم تأثرت حركة فاء الكلمة بحركة عينها وأصبحت مثلها مشكلة بالسيجول تبعا لظاهرة الانسجام بين حركات الكلمة الواحدة Vowel-harmony ، تلك الظاهرة التى شاعت فى تطور الصيغ والأوزان فى معظم اللغات السامية . وهكذا نشأت تلك الكلمات السيجولية فى اللغة العبرية مثل :

אֶרֶץ أَرْض . כֶּלֶב كَلْب

والدليل على أن أصل هذه الكلمات هو وزن « فَعْل » أننا نجد الكثرة الغالبة منها تعود إلى أصلها فى بعض حالات الإضافة مثل :

כַּלְבִּי כַּלְבּוֹ

أما وزن « فعل » بضم فسكون و « فعل » بكسر فسكون فيظهر أنهما نوع واحد أو طائفة واحدة . وذلك للعلاقة الصوتية بين الضم والكسر . وقد دلت روايات اللهجات العربية القديمة على أن هاتين الحركتين قد تعتوران المكان الواحد من الكلمة مثل :

الرجز . وِشاح . سخريا . منذ . مشط .

فاللهجات السامية بوجه عام لا تكاد تفصل بين هذه الكلمات ، بل تعاملها معاملة واحدة وتتخذ منها طائفة واحدة ذات سلوك واحد فى كثير من الظواهر اللغوية . ولهذا وردت لنا بعض الكلمات المتناظرة بين العربية والعبرية على هذا النحو :

חֵלֶם حُلْم . חֹמֶץ حِمْض

وقد تركت لنا هذه الظاهرة أثرها الواضح فى مجىء أفعال كثيرة من بابى : ضرب ونصر ، فى اللغة العربية ، بل وفى كلمات اللهجات الحديثة مثل :

نُفل = نِفل . حِضن = حُضن . عِقد = عُقد . فُجل = فِجل

وكنطق العامة فى اللهجات : زُهُق . زِهِق . صُغُر . صِغِر .

وأخيرا هناك طائفة مستقلة من الأسماء الثلاثية تميزت وحدها منذ القدم وظهر استقلالها حين تضاف إلى الضمائر فى اللغة العبرية كما ظهر

استقلالها فى جمعها جمع تكسير فى اللغتين العربية والحبشية وتلك الطائفة هى « فعل » بفتحتين .

فيقال فى العبرية זָנָב ذنبه . ويقال فى العربية « أذناب » وفى الحبشية « أزناب » .

ولم يشذ من تلك الكلمات التسعين المتناظرة بين العربية والعبرية سوى بضع كلمات يمكن تفسيرها . وأكتفى هنا منها بذكر كلمة רֶגֶל التى تناظر فى العربية « رِجْل » والتى وردت فى النصوص العبرية القديمة مضافة إلى الضمائر اى רַגְלְךָ ، רַגְלִי فقد كنا نتوقع أن تكون الكلمة العربية بفتح الراء .

ويظهر أن الأصل فيها هو هذا الضبط أى « رَجْل » ومن هذا الأصل اشتقت كلمة « رجُل » التى اختصت بها اللغة العربية دون سواها من الساميات الأخرى . فالكلمة القديمة « إنسان وإنس » قد تخصص معناها فى العبرية وأصبحت تعنى « الرجُل » فى صورة אִישׁ ولكن العربية فيما يظهر قد ربطت بين معنى الرجولة وبين القدرة على المشى على رجلين واقتبست عن طريق المجاز كلمة « الرَجْل » لتفيد معنى « الرجُل » فى وقت كانت فيه الصيغة الأصلية على وزن « فعل » بفتح فسكون أى « رَجْل » ثم كانت المخالفة بين الصيغتين خشية اللبس بين المعنيين . وخير دليل على أن الصيغة الأصلية كانت بفتح فسكون هو ما نراه فى معاجمنا من أن كلمة « الرجُل » يجوز أن ينطق بها « الرجْل » وأن « الرجْل » هو الراجل أيضا ومؤنثه « رجلة » . أما كيف ضمت الجيم فهذا أمر آخر سنعرض له فيما بعد .

الأسماء الثلاثية فى اللهجات الحديثة :

وقد رأينا قبل ترجيح رأى فى شأن هذه الأسماء الثلاثية أن نتتبع أشهرها فى اللهجات العربية الحديثة . فعرضنا على نحو ألف من الناطقين بها (معظمهم من المصريين) مجموعة من أشهر الكلمات المشتركة فيها جميعا (نحو ١١٠ كلمة) . وعنينا فى هذا الاستفتاء بنواحى القطر المصرى . فاتضحت لنا ظواهر تستحق النظر والدراسة ، منها :

١ — أن الأسماء الثلاثية التى على وزن « فعل » بفتحتين لا تكاد تختلف فى نطق الأمم العربية جميعا فيما عدا مراكش التى يكتفى فيها بتحريك عين الكلمة فى كثير من الأحيان فيقولون مثلا : قْمَر .

ويدل هذا على أن هذه الطائفة من الأسماء قد روعى استقلالها وتميزها فى العصور القديمة . وظلت متميزة حتى الآن فى لهجات الناس .

٢ — أما تلك الكلمات الثلاثية التى سكنت عينها فهى التى اختلفت فيها اللهجات الحديثة فبعض اللهجات تميل إلى تحريك العين فى حالة الوقف مثل بُرُج تِبِن بَطِن و قَبُر و بَحَر.

والبعض الآخر تبقى على سكونها .

وقد تبين لنا من الاستقراء أن لهجات القطر المصرى بوجه عام تميل إلى تسكين عين الكلمة . غير أنه فى مديرية الشرقية : جهة أبى حماد ونواحى إنشاص وحدود الزقازيق ، قد نجد ظاهرة تحريك العين فيقولون مثلا : بَطِن . تِبِين . رُبُع . . الخ . وفى أسيوط نلحظ فى بعض جهاتها أثر تحريك العين ثم يزيد أثر تحريك عين الكلمة كلما تعمقنا فى الوجه القبلى حتى نرى جهات مثل كيمان المطاعنة فى إسنا ، والكرنك فى نجع حمادى يلتزمون هذا التحريك .

وإذا كان لنا أن نحكم على الأمم العربية الأخرى بهذا الاستقراء ـ على ما به من نقص ـ نلحظ أن العراق أميل بوجه عام إلى الإسكان ، وكذلك لبنان وسوريا وطرابلس الغرب واليمن . وأوضح البلاد فى تحريك العين شرق الأردن وفلسطين والسودان ونجد .

وعلى كل حال يتبين لنا من كثرة اللهجات التى تحرك عين الكلمة وانتشارها فى جهات متباعدة أن ظاهرة تحريك العين ظاهرة قديمة ورثتها اللهجات الحديثة عن قبائل عربية قديمة اشتهرت بها والتزمتها فى نطقها . بل نستطيع ونحن مطمئنون أن نرجح أن تلك الكلمات التى وردت فى معاجمنا محركة العين ـ وقيل لنا إنه يجوز فيها إسكان العين ـ ليست فى الحقيقة إلا نتيجة هذه الظاهرة فى عصور ما قبل الإسلام ، ثم إشتهر نطقها بالتحريك وغلب على الأصل الساكن مثل :

كَبِد . فخذ . سَبُع . ملك .

والدافع الأساسى لظاهرة التحريك هو محاولة التخلص من التقاء الساكنين عند الوقف . أما الذى قد يعين الحركة فيجعلها الضمة أو الكسرة أو الفتحة فهو أحد عاملين :

١) طبيعة الحرف المراد تحريكه .

٢) انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات .

وفى معظم الحالات التى أصل الكلمة فيها سكون العين نلحظ أن اللغة العربية المشتركة قد أبقت على التسكين حتى فى حالات الوقف . ويكفى أن نستمع لبعض آيات من سورة الطارق وسورة الفجر وسورة القدر ، لندرك أن نظام الفواصل القرآنية قد حتم تسكين العين فى مثل هذه الكلمات :

« والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر » . ولا نعرف أن القرآن قد ترك هذا التسكين مع جوازه إلا فى بضع كلمات قديمة يبدو أنها تطورت قبل استقرار اللغة المشتركة فى جزيرة

العرب مثل :

رجل . سبع ، عضد . ملك . إبل . لعب . كذب .

أما تلك الكلمات السبع عشرة التى وردت فى القرآن الكريم بضمتين مع جواز تسكين عينها فهى :

أفُق . أكل . حلم . ثلث . دبر . ربع . زبر . سدس . شغل . عنق . هزؤ . أذن . نسك . ظفر . عمر . قدس . نصب .

وأغلب الظن أن نطق هذه الكلمات بضمتين نطق طارئ على البيئة الحجازية : البيئة الأصلية للغة العربية المشتركة . فالأصل فيها جميعا أن تكون بضم فسكون . وبقى هذا الأصل مسموعا فى البيئة الحجازية ، ورواه عنها علماء اللغة . فمن نصوصهم قولهم : « إن توالى الثقيلين أى الضمتين أو الكسرتين سبب فى تخفيف مثل « عنق » و « إبل » بتسكين الحرف الثانى فيهما . والتخفيف فى مثل الكلمة الأولى أكثر ، وهو حجازى » .

ولكن هذا الأصل قد تطور فى بيئة أخرى من البيئات البدوية التى تتبع العين الفاء فى حركتها . ولعل القدماء حين قالوا إن كل هذه التفريعات لتميم قد رمزوا باسم تميم إلى القبائل البدوية التى نعرف أن التطور اللغوى فيها بوجه عام أسرع وأكثر . ولذا لا ندهش حين نرى قبائل البدو حتى الآن تميل إلى تحريك الساكن من الكلمات الثلاثية فتقول : بَطِن تِبِن . بُرُج . بَحَر . ولقد ظهر لنا من دراسة كثير من النصوص القديمة التى نسبت إلى تميم أنها تمثل القبائل البدوية بوجه عام لا قبيلة تميم وحدها ، ولا سيما حين يقال هذه لتميم وتلك للحجاز .

وعلى هذا تكون اللغة المشتركة قد قبلت هذا النطق البدوى الأصل فى تلك الكلمات السبع عشرة بالذات . وإلا فكيف نعلل ورود نحو ٥٩ كلمة على وزن « فعل » بكسر فسكون فى القرآن الكريم ، ونحو ٢٣٠ كلمة على وزن « فعل » بفتح فسكون ، وقد كان من الممكن أن يرد معظم هذه الكلمات محرك العين ؟

نخلص من كل ما تقدم إلى أن اللهجات العربية القديمة قد انحدرت إليها الأسماء الثلاثية على صور ثلاث :

١) فعل بفتح فسكون .

٢) فعل بفتحتين .

٣) فعل بضم أو كسر فسكون .

وبقيت على صورها القديمة فى البيئة الحجازية ـ مهد اللغة العربية المشتركة ـ فى غالب الأحوال . ولكنها بدأت تتطور فى بعض اللهجات الأخرى بتحريك العين فى عصور سبقت تكون اللغة المشتركة أو استقرارها .

ونتصور حينئذ أن تكون الصيغ الفرعية على الوجه الآتى :

١) فُعْل بضم فسكون يمكن أن تتطور إلى « فُعُل » بضمتين .

٢) فِعْل بكسر فسكون يمكن أن تتطور إلى « فِعِل » بكسرتين .

٣) فَعْل بفتح فسكون يمكن أن تتطور إلى « فَعِل » بفتح فكسر أو « فَعُل » بفتح فضم أو « فَعَل » بفتحتين .

وعلى هذا لا يصح أن تعد الأوزان التى على مثل « عِنَب وصُرَد » من صيغ الاسم الثلاثى ؛ فإذا ثبتت فيها كلمة أو كلمات بحثناها بحثاً مستقلا واعتبرناها من غرائب اللغة .

ومن المرجح أن جميع الكلمات العربية التى اشتهرت على صيغة من تلك الصيغ الفرعية قد تكونت صورتها الجديدة فى بيئة بدوية ، ربما قبل استقرار اللغة المشتركة ؛ ثم شاع أمرها على هذه الصورة الجديدة واقتحمت حصون اللغة المشتركة .

أما لماذا اقتصرت هذه الشهرة على تلك الكلمات بالذات فأمر مرجعه إلى الظروف الخاصة بتداول كل كلمة ، تلك الظروف التى نجهلها جهلا تاما .

فكل ما كان مثل (عُنُق وإبِل وفَخِذ وعَضُد) فرعى الصيغة . أما صيغة « فَعَل » بفتحتين فقد اختلطت فيها الصورة الأصلية بالصورة الفرعية . ومن اليسير هنا التعرف على الأصالة والفرعية حين نستعين بشهرة النطق وكثرة الاستعمال ، متذكرين أن وزن (فَعْل) بفتح فسكون يمكن أن يصير فى بعض الأحيان (فَعَل) بفتحتين وليس العكس . أى لا يصح أن نتصور كلمة مثل « جَمَل » يمكن أن تتطور إلى (جَمْل) ؛ لأن الأسماء التى من هذا النوع أى بفتحتين قد كونت طائفة مميزة منذ القدم فى معظم اللغات السامية ، ولا تزال متميزة فى لهجاتنا الحديثة .

وأخيرا إذا كان لنا أن نتخذ من اللهجات الحديثة ما نستدل به على حال اللهجات القديمة فإنه من الممكن أن نرجح الرأى القائل بأن أصحاب المعاجم قد أسرفوا فى الوجوه التى ذكروها لبعض الأسماء الثلاثية ، مثل كلمة « المشط » التى رووا لها ستة وجوه . ويبدو هذا الإسراف واضحا حين نذكر ما رووه عن كلمة « أصبع » من أنها كانت تنطق على عشر صور . فللفروق بين اللهجات حدود ونظام معقول . ومع كل فنحن نحمد الله أن ما روى من هذا النوع نادر فى لغتنا العربية ؛ بل إن ما روى من الأسماء الثلاثية مخالفا للأوزان الأربعة الأصلية : فَعْل . فَعَل وفِعْل وفُعْل لا يكاد يجاوز فى كل اللغة نسبة ٧ ٪ .

نشأة الخلاف فى النحو بين البصريين والكوفيين

للأستاذ
مصطفى السقا
الأستاذ المساعد بكلية الآداب

(١)

البصرة والكوفة من أعظم الأمصار التى استحدثها العرب فى الدولة الإسلامية ، إبان نهضتهم الدينية ، وخروجهم من جزيرتهم لفتح ممالك كسرى وقيصر ؛ وفيهما ثم فى بغداد وضعت أسس المدنية الإسلامية الكبرى ، التى امتدت ظلالها ، حتى شملت أكثر المعمور من الدنيا القديمة ، فى آسيا ، وإفريقية ، وبعض أطراف من أوربة .

أنشأ البصرة سنة ١٤ للهجرة ، الصحابى عتبة بن غزوان ، أحد القواد فى جيش الصحابى الجليل « سعد بن أبى وقاص » ، وقد وجهه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لفتح مملكة فارس وما وراءها بعد خلافة أبى بكر . وأنشأ الكوفة ـ بعد ذلك بنحو سنتين ـ أمير الجيش سعد بن أبى وقاص نفسه ، فى موضع تخيره لها ، أسفل من موقع الحيرة والأنبار ، اللتين عرفهما العرب قديما ، ووفدوا عليهما للتجارة ، وأخذوا من طرائفهما وثقافتهما أشياء كالخط العربى الذى نقله ثلاثة من أعراب طيء إلى جزيرة العرب .

استحدث العرب المصرين الناشئين « البصرة والكوفة » على الجانب الشرقى لنهر الفرات ، الذى يجرى فى أرض السواد ، منحدرا من جبال إرمينية فى الشمال ، ويصب فى الخليج الفارسى ، بعد أن يتحد مع نهر دجلة الكبير ، فيكونا مصبا واحدا واسعا يعرف بشط العرب ، غير أن البصرة أقرب إلى المصب وهى فى بيئة مائية بحرية . أما الكوفة فإلى الشمال ، على مقربة من ضفة الفرات نفسه ، تحيط بها أودية وبرارى متصلة بأرض العرب .

وكان اختيار هذين المكانين لتأسيس هذين المصرين بين جزيرة العرب والفرات ، تحقيقا لرغبة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الذى أوصى قائد جيوشه سعد بن أبى وقاص ، ألا يجعل بينه وبين جند المسلمين ماء ، حتى يستطيع إمداد الجيوش بالأمداد المتتابعة إذا صال بهم الأعداء .

وقد توافر فى هذين الموضعين من الأسباب ما رغب كثيرا من القبائل العربية فى أن تجلو عن مواطنها الأصلية ، فى الجزيرة العربية ، وتنزل المصرين المحدثين : من جمع بين مظاهر البداوة والحضارة فيهما ، وكونهما غير بعيدين عن بيئتهم وأرضهم العربية وسهولة اتصالهم بأوطانهم وقبائلهم فى البادية ، وسهولة اتصالهم بالمدينة مقر الخلافة الإسلامية ؛ هذا إلى وفرة الماء والمراعى التى يحتاجون إليها فى علف دوابهم وخيولهم .

وكان الغرض الأول من تأسيس هذين المصرين أن يكونا مركزين لاستقرار جند الخلافة فيهما ، وبعثهم منهما لفتح الممالك المتاخمة لأرض العرب ؛ ولذلك روعى فى تخطيطهما سد الحاجة الدينية والعسكرية أولا ، فجعل فى كل منهما مسجد كبير لصلاة الجماعة ، ودار للإمارة والأداة الحكومية ، يتفرع حولهما أحياء لسكنى القبائل . وكان لقبائل اليمن فيهما قسم خاص ، ولقبائل مضر قسم كذلك . وكانت كل قبيلة تسكن شارعا أو حارة ، ليسهل على رؤساء القبائل وعرفاء الجند الاتصال بهم ، وجمعهم للحرب ، وتدوين أسمائهم وأعطياتهم فى ديوان الجيش ، ومعرفة من فقد منهم أو قتل ، لتطبيق أحكام المواريث ، وتوزيع الغنائم وما إلى ذلك .

ومع ما كان بين حياة أهل المصرين من تشابه كثير ، كان بينهما خلاف جوهرى أيضا فى كثير من الأمور .

فقد كان موقع البصرة فى بيئة بحرية ، كما قدمنا ، وكانت السفن تصل إليها من الخليج الفارسى حاملة طرائف المشرق وتجارته ، فكانت حياة أهلها مرتبطة بهذه البيئة التجارية الحضارية ، على حين كانت الكوفة على أبواب البادية ، فكانت حياة أهلها عربية خالصة .

وكان لهذا العامل الطبيعى أثر كبير فى اجتذاب أنواع السكان الذين سكنوا كلا من المصرين ، فكثر المرتزقون من حياة البحر والتجارة فى البصرة من هنود وسنديين ، وفرس ، وسريانيين ، وأنباط ، ويهود ، ويونانيين ، وغيرهم . وكان فيهم مثقفون نهلوا من ثقافة المشرق فى جنديسابور وغيرها من المراكز الثقافية القديمة . وكان فى الكوفة أشباه هذه الأجناس ، إلا أنهم لم يبلغوا فى الكثرة مبلغ النازحين إلى البصرة من الغرباء . أما العناصر العربية وخاصة اليمنية ؛ فكانت فى الكوفة أكثر منها فى البصرة ، وقد امتازت بسكنى الأسر الكبيرة من أشراف العرب ، كآل زرارة الدارميين من تميم ، وآل زيد الفزاريين ، وآل ذى الجدين الشيبانيين ، وآل قيس الزبيديين ، وسكنها نحو سبعين من الصحابة ، على حين لم يسكن البصرة منهم إلا اثنان هما : أنس بن مالك ، وعتبة بن غزوان ، وسكنها من عرب اليمن الأزديون ، وبعض قبائل من تميم ، مع كثير جداً من الموالى الذين دخلوا فى الإسلام ، وعاشوا مع سادتهم من العرب ، جنباً إلى جنب .

وخلاصة هذا كله أن الحياة فى البصرة كانت مختلطة أشد اختلاط بين العرب وغيرهم من الأجناس الأجنبية ، حين كانت الحياة فى الكوفة تكاد تكون عربية خالصة .

وكان من النتائج اللازمة لذلك كله أن المجتمع البصرى خلا أو كاد يخلو من الفواصل الطبقية بخلاف المجتمع الكوفى الذى كانت تسود فيه الطبقات سيادة ظاهرة قوية .

وكان لهذا الطابع العام الذى يميز بين نوعى الحياة فى المصرين أثر كبير فى طابع الحياة العقلية والثقافية لكل منهما ، فقد حمل الأعاجم إلى كل من المصرَيْن كثيرا من معارفهم وطوابع ثقافتهم ، فكان حظ البصرة من ذلك أكبر وأعظم من حظ الكوفة ، ولذلك ازدهرت الحياة العقلية والحضارية فى البصرة ازدهارا قويا مبكرا . وأول ما ظهر من ذلك احتكاك الإسلام بغيره من الأديان فى العقائد أول الأمر مما أدى إلى ظهور بعض الفرق الإسلامية فيها للدفاع عن الإسلام ، كالمعتزلة وغيرهم من أصحاب الآراء . وعظم النشاط الفكرى ، فظهرت فيها عناصر من الثقافة اليونانية ، وقد ترجم ابن المقفع أو غيره منطق أرسطو ، فعرفه العرب وأتقنوه ، للتسلح به فى الجدل الدينى ، وكان أشد الناس عناية به المعتزلة . وعرفت منه البصرة والكوفة جميعا عنصر «القياس» الذى استغله نحاة البصرة فى الدراسة النحوية الناشئة ، فكان عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، المتوفى سنة ١١٧ ﻫ يطرد «القياس» فى أحكام النحو ، واستغله فقهاء الكوفة فى أحكام الشريعة ، فكان أبو حنيفة النعمان وتلاميذه وأشباههم ، يقيسون فيما لم يرد فيه نص قرآنى ، فاستحدثوا بذلك مذهبا فقهيا جديدا مخالفا لمذهب الإمام مالك وأهل الحجاز الذين يعولون بعد القرآن على نصوص الأحاديث الصحيحة ، وهى كثيرة فى بيئتهم ، لكثرة الرواة والحفاظ فيه من الصحابة والتابعين .

واستمرت البصرة دائبة على خلط معارف العرب ومزجها بمعارف من يساكنهم من الجاليات الأجنبية المختلفة ، وخاصة من أخذوا معارفهم عن مدرسة جنديسابور الفارسية اليونانية ، من الفرس والسريان وغيرهم ، حتى بلغت شأوا بعيدا فى النشاط الفكرى ، والتقدم العلمى .

أما الكوفة فكانت أبعد شيئا عن جنديسابور ، واقتضت حياة أهلها المطبوعة بطابع البداوة العربية ، أن يتوفروا على كل ما هو عربى أصيل ، ولذلك أكثروا من رواية الشعر القديم والمعاصر الذى يذكرهم بمجد أسلافهم ، وببلائهم فى حروب الإسلام ، مما يرضى طموحهم ، فكانت الكوفة أكثر شعرا وشعراء من البصرة ؛ وكثر فى الكوفة رواة الحديث ، لكثرة من بها من الصحابة ، والتابعين . ومن ثم كثر فيها المفسرون الأثريون ، الذين ينقلون التفسير رواية ، حتى

يصلوا به إلى النبي أو الصحابى ، وهو ما يعرف بالتفسير المأثور ، وقد كتبوا فى ذلك عدة تفاسير ، ذكر طائفة منها ابن النديم فى الفهرست. وكانت هذه الطريقة هى طريقة التفسير عند القدماء ، واستمرت إلى أن جاء الإمام محمد بن جرير الطبرى ، فجمع فى كتابه « جامع البيان عن تأويل آى القرآن » فى ثلاثين جزءا ، أكثر ما وعته تلك التفاسير القديمة ، ونظر فى أسانيد أصحابها ، ووازن بين أقوالهم ، وضعف الضعيف ، ورجح القوى ؛ بأدلة علمية نظرية ، أو فقهية ، أو لغوية ؛ وكان تفسيره هذا ختاما لهذا الضرب من التفسير الذى عنيت به الكوفة عناية خاصة .

وكذلك عنيت الكوفة بفن القراءات عناية كبيرة لحرص أهلها على روايتها ، كما حرصوا على دراستها ونقدها ، وبيان مطردها وشاذها ، وتخرج فيها أكثر القراء المشهورين بالضبط والإتقان ، ممن شاعت قراءاتهم فى الأمصار الإسلامية فيما بعد ، كأبي عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حُبيش ، وعاصم بن أبى النَّجود ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلى بن حمزة الكسائى الذى كان إمام القراءة والقراء فى دار السلام .

هذه بعض المظاهر العامة التى اختلفت فيها حياة أهل البصرة عن حياة أهل الكوفة ، فى طبيعة المكان ، وفى خصائص المجتمع ، وفى الطابع العقلى العام .

يضاف إلى ذلك أن الحياة السياسية للعرب بعد مقتل سيدنا عثمان ، اقتضت انقساما سياسيا بين الزعماء ، فكانت وقعة الجمل بين أهل المصرين ، وقد انتصرت فيها الكوفة مقر الخلافة العلوية على البصرة ، التى اجتمع فيها المطالبون بدم الخليفة عثمان ، كطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنهم . ومنذ ذلك الحين عرفت البصرة بأنها « عثمانية » ، وعرفت الكوفة بأنها « علوية » ، لأنها كانت مقر خلافة أمير المؤمنين « علىّ » وشيعته . ونشأت بين المصرين أحقاد ، غضبا لمقتل عثمان ، والكثرة من قتل من الفريقين فى تلك المعركة .

(٢)

وتكاد الروايات التاريخية تجمع على أن العرب أحسوا فى نحو منتصف القرن الأول الهجرى خطراً يهدد لغتهم وقرآنهم ، بسبب ما فشا من اللحن على ألسنة الموالى والأعاجم الذين دخلوا فى الإسلام بعد الفتوح العربية الكثيرة ، وخاصة عند قراءتهم القرآن . وقد تعداهم ذلك اللحن فسرى إلى الذرارى الناشئة من أبناء العرب ، بمخالطتهم الأعاجم من الخدم والحشم المجلوبين إلى قصور أشراف العرب ، بما استرعى انتباه الخاصة من الحكام ، وأهل العلم والرأى من العرب .

وتسند الروايات التاريخية إلى أبى الأسود الدؤلى (ظالم بن عمرو بن سفيان الكنانى ثم الليثى المتوفى سنة ٦٩ هـ) ، من أصحاب سيدنا على بن أبى طالب ، أنه أول من تنبه إلى هذا الخطر ، وأنه أول من فكر فى درئه عن اللغة والقرآن جميعا ، ونقلوا أنه شاور فى ذلك الإمام عليا ، فألقى إليه الإمام أبوابا فى النحو ، وقال له : « انح هذا النحو » . وقيل إنه شاور زيادا أمير العراق من قبل بنى أمية ، فأمره بوضع علامات الإعراب .

ونقل الرواة أن أبا الأسود استعان ببعض الكتاب على نقط المصاحف بمداد يخالف مداد الكتابة ، وفى مواضع من الحرف الأخير من كل كلمة ، تختلف باختلاف الفتحة والكسرة والضمة ؛ وأنه استمر مدة ينقط المصاحف، ويعلم الناس نقطها وضبطها وأنه تخرج به فى ذلك أربعة من تلاميذه ، هم يحى ابن يعمر ، وميمون الأقرن ، وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم الليثى .

وقد سموا هذا القدر — من ضبط أواخر الكلمات بالنقط — إعرابا ، لأنه تمييز بين المضموم والمفتوح والمكسور من الكلام . والظاهر من بعض الروايات ، أن ذلك كل ما عمله أبو الأسود من محاولة المحافظة على القرآن الكريم ، لأنه كان مقرئا للقرآن ، معنيا بتعليم الناس وإقرائهم إياه .

ولكن بعض الروايات يسند إلى أبى الأسود أنه وضع أبوابا فى النحو ، أو تلقف من سيدنا علىّ أبوابا منه ، كباب إن وأخواتها ، وباب التعجب ، وباب الفاعل ، وباب المفعول ... الخ ، وهذا مما يستبعده بعض الباحثين المعاصرين ، لقرب العرب فى عصر أبى الأسود من غضاضة البداوة ، إذ لا بد فى وضع قواعد العلوم من مدارسة واصطلاح ، لم تهيأ لهما عقول العرب بعد .

وأمام تضافر الروايات التاريخية الكثيرة التى تقول إن أبا الأسود وضع قواعد فى النحو الاصطلاحى ، يظن بعض الباحثين المعاصرين أن ذلك إن كان قد وقع ، فمن المتحمل أن يكون أبو الأسود قد استعان على تحقيق غرضه هذا ببعض العارفين بقواعد النحو السريانى الذى يكاد وضعه يقارن وضع النحو العربى فى زمنه ونشأته ؛ أو أنه استعان ببعض العارفين بقواعد النحو اليونانى ، من مثقفى البصرة ومترجميها ، وهم كثير ، لوجود تشابه بين النحوين فى كثير من مصطلحاتهما .

على كل حال ، يجد الباحثون فى نشأة النحو العربى الاصطلاحى على يد أبى الأسود الدؤلى كثيرا من الغموض ، لقصور الرواية التاريخية عن الإفصاح، واكتفائها بالتلميح ، وهو لا يغنى شيئا فى تقرير تاريخ فكرة أو رأى علمى . وما قيل عن أبى الأسود ، يقال عن تلاميذه الأربعة ، الذين كان وكدهم وجلّ

عنايتهم مصروفين إلى نقط المصاحف ، وإقراء الناس ، فهؤلاء لم يكونوا نحاة اصطلاحيين ، وإنما سمى عملهم إعرابا ، لأنه كان مقدمة وتمهيدا للبحث فى علل الإعراب ، وهو مبدأ العمل النحوى الخالص .

وابتداء وضع قواعد النحو الاصطلاحى الواقعى ، كان على يد رجلين من أئمة القراء فى البصرة ، هما عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، وزميله أبو عمرو بن العلاء التميمى المازنى .

يقول محمد بن سلام الجمحى فى مقدمة كتابه طبقات الشعراء ، بعد أن ذكر تلاميذ أبى الأسود : « ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، فكان أول من بعج النحو ، ومد القياس والعلل . وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وبقى بعده بقاء طويلا (توفى أبو عمرو سنة ١٥٤ ﻫ) . وكان ابن أبى إسحاق أشد تجريدا للقياس . وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها » .

وهذا يعنى أن ابن أبى إسحاق أول من بحث فى القياس وعلل النحو . والقياس : هو إعطاء ما توجد فيه العلة الخاصة من كلام الناس ، حكم ما توجد فيه نفس العلة من كلام العرب . وكان الحضرمى يمد القياس ، أى يطرده ، ويجعله شاملا لا استثناء فيه ؛ فلا يحكم على ما خالف القياس بأنه شاذ ، وإنما يحكم بغلط القائل المخالف للقياس . وقد اشتهر فى دواوين الأدب أن الحضرمىّ كان يخطئ الفرزدق فى مواضع من شعره ، وكثيرا ما وقع بينهما التلاحى والتهاجى بسبب ذلك .

ووافقه على هذا المنهج تلميذه عيسى بن عمر الثقفى ، فكان يخطئ النابغة فى بعض أشعاره ، كما فى كتب الطبقات .

هكذا أراد ابن أبى إسحاق الحضرمىّ وتلميذه أن تحكم اللغة بضوابط حديدية ، يفرضها المنطق على المتكلمين باللغة جميعاً ، دون نظر إلى واقع اللغة ، واختلاف البيئات والقبائل ، وما كانت اللغة لتحكم بالقوانين العقلية ، وإنما المناهج اللغوية مناهج اجتماعية ، تنظر إلى ما بين أهل المجتمع الواحد من خلاف فى القوى والاستعداد والبيئات ، ولا تنظر إلى المثالية النظرية التى تعامل الناس بقانون واحد .

وكان أبو عمرو بن العلاء ، تلميذ الحضرمىّ أعرف من أستاذه بالطبيعة اللغوية ، إذ كان أعظم رواة البصرة علما بأشعار القبائل وأنسابهم ، وكان من أصحاب القراءات ، فخالف أستاذه وزميله الحضرمى فى بعض أصول المذهب البصرى ، فكان أبو عمرو يقيس على الأكثر الأشيع فى كلام العرب ، فأما ما خالف الأكثر الأشيع ، فلا يهدره ولا يخطئ قائله ، ولكن يعتبره لغة خاصة ، كما يعده عربيا فصيحاً .

وبهذا خفف أبو عمرو من حدة تجريد القياس ، التى اتصف بها منهج الحضرمى . بإهداره كلام المخالفين للقياس من العرب ، والقول بخطئهم .

ويلى هذين الإمامين فى حركة تأسيس النحو البصرى ، جماعة اشتهر منهم ثلاثة رجال تم على أيديهم استخراج جمهور قواعده ، بتطبيق أقيسته ، وتعليل أحكامه ، وهم عيسى بن عمر الثقفى ، ويونس بن حبيب الضبى ، والخليل ابن أحمد الفراهيدى الأزدى . وهؤلاء الثلاثة هم رجال الطبقة النحوية الثانية فى اعتقادى ، بعد تلاميذ أبى الأسود .

فأما عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، فتنسب كتب الطبقات إليه كتابين فى النحو ، يسمى أحدهما الجامع ، ويسمى الآخر الإكمال ، أو المكمل ، ولا يعلم أصحاب الطبقات عن هذين الكتابين شيئا ، إلا ما قاله بعض الرواة ، من أن الخليل اطلع عليهما ، ونعتهما بقوله :

ذهب النحو جميعاً كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك « إكمال » وهذا « جامع »
فهما للناس شمس وقمر

وكان عيسى بن عمر قد أخذ النحو عن ابن أبى إسحاق الحضرمى ، ونهج منهجه فى تجريد القياس ، وتخطئة المخالفين له . روى محمد بن سلام الجمحى فى طبقات الشعراء ، عن يونس ابن حبيب . قال : « كان أبو عمرو بن العلاء أشد تسليما للعرب ، وكان ابن أبى إسحاق وعيسى ابن عمر يطعنان عليهم » اهـ ، وقد عاب عيسى ابن عمر على النابغة أشياء فى شعره لم يسلمها له أبو عمرو بن العلاء كما عاب أستاذه الحضرمى — من قبل — أبياتاً كثيرة على الفرزدق ، فوقع بينهما من اللجاج والخصومة شىء كثير .

وأما يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ هـ فأخذ النحو عن أبى عمرو بن العلاء ، ونهج منهجه فى القياس . وكان له مذاهب وأقيسة تفرد بها ، كما يقول الكمال بن الأنبارى فى نزهة الألبا .

وأما الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ على أرجح الأقوال ، فكان أعظم نحاة البصرة شأناً ، وأبقاهم فى العربية أثراً ، وهو شيخ النحو الاصطلاحى ، تم النحو على يديه خلقاً سوياً ، كامل الأصول والفروع .

أخذ النحو عن عيسى بن عمر تلميذ ابن أبى إسحاق الحضرمى ، كما أخذه عن أبى عمرو بن العلاء ، فمذهبه النحوى إذن يعتمد على القياس المنطقى مثل أستاذيه ، مع ما بينهما من خلاف فى بعض أوجه النظر ، فلم يكن يتشدد فى تجريد القياس ، تشدد عيسى وابن أبى إسحاق ؛ وإنما مال إلى قول أبى عمرو بن العلاء : إن المخالف للأشيع الأكثر — فى كلام العرب — عربى صحيح لا يهدر ، بل يحفظ ولا يقاس عليه .

وهذا هو المراد بتصحيح القياس الذى عناه أبو البركات بن الأنبارى بقوله فى ترجمة الخليل : « كان الغاية فى تصحيح القياس ، واستخراج مسائل النحو وتعليله » .

وينسب إلى الخليل أشياء ابتكرها ، منها كتاب العروض ، الذى حصر فيه أوزان الشعر العربى ، ومنها وضعه أول المعاجم العربية

المعروف بكتاب العين ، وهو الذى اخترع ضبط الحروف بالحركات (الضمة والفتحة والكسرة) ، فأغنى الكتاب عن الضبط الذى اخترعه أبو الأسود بالنقط المخالف مدادها لمداد المكتوب ؛ ولعله اقتبس هذا من نحو اليونانيين ، كما يستفاد من كلام الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ، عندما ذكر أصل الضمة والفتحة والكسرة فى النحو اليونانى ، فكلامه مشبه لقول الخليل فى أن الحركات أبعاض الحروف .

أما النحو فليس للخليل فيه كتاب خاص ، وإنما أملى مسائله على تلميذه الملقب بسيبويه ، حتى قيل إن عامة الحكاية فى كتاب سيبويه ، عن أستاذه الخليل .

وسيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى سنة ١٨٠ هـ . وقد تخرج فى النحو بالخليل بن أحمد ، ونقل عنه جمهور مسائله ، وحكى أقوال جماعة آخرين كيونس بن حبيب ، وأبى زيد الأنصارى ، وأبى عمرو بن العلاء ، وابن أبى إسحاق الحضرمى ، وعيسى بن عمر .

وهذا الكتاب هو أعظم أثر باق يمثل آراء النحويين البصريين المؤسسين ، وبه تخرج نحويو البصرة والكوفة جميعا ممن اشتغل بالنحو بعد سيبويه ، كأبى الحسن الأخفش الأوسط ، وأبى عمر الجرمى ، وأبى بكر المازنى وأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهؤلاء هم شيوخ المذهب وأركانه ، الذين وضحوا معالمه واستكملوا قواعده ، ونقدوا واستدركوا وصححوا ما فى الكتاب من مآخذ ، وبسطوا ما فيه من إشارات ، وأوضحوا ما فيه من أصول وفروع ، وأقرءوه الناس ، وملئوا به الآفاق .

وببعض أساتذة المدرسة البصرية تخرج أعلام النحاة الكوفيين كعلى بن حمزة الكسائى ويحيى بن زياد الفراء ، وهما رجلا المذهب الكوفى وواضعا أسسه .

فأما الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، فكان شيخ القراء فى الكوفة بعد أستاذه حمزة بن حبيب الزيات ، ثم صار شيخ مدينة السلام فى صناعة الإقراء ، لم يمارس فنا غيرها حتى كبر ، ثم مالت نفسه بعد الكبر إلى النحو ، لما بين النحو والقراءة من رحم ماسة ، ولما مست إليه حاجة الأشراف فى بغداد وشتى نواحى الدولة من التماس المؤدبين لأولادهم ، لينشئوهم على العربية الفصيحة ، إذ كان اللحن معرة فى نظر الخاصة منذ قيام الدولة الأموية إلى ذلك الحين ، فأراد أن يكون بيده زمام فنى الإقراء والنحو جميعا ، ليكون جميع المقرئين والنحاة من تلاميذه ، وتبعا له ، يرشحهم للخدمة العامة فى جميع الأمصار والجهات ، بما له من نفوذ وسلطان عند البرامكة وغيرهم فى مدينة السلام .

لذلك تخبرنا كتب الطبقات ، أنه ذهب إلى البصرة ، والتى الخليل ، وأخذ عنه ، وسأله عن علمه : من أى شىء استفاده ؟ فقال له الخليل :

« من بوادى الحجاز ونجد وتهامة » . فأسرع إليها الكسائى ، وأقام فيها مدة طويلة ، كتب فيها عن العرب الخلص كثيرا من أشعارهم ، حتى أنفد خمس عشرة قنينة حبر ، كما قالوا ، وعاد إلى بغداد بعد ذلك يحمل زاده الجديد ، فوجد الخليل قد مات . فناظر سيبويه مناظرته المشهورة ، وخلا له الجو بعد ارتحال سيبويه عن البصرة ، فقرأ كتاب سيبويه على الأخفش سعيد بن مسعدة ، ثم استقل عن مذهب البصريين ، وأقام مذهب الكوفيين ، مخالفا للبصريين فى بعض أصول مذهبهم ، وفى كثير من الفروع . وتابعه فى دراساته تلميذه الكبير يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، فدعما أصول المذهب الكوفى ، وأوضحا سبله ، وتلقاه عنهما كثير من التلاميذ .

(٣)

ومن هذا يعلم أن المذهب الكوفى استمد من المذهب البصرى كثيرا من أصوله وفروعه لأن الكسائى والفراء درسا كتاب سيبويه ، وتعلما منه النحو ، وعلى منهج نحاة البصرة بنوا نحوهم ، وبقياسهم قاسوا .

ومما يؤثر عن الكسائى قوله :

إنما النحو قياس يتبع
وبه — فى كل شىء — ينتفع

لكن الخلاف بين الفريقين اللذين تناظرا طويلا ، وشغلا الباحثين والدارسين بخلافهما حتى اليوم ، يرجع إلى سبب جوهرى فى طبيعة المذهبين ، فقد بينا أن نزعة المذهب البصرى ، منذ أسسه ابن أبى إسحاق الحضرمى ، نزعة عقلية فلسفية ، تميل إلى طرد القياس والأخذ بأحكامه العامة ، دون نظر إلى اختلاف القبائل فى بعض الظواهر اللغوية الخاصة .

وهذا الأساس صالح جدا لتعليم الناشئين من الذرارى ، وتعليم الراغبين ـ فى الاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية ـ من الأعاجم ، ممن وضع النحو فى أول الأمر لإفادتهم قبل أى اعتبار آخر ، وهذا سر تفوقه على المذهب الكوفى واستمرار العمل به حتى الآن فى جميع الأمصار الإسلامية ، لأنه يريح المعلمين من كثرة القواعد والأحكام .

ولكن هذا المذهب البصرى فى قياسه العارم ، إجحاف شديد بكلام الفئات القليلة من العرب الفصحاء ، وفيه إهدار لكلام القبائل المخالفة لحكم القياس على الأفشى والأكثر فى كلام العرب ، ولهذا أكثر ابن أبى إسحاق الحضرمى وتلميذه عيسى بن عمر الثقفى من الطعن على العرب وتخطئة أمثال الفرزدق والنابغة فى أشعارهما .

وقد وجد الكوفيون الذين درسوا المذهب البصرى وأحكموه كالكسائى والفراء ، الثغرة التى ينفذون منها إلى قلب المنهج البصرى ،

وطمنه فى الصميم . إذ كانوا يمارسون فنونا كلها تقوم على الرواية الواسعة كالقراءات ، والتفسير والشعر ؛ فأنكروا على البصريين إهدار ما سموه غير فصيح من كلام بعض القبائل ، وجوزوا القياس على كل ما سمع من العرب ، حتى لو كان بيتا واحدا ، وإن خالف الشائع الأفشى فى كلام العرب ؛ وبناء على ذلك الأصل جوزوا أن تبنى قاعدة نحوية بالقياس على المثال الواحد ، وهو الذى سماه البصريون شاذا ، ولم يهدر الكوفيون شيئا من كلام العرب مطلقا ، مشهورا فاشيا ، أو غير مشهور.

والذى آثره الكوفيون فى منهجهم هذا أقرب إلى طبيعة اللغة من المذهب البصرى ؛ الذى قاسوا فيه على الأشهر الأفشى من كلام العرب ، ليلائموا بين النحو وحاجة الطالبين له الراغبين فى تعلمه ، فإن إهدار بعض الكلام العربى تحكم لا مسوغ له .

لكن هذا المذهب الكوفى — مع قربه إلى الواقع اللغوى — يعاب بكثرة ما ينبنى على النصوص المختلفة فى المسألة الواحدة ؛ من قواعد لا تنضبط بضابط واحد ، يسهل حفظه ، ويمكن التطبيق عليه .

هذا هو الجوهر الذى قام عليه الخلاف بين مذهبي البصريين والكوفيين فى النحو . وهناك مظاهر أخرى للخلاف بين الفريقين لا تبلغ فى الأهمية مبلغ هذا الأصل ، ولا نريد أن نوسع القول ببسطها الآن .

أما ما قيل وما يقال ، من أن سبب الخلاف بين أهل المصرين فى النحو هو العصبية السياسية ، إذ كانت البصرة عثمانية ، والكوفة علوية ؛ وكذلك ما يقال من أن الكسائى رأس مدرسة الكوفة أفسد النحو بما قاس على أشعار الحطمية وغيرهم من العرب الضعفاء الذين كانوا بقطربل وغيرها من سواد العراق ، فأكبر الظن أن هذا وشبهه كان من أسلحة الدعاية التى اصطنعها البصريون ضد خصومهم الكوفيين ، لهدم مذهبهم ؛ لأن البصريين كان يعز عليهم أن يسبقوا الكوفيين إلى تأسيس صناعة النحو فى البصرة ، قبل أن يعرفها الكوفيون بنحو مائة عام ، كما غرّهم ما لاقوا من النجاح الكبير السريع فى إتمام بناء النحو فى هذا الزمن القصير ، وأنهم توّجوا جهودهم فى ذلك بكتاب كبير خالد هو كتاب سيبويه ، الذى نهل منه البصريون والكوفيون جميعا ، وبه تخرجوا فى هذه الصناعة ، ثم يجىء الكوفيون فى آخر الزمان ، فيعيبون عليهم أصولهم ويخالفونهم فى كثير من فروعهم ، مع أن صناعة النحو عندهم كانت لا تزال ناشئة ، لم تستكمل أدواتها ولا وسائلها ، وليس لهم فيها كتب أو كتاب ضخم مثل كتاب سيبويه .

ولكن البصريين ينسون أو يتناسون أن الأساس العملى الذى قام عليه المذهب الكوفى أساس صحيح ، يمت إلى طبيعة اللغة بصلة قوية ، وقد استمد قوته من اعتماده على علوم الرواية التى كانت قد نضجت ، وتميزت قواعدها وأصولها فى الكوفة ، وكان الشعر

أمدّ المذهب البصرى بأفكار جديدة ، وحجج قوية وضحت أصوله ومناهجه ، وصححت فروعه وشواهده ، ومدت ظلاله إلى المغرب والأندلس ، فكان عليه المعول عندهم منذ القرن الخامس ، حتى نبغ فيه كثير من أئمتهم ، وتخصصوا فى إقرائه الكتاب ، وشرحه ، حتى بعد أن خفت صوت النحو بالمشرق ، إلى عصر جلاء الأندلسيين عن وطنهم .

ومما أدى إلى سرعة ذهاب المذهب الكوفى من الشرق ، أن حركة التناظر والجدل فى النحو إبان القرن الثالث الهجرى ، أسفرت عن ضيق الناس وبرمهم بهذا الخلاف ، الذى يعلو فيه الصخب أحيانا على أشياء تافهة ، كالاختلاف على المصطلحات التى تسمى بها الأشياء ، مثل الجر ، الذى يسميه الكوفيون الخفض ، وضمير الفصل الذى يسميه الكوفيون عمادا ، والبدل الذى يسمونه « الترجمة » ... إلى آخر ما هنالك من مصطلحات لو تناولها الفريقان جميعا بلفظ واحد ، لكان ذلك أدعى لليسر والسهولة ، وفهم الناس عنهم فى غير عناء ولا إبهام .

وقد أدى ذلك إلى قيام مذهب نحوى جديد ، فى نفس القرن الثالث عرف بمذهب البغداديين ، ويمثله جماعة من العلماء لم يقصروا أنفسهم على الأخذ عن شيوخهم البصريين وحدهم ، أو الكوفيين وحدهم .

وإنما أخذوا عن الفريقين وانتخبوا من كل منهما ما يروقهم من الأحكام فى غير عصبية ولا تحيز ، وفى غير تعسف ولا تكلف .

ويمثل هذا المذهب طائفة ذكرها ابن النديم فى الفهرست ، كان من أشهرهم ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢١٣ — ٢٧٦ ﻫ) وأبو حنيفة الدينورى (المتوفى سنة ٢٨٢ أو ٢٩٠ ﻫ) فى جماعة كثيرة . ومنهم من غلب عليه المذهب البصرى ، ومنهم من غلب عليه المذهب الكوفى ، ولكنه لم يحرم نفسه الأخذ عن المخالفين فى بعض المسائل .

ولم يعن أصحاب هذا المذهب البغدادى بالأصول النظرية لمذهبهم الجديد ولا احتفلوا بوضع أساس للانتخاب من المذهبين ، ولا جمعوا مسائلهم فى ديوان معين يرجعون إليه .

ولذلك شك بعض الباحثين المعاصرين فى وجود المذهب البغدادى هذا ، لعدم وجود منهج أو قواعد ثابتة له ، ولكنى وجدت بعض مسائل نحوية تنسب إلى البغداديين فى أدب الكاتب لابن قتيبة فى باب تعريف العدد المنكر . قال ابن قتيبة : « إذا أردت أن تعرف عددا تكثر ألفاظه ، نحو ثلاث مئة ألف درهم ، ألحقت الألف واللام فى آخر لفظ منها ، فقلت : مافعلت ثلاث مئة ألف الدرهم . هذا مذهب البصريين ، لا يجيزون غيره . والبغداديون يجيزون : مافعلت الثلاث المئة الألف الدرهم » .

ووجدت بعض أصحاب الطبقات ينسب إلى ابن قتيبة تأليفا صغيرا فى النحو ، وممن ذكره السيوطى فى البغية ، وقد بحثت عنه كثيرا فلم أظفر به . أما الكتاب المنسوب إليه فى بعض خزائن الكتب بباريس ، فقد تبين أخيرا أنه ليس لابن قتيبة .

☆ ☆ ☆

ولعل أكثر الآفاق الإسلامية أخـذا بالمذهب الكوفى منذ نشأته ، أفق الأندلس ، فقد وفد جودى بن عثمان أحد طلاب العلم الأندلسيين على المشرق فى حياة الكسائى، وأخذ عنه كتيبه فى النحو ، وحمله إلى أهل وطنه ، فوجدوا فيه سدادا من عوز ، وكفاية لحاجة الناشئين من أبناء الأشراف وخاصة الأندلسيين فكانوا يتدارسونه إلى منتصف القرن الرابع الهجرى واستغنوا به ، إذ كانت الدراسة النحوية لا تزال عندهم ناشئة فى القرنين الثانى والثالث؛ إلى أن جاء محمد بن يحيى الرباحى الأندلسى ، إلى المشرق ، وأخذ كتاب سيبويه عن أبى جعفر بن النحاس ، ثم أدخله الأندلس وأقرأه تلاميذه ، وكان منهم أبو بكر الزبيدى صاحب كتاب « طبقات النحويين واللغويين » ، فكان ذلك مبدأ طور جديد من تاريخ النحو فى الأندلس .

على أنه يمكن القول بأن إقبال كبار الطلاب الأندلسيين على كتاب سيبويه لم يمح من أذهانهم المذهب الكوفى جملة ، وقد استقر عندهم نحو قرنين ، وإنما استمر العمل عليه عندهم ، وخاصة فى تعليم الناشئين ، ولذلك نرى ابن مضاء القرطبى (٥١٣ — ٥٩٢ ﻫ) فى كتابه « الرد على النحاة » ، الذى حققه ونشره الدكتور شوقى ضيف الأستاذ بجامعة القاهرة ، نرى ابن مضاء هذا يؤثر تخريجات الكوفيين ، فى بابى التنازع والاشتغال ، على تخريجات البصريين ، مما يدل على اعتياده مذهب الكوفيين ، الذائع فى الأندلس لعهده ، على الرغم من دخول كتاب سيبويه الأندلس منذ منتصف القرن الرابع .

ويظهر لى أن الأندلسيين كانوا يجمعون فى قراءة النحو وإقرائه ـ منذ عرفوا كتاب سيبويه ـ بين مذهبى البصريين والكوفيين ، على نحو ما كانت عليه حال البغداديين فى القرن الثالث الهجرى ، فلم يكن النحو فى الأندلس بعد القرن الرابع بصريا خالصا ، ولا كوفيا خالصا ، وإنما كان مزاجا منهما .

يؤيد هذا أننا نجد ابن مالك ـ وقد نشأ فى الأندلس ، وأكمل دراسته فى حلب عند ابن يعيش شارح المفصل ، ثم درس فى دمشق وغيرها من مدائن الشام ـ نجده تغلب عليه نزعة المزج بين النحويين بدرجة قوية ، بل نراه يرجح المذهب الكوفى فى كثير من الأحيـان ؛ وقد رد ابن مالك إلى النحو الكوفى ـ بصنيعه هذا ـ كثيرا من اعتباره الذى فقده بعد القرن الثالث فى المشرق ، وكان فى عمله هذا إنصاف وتقدير للمذهب الكوفى ، أكثر مما حاوله أبو البركات ابن الأنبارى فى كتابه « الإنصاف ، فى مسائل الخلاف ، بين البصريين والكوفيين » ؛ فقد كانت نزعته فيه إلى تأييد المذهب البصرى ، واضحة قوية .

ومنذ ألف ابن مالك فى الشام كتبه المعروفة انتشرت ـ فيها وفيما جاورها من البلاد العربية ـ طريقته الخاصة فى النحو ، الجامعة بين كثير من النحو البصرى ، إلى قليل من النحو الكوفى ، يرجحه على نحو البصريين ، ويدفع عنه الوهن والضعف . وذاع ذلك واستفاض فى الشروح والحواشى ، التى شرحت تآليف ابن مالك أو دارت حولها ؛ مما لا يزال مرجعا للطلاب والأساتذة ، فى شتى البلاد العربية ؟

أمالٍ من اللهجات العامية (١)

للأستاذ عباس محمود العقاد عضو المجمع

من أغراض المجمع دراسة اللهجات العامية فى مصر وسائر الأقطار العربية ، ونحسب أنه من أنفع أغراض المجمع فى خدمة اللغة الفصحى . لأننا نساير اللهجة العامية فى تعبيراتنا بها وتصرفنا فيها ، ونقيس عليها فنخلص من المشابهة حينا والمخالفة حينا ، إلى شىء من الأصول التى جرت عليها اللغة الفصحى فيما يقابل هذه التعبيرات أو هذه التصرفات .

ومن أمثلة ما يستفاد على هذا النحو هذه الشواهد فى مسألة الأضداد ، ومسألة الأوزان وتحولها مع الزمن من صيغة إلى صيغة قبل أن تستقر على صيغتها الأخيرة .

(١) الأضداد

كنت أتجه إلى النيل يوما ولا أعرف موعد فتح القناطر فى تلك الجهة . فلقيت جماعة مقبلين من ناحية النهر ، فسألتهم : هل الكبرى مفتوح ؟ وأجابنى اثنان منهم فى وقت واحد . قال أحدهما : نعم مفتوح . وقال الآخر : لا ، غير مفتوح .

فعجبت لأول وهلة من هذا التناقص بين شاهدى عيان فى منظر حاضر قريب ؛ حتى استوضحتهما فعلمت أن أحدهما يعنى فتح الكبرى للسير والآخر يعنى فتحه للملاحة ، فالفتح عندهما بمعنى واحد ولكن على اعتبارين مختلفين .

خطر لى بعد التأمل فى التعبير بكلمة « فتح » على الضدين أن كثيرا من الأضداد فى اللغة يمكن أن يرجع إلى مثل هذا الاختلاف فى الاعتبار أو وجهة النظر .

فيقال ناهل بمعنى ريان وناهل بمعنى ظمآن ، والأصل فى ذلك أنهم يستطيعون أن يقولوا عن الذاهب إلى النهل أنه ناهل ، وعن العائد من النهل أنه ناهل ، فالنهل واحد ؛ ولكن الذاهب ظمآن والعائد ريان ، وهما من ثم ضدان .

ويقال طرب بمعنى فرح وطرب بمعنى حزن ، والأصل فى الطرب الاهتزاز ، والمرء يهتز للفرح كما يهتز للحزن ، فهو طرب فرحان وهو طرب حزين .

ويقال الجون بمعنى الأبيض والجون بمعنى الأسود ، والأصل فيهما التجوين بمعنى الطلاء . جوّن بيت العروس بالبياض ، وجون بيت

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

الميت بالسواد . فالجون أبيض والجون أسود ، وما هما بضدين فى غير هذا الاعتبار .

ويقال جلل بمعنى عظيم وجلل بمعنى صغير ، ولعل الأصل فيهما أن الجليل بمعنى العظيم هو الذى يجللنا ويغطينا ، وأن الجلل بمعنى الصغير هو الذى نجلله نحن ونغطيه .

ونستطرد من ثم إلى الأضداد التى تأتى من التفاؤل ، وفى اللهجة العامية من هذا الباب يقال للمريض إنه « بعافية » . ويقال للإناء الفارغ إنه المليان ، وهكذا يقال فى اللغة الفصحى « سليم » للديغ وسليم للصحيح ، ويقال المفازة للبيداء المهلكة والمفازة للتى يرجى منها الفوز والنجاة . وربما كان الأصل فى « التفويز » بمعنى الهلكة تعبيراً من هذا القبيل .

ونتوسع فى الأضداد من باب إطلاق المعنى الواحد على اعتبارين فنقيس عليها التفكه بمعنى التلذذ والتندم ، ونقيس عليها التغشمر بمعنى ركوب الباطل وركوب الحق ، ونقيس عليها المأتم بمعنى اجتماع النساء للفرح واجتماعهن للبكاء .

فبين التفكه على الاعتبارين جامعة التنقل والمراجعة والتذكر ، وكلها مما يصحب أحاديث السمر وأحاديث الندم والحسرة .

وبين التغشمر على الاعتبارين أن يركب الإنسان رأسه فى خطر أو لجاجة ، فهو محق على اعتبار ومبطل على اعتبار .

وبين المأتم فى الحزن أو الفرح اجتماع النسوة ، ثم يفترق المعنيان فيغلب أحدهما على الآخر .

(٢) الإبـــدال

أما الإبدال فراقبة اللهجات العامية فيه تنصف النحاة الأقدمين فى العصر الحاضر ، لأن أناسا من الباحثين العصريين يحسبونهم قد لجأوا إلى التعلل بالإبدال على سبيل التخلص والهرب من الأسباب الصحيحة التى يجهلونها فيستريحون منها بعلة الإبدال .

والواقع أن الإبدال يجرى أمامنا فى اللهجات العامية على مجراه الذى قال به النحاة الأقدمون .

ففى بعض لهجات الصعيد يأتى مصدر فعّل على وزن « فِعّيل » بكسر الفاء والعين وتضعيف العين ، فيقولون كبر كبيراً ، وزعق زعيقاً ، ودبح دبيحاً ، وكسر كسيرا ، وهو فى أوزان اللغة الفصحى التكبير والتزعيق والتذبيح والتكسير .

وليست الصيغة مقصورة على تلك اللهجة الصعيدية ، لأننا نسمعها على غير قياس فى بعض كلمات الوجه البحرى ، فيقولون مثلا « يكلم » ويقولون « تدّبر » ويقولون « يصّرف ويجنب » ... ويثبتون بذلك ، كما تثبته اللهجة الصعيدية ، أن إبدال التاء فى أحد الحروف المضعفة معهود على اللسان .

ولا نعرض هنا للشواهد الفصيحة لأننا نخص اللهجات العامية بالقياس فى هذا الحديث ، وإلا فالشواهد من القرآن الكريم تثبت لنا

هذا الإبدال فى كلمات متعددة ، مثل « يزّكى ويذّكر ويشقق » وكلها مما يسمع فيه الإبدال بالتاء ، إذ يقال يتزكى ويتذكر ويتشقق ، على القياس فى « فعل يتفعل » كما هو معلوم .

(٣) أوزان المصادر

أما أوزان المصادر فالعامة فى إقليم أسوان يأتون بالمصدر من فاعل على فاعال ، فيقولون الحاراب والحاران والخاباط والجاكار . ونسمع فى الوجه البحرى « حازارك فازارك » وهى قريبة من هذا الباب .

والذى لفت نظرى من هذه الكلمات كلمة « الجاكار » بمعنى المماطلة فى البيع وغيره ، فإنها من كلمات الفصحى التى لا تسمع فى عامية الأقاليم الأخرى ، وموضع الالتفات فى هذه الكلمة خاصة أن وزن « الفاعال » من المفاعلة قديم يرجع إلى الوقت الذى كانت فيه هذه الكلمة تجرى على ألسنة الفصحاء وألسنة العامة .

فهل يسوغ لنا أن نقول إن وزن « فاعال » من فاعَل خطوة سبقت وزن فِعال الذى انتهينا إليه ؟ إن فاعال أقرب إلى فاعل ، ويجوز لهذا أن تكون قد سبقت الفِعال ثم طواها الإهمال فى غير تلك اللهجة العامية ، ويرجح لنا تشابه العامية والفصحى فى هذا الوزن مادة « جكر » بمعناها الفصيح .

* * *

هذه شواهد مما يستفاد من تتبع اللهجات العامية فى خدمة الفصحى واستطلاع بعض أسرارها وأصولها ، ونرجو أن نتبعها بشواهد أقرب من قبيلها ؟

الوغى بين أهل اللغى

للمرحوم الأستاذ عبد القادر المغربي [1] عضو المجمع

كنت فى حفلة افتتاح لسنة مضت ألقيت كلمة فى مثل هذا الحفل الكريم تعرضت فيها لبحث طريف من بحوث اللغة العربية . وهو تنازع اللغات فى بعض كلمات شائعة فى لهجاتنا ، وعلى أسنة أقلامنا . وقلت يومئذ إن هذه الكلمات هى من الكثرة بحيث يصح أن تكتب فيها محاضرة بعنوان « تنازع اللغات فى بعض الكلمات » . وفضل أحد الزملاء أن يكون عنوانها (الوغى بين أهل اللغى) .

واللغى بألف مقصورة فى آخرها جمع لكلمة لغة فكما يقال لغات يقال لغى أيضا .

ثم وعدت بعرض نموذجات من كلمات هذا البحث الطريف فى فرصة أخرى .

وهأنذا منجز وعدى فأعد منها ، ريثما أستوفى نصيبى من الوقت فأكف عنها :

١) (صوفى) يوصف بالرجل المعروف بالزهد والتقشف والعزوف عن زهرة الحياة الدنيا . وهو لفظ منسوب إلى لبس الصوف . أو الصُّفّة التى كانت فى المسجد النبوى على عهد سيدنا الرسول . أو أن الصوفى من الصفا بمعنى صفاء القلب من كدورات العالم . فهو على كل حال لفظ عربى . فيقوم اليونان ويقولون : بل إن (الصوفى) كلمة من أصل يونانى مشتقة من كلمة (سوفا) بمعنى الحكمة . فكما أن كلمة (فيلسوف) من (فيلاسوفا) بمعنى محب الحكمة كذلك يقول معشر بنى يونان فى ضده (صوفيست) (Soufist.) بمعنى المفسد للحكمة المشعبذ فيها . وقد عربت صوفيست إلى (سوفسطائى) فكان وصف قدح كما أن فيلسوف وصف مدح . فالصوفى إذن مشتق فى الأصل من كلمة يونانية تشعر بالذم ؛ لكن العرب نقلوها الى المدح : كذا يزعم اليونان .

٢) (قهوة) لفظ عربى سمى به حب (البن) المعروف . مأخوذ اسمه من اسم (القهوة) التى معناها فى اللغة العربية الخمرة . اشتقها العرب من فعل (أقهى يقهى) أى ذهب بشهوة الطعام ، والخمرة والبن كذلك يفعلان .

فتنازعنا فى هذه الدعوى أمة الحبش وتقول : بل القهوة كلمة حبشية مأخوذ اسمها من كلمة (كفا) وهى اسم لولاية من ولايات الحبش هى موطن البن الأصلى . والفرنسيون يسمون القهوة (Caffé) باسم موطنها الحبشى هذا ، كما سموا البن الجيد موكا (Moka) باسم مدينة (مخا) موطنه اليمنى الأصلى .

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة العلنية لافتتاح مؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

٣) (الرفت) للبوظف هو لفظ عربى مأخوذ من فعل (رفت) بمعنى دقّ وفتّ وكسر . والموظف المرفوت قد فتّ فى عضده وكسر جناحه . فاللفظ عربى إذن .

وقال المرحوم أحمد زكى باشا إن الرفت عربى لكنه محرف عن (الرفض) بالضاد .

ولم يعجب الفرس لا قول العرب ولا قول أحمد زكى . وإنما قالوا (الرفت) كلمة من أصل فارسى ومصدرها (رفتن) ومعناه الكسح والتكنيس وهما أى الكسح والتكنيس بمعنى (التطهير) فى لغة انقلاباتنا الجديدة .

٤) (قانى) من الألفاظ العربية المؤكدة للألوان . وهى تؤكد اللون الأحمر يقال أحمر قان كما يقال أسود حالك . وأصفر فاقع . وأبيض ناصع . هكذا يقول العرب فهى عندهم كلمة عربية فصيحة لا أثر للعجمة فيها .

فيرد عليهم الأتراك ويقولون إن (قانى) تركية الأصل نسبة إلى (قان) بمعنى الدم ، فأحمر قانى بمنزلة قولكم أحمر دموى .

وينكر العرب هذا ويثبتون أن (قانى) عربى مشتق من (القنوء) بمعنى الحمرة . يقال : لحية قانية : أى حمراء . وقنأ لحيته ، وقنّأها إذا خضبها بالحناء فأصبحت حمراء . وقال شاعر العرب :

يسعى بها ذو تومتين منطّق

قنأت أنامله من الفرصاد

يسعى بها أى بالخمرة . وقنأت أنامله أى احمرت .

ثم يقول العرب للأتراك : وما يدريكم أن تكون كلمتكم (قان) بمعنى الدم قد أخذتموها أنتم من (قانى) العربية ؟

والمعركة بين الفريقين مازالت ناشبة .

٥) (النشا) وهو خالص دقيق الحنطة . يقول الفرس هو لفظ فارسى مختزل من (نشاستج) أو (نشاسته) . فينبرى لهم ابن سيده صاحب المخصص ويقول : بل إن (النشا) كلمة عربية من فعل (نشِيَ) إذا شم الرائحة . وقد سمى النشا بذلك لما يشم من خموم رائحته حين صنعه .

٦) (أسطوانة) العمود تشيد عليه الأبنية ولاسيما المساجد . ومنه أسرة الأسطوانى بدمشق . قال ابن دريد وأيده (ابن سيده) هو أى أسطوانة لفظ عربى من قولهم : جمل أسطوانى أى مرتفع طويل العنق .

فيهزأ الفرس بقولهم هذا ويقولون : بل إن (أسطوانة) فارسية أخذها العرب من كلمة (ستون) بمعنى عمود دعامة .

٧) (الناطور) حارس الكرم كلمة عربية من فعل (نطر) بالطاء المهملة لغة فى فعل (نظر) بالظاء المعجمة . أو يقال إن (ناطور) كلمة عربية عامية محرفة من (ناظور) العربية .

ويعارض العرب فى قولهم هذا أمة (النبط) أصحاب الدولة القديمة وعاصمتهم (البترا) ويقولون : إن ناطور كلمة نبطية من لغتنا معشر النبط اقتبستموها أيها العرب من أبنائنا الأنباط الذين كانوا يعمرون سواد العراق وعاشرتموهم منذ القديم .

٨) (جناح) بمعنى الإثم والذنب . كلمة عربية ادعاها الفرس والترك معا . وقالوا إنها معربة من كلمة (كناه) الفارسية أو التركية فعربتموها أيها العرب إلى (جناح) فأصبحت من لغتكم الفصحى حتى نزل بها الوحى الإلهى قال تعالى (ليس عليكم جناح) الآية .

فرد عليهم العرب وقالوا : بل أنتم أخذتم (كناه) من (جناح) وقال الترك: بل أنتم الآخذون المغيرون . ولم تنته المعركة .

٩) (على الحارك) تقول للرسول ترسله لقضاء مصلحة : « ارجع على الحارك » ويقول المصريون فى لهجتهم (على الحركرك) . وكلاهما عربى مشتق من حارك الدابة التى يركبها الرسول الذى ترسله . ومعنى الحارك أعلى الكتف . كأن المرسل يقول لرسوله: أبلغ الرسالة وارجع حالا من دون أن تنزل من على حارك دابتك . أو تقول إن قول العرب (على الحارك) مشتق من كلمة (الحركة) . وما أبرك الحركات وأحوجنا إليها أحيانا .

وأما الفرنسيون فلا يعجبهم اشتقاق الحارك ولا الحركرك من الحركة بل يقولون إنهما مأخوذتان من اللغة الفرنسية التى يقال فيها (Rica-ric.) أى بالضبط . فهذا من ذاك . والدعوى مازالت قائمة لم يحكم فيها .

١٠) (البريص وبردى) كلاهما اسم لنهر دمشق . فبريص مشتق من البرص أى اللمعان . وبردى من برودة الماء . فاللفظان عربيان . كذا يقول العرب .

عندها يصيح اليونان منكرين قولنا كل الإنكار أن تكون بريص وبردى عربيتين ويدعون أنهما لفظان من أصل يونانى عربهما العرب من كلمة (باراذيسيوس) أى الجنة . ومنه (بارادى) اسم للجنة فى اللغة الفرنسية . ثم قالوا : إنكم أيها العرب تلاعبتم بكلمة (باراذيسيوس) وولدتم منها ألفاظا عدة : بريص . وبردى . وفردوس . وفراديس . وربما غيرها أيضا .

١١) (سارة) زوجة إبراهيم الخليل . اسم عربى مخفف الراء من كلمة (سارة) المشددة الراء وهى اسم فاعل من السرور . أى أن المسماة بسارة تسر القلوب . ويقول العبريون : بل هى أى (سارة) لفظة عبرية مخففة الراء من يوم خلق الله سارة . ومعناها السيدة أو الأميرة . ومنها كلمة (Sœur.) الفرنسية بمعنى أخت . ومنها أيضا كلمتا (سر) و(سير) وهما لقب شرف فى اللغة الإنكليزية .

١٢) (قارة) القطعة الكبيرة من سطح الكرة الأرضية . لفظ عربى من فعل (قر) إذا ثبت واستقر . وتلفظ بتخفيف الراء فيقال (قارة) ، مثلما خففوا كلمة (مكعب) فقالوا مكعَب .

ويقول الأتراك : بل إن (قارة) لفظة تركية أصلها (قره) بمعنى الأرض اليابسة وتستعمل مقابل (دكز) بمعنى البحر . أخذتم يا معشر العرب هذا الاصطلاح الجغرافى وهو قارة من لغتنا ، كما أخذتم كلمة (بوغاز) اسما للمضيق بين بحرين من لغتنا أيضا . وأصل معنى البوغاز فى لغتنا الحلق والحلقوم .

١٣) (خارطة) اسم المصور الجغرافى . كما كان يسميه جغرافيو العرب . وهو لفظ عربى محرف من كلمة (خريطة) العربية بمعنى الوعاء من جلد تضم أطرافه على مافيه بواسطة عرى حواليه . والمصورات الجغرافية قديما كانت تبسط ثم تطوى على نفسها وقاية لها فتصبح كالخريطة .

فينفض الفرنسيون رءوسهم ويقولون : بل إن (خارطة) كلمة فرنسية محرفة من (كارت) بمعنى قطعة الورق المقوى . كانت تصور عليها أقسام الكرة الأرضية . ولكلمة (كارت) أصل يونانى عرفه العرب قديما واشتقوا منه كلمة (قرطاس) بمعنى الورق . وتناوله الأتراك فحرفوه إلى (خرطوش) اسما لوعاء البارود من الورق المقوى .

١٤) (الغول) مخلوق خرافى عجيب الخلقة يطوف فى بوادى جزيرة العرب كما يزعمون . هو لفظة عربية مشتقة من الاغتيال لأن الغول يغتال المسافرين . وقال اللاتين : إنه من لغتهم وأصله فيها (Gulo) . ومن معانيه حيوان مفترس ذو أنياب غزير الشعر أخضر العينين ، يطوف كأنه يمشى على الهواء . كذا وصفوه .

١٥) (فسقية) بركة الماء الصغيرة . يقول العرب إنها عربية من فعل فسق إذا خرج . وكذلك الفسقية فإنكم ترون الماء يخرج من أنبوبة فى وسطها . ويزعم الفرنسيون أنها فرنسية محرفة من (Vasque.) وأصلها اللاتينى (Vasqa.) بمعنى الفسقية التى يزين العرب بها قاعاتهم .

١٦) (شوب) بمعنى الحر الشديد فى اللهجة الشامية . لفظ عربى من فعل شاب يشوب شوبا بمعنى خلط ومزج . وقد تسربت كلمة (شوب) إلينا معشر الشاميين من الآية القرآنية (شوبا من حميم) والحميم الماء الحار . فنقله الاستعمال إلى الهواء الحار الممزوج بالأبخرة المائية . ويقول الفرنسيون : بل إن الشوام بعد أن عاشرونا فى العصور الأخيرة أخذوا شوب من لغتنا واسم الحر فيها (Chaud.)

١٧) (الفرن) يعرفه العرب الأقدمون . والقيم عليه فران . فهو لفظ عربى . والغليظ المستدير من الخبز يسمى (فرنى) نسبة إلى الفرن . وقامت الأعاجم تنازعنا وتقول : بل إن الفرن من لغاتهم التى اسمه فيها (Fournée.) بمعنى وجاق النار . وفيها أيضا (Fourneau) بمعنى مقدار من الخبز يخبز دفعة واحدة . ويقول الفرنسيون : لا هذا ولا ذاك ، وإنما (فرن) من (Phour.) الفرنسية . فترد عليهم بأن (فور) ليس فى آخرها نون . فيقولون : إنكم أيها العرب زدتم النون عليها كما زدتموها فى (فنار) الفرنسية التى أصلها (Phare.) . واشتد النزاع بيننا وبينهم وسيكون النصر فى جانبنا لظهور حقنا فى دعوانا .

١٨) (منتان) ثوب قصير يلبس على أعلى البدن . هو عربى مشتق من النتن أى الرائحة الخبيثة . وكذلك المنتان يلبس تحت الثياب ، فتكون له تلك الرائحة . وقال الفرس : بل هو

فارسى محرف من (نيم تن) أى نصف البدن . و (تن) بمعنى بدن . وكذلك (المتنان) فإنه إنما ينطبق على نصف بدن الإنسان الأعلى .

١٩) (فسطان) ثوب معروف ويسميه الفرنسيون (Fustanelle.) . قال ابن بطوطة فى رحلته (كنت أرى قاضى مكة لابسا جبة بيضاء من ثياب القطن المدعوة بالفسطان). فالفسطان بالطاء لفظ عربى منسوب إلى (فسطاط) مصر إذ كان يصنع فيها كما يصنع الثوب (الدبيق) نسبة إلى (دبيق) من بلاد مصر . وكذا القبطية والقباطى ثياب نفيسة يصنعها أقباط مصر .

ولا يخفى أن (فسطاط) عند العرب بمعنى الخيمة العظيمة . ويقول الفرس : (الفسطان) فارسى وأصله (فستان) بالتاء و (تن) بمعنى البدن كما مر .

٢٠) (عورية) كلمة تستعمل فى لهجة الملاحين والبحارة فى السواحل الشامية . يريدون بها السفينة المصابة بتخريب وتحطيم عطلها عن العمل . فهو لفظ عربى مشتق من (العوار) بمعنى العيب فى السلعة . وعور الراعى الغنم عرضها للضياع والتلف .

ورد الفرنسيون علينا دعوانا زاعمين أن (عورية) محرفة عن كلمة (.Avarié) وهو اسم مفعول من كلمة (.Avarie) الفرنسية ومعناها العيب والعطل .

٢١) (القرش) أشهر اسم من أسماء العملة العربية الصغيرة القطع . فهو لفظ عربى مشتق من فعل (قرش) لعياله إذا اكتسب لهم . ومنه سميت قبيلة (قريش) لاشتهارها فى الكسب والتجارة . وإذا كان (قرش) عربيا حسن أن يفتح أوّله لأننا نجمعه على قروش . وفعول جمع قياسى لما كان على وزن فعل بفتح فسكون .

وجاء دور الألمان هذه المرة فنازعونا (القرش) وقالوا : هو لفظ ألمانى وأصله (.Groshen) اسم يطلق على عملة ألمانية تساوى عشر المارك . وإذا صح أن أصل القرش ألمانى يحسن أن يكتب ويلفظ بالغين فيقال غرش وغروش .

٢٢) (قازوز . وقازوزة) اسم للشراب المرطب المعروف ، هو لفظ عربى، وهو فى الأصل بمعنى القارورة أى القنينة الصغيرة التى يكون فيها ذلك الشراب . قال الشيخ الفيومى المصرى (القازوزة إناء يشرب به الخمر) فسمى العرب المعاصرون الكازوز باسم ذلك الإناء . فقامت قيامة الفرنسيين وقالوا : كلا بل إن كلمة (كازوز) مأخوذة من كلمة (Gaz) التى اشتقت منها كلمة (.Gazeux) أى شراب غازى ينبعث منه غاز حين تعرضه للهواء . فكيف تدعون عروبتها ؟ فنحيلهم إلى الفيومى المصرى وهو يعرف كيف يقنعهم .

٢٣) (سلطة) لفظ عربى من (السليط) اسم للزيت الجيد الذى يطيب طعم السلطة .

وقال الفرنسيون : بل هو اسم محرف من كلمة (.Salade) المشتقة من فعل (.Saler) و (Saler) من كلمة (Sel) وهو الملح الذى يطيب طعم السلطة . فنقول لهم : أيهما

أدخل فى تطييب طعم السلطة ؟ الزيت أو الملح ؟ فيسكتون مفحمين عند سماع هـذه الحجة الصارخة .

٢٤) (فانوس) اسم للمصباح المعروف منذ القديم فى البلاد العربية . وليس النزاع فيه بين العرب وغيرهم وإنما النزاع بين الأعاجم أنفسهم . فالطليان يجعلون لفظ الفانوس الشائع فى بلاد الشرق من أصل لاتينى وأن أصله (ڤينيسين) (Venitienne.) نسبة إلى ڤينيسيا المدينة الإيطـالية التى يسميها العرب البندقية . ويقول اليونان : كلا بل إن (فانوس) كلمة يونانية وأصلها (فانوس) الذى يفيد معنى النور . ومنه أسماء قساوسة النصارى : (أبيفانوس) و (ثيوفانوس) ... الخ .

٢٥) (مسخرة) لفظ عربى من سخر به وسخر منه : إذا تهكم واستهزأ ، ومصدره السخرية .

فتقوم قيامة الفرنسيين ويقولون : بل المسخرة فرنسية محرفة من كلمة (ماسكاراد) (Maskarade). وماسكاراد هذه مشتقة من كلمة (.Maske) التى معناها وجه صناعى مزوق من ورق ونحوه يلبسونه لأجل السخرية والإضحاك ولاسيا فى أيام الكارنافالات . فنقول لهم : خذوها بارك الله لكم فيها .

٢٦) (بِبُّـو) اسم للطفل الرضيع . لفظ عربى الأصل محرف عن (بِبَّـه) . ففى كتب اللغة (ببه) على وزن حبة لفظ يحكى به صوت الصبى . ثم نقل فى الاستعمال إلى الصبى نفسه . وكانت أم عبد الله بن الحارث من أشراف قريش تناغيه وهو رضيع بكلمة (ببه) وترقصه وتقول (تالله رب الكعبه . أزوجن ببه . جارية خدبّـه) .

ومازالت تثرثر بهذه (الترقيصة) حتى سمى الناس ابنها (ببه) فلزمه هذا اللقب حتى إلى يوم أصبح عاملا من كبار عمال بنى أمية .

وقال العبرانيون (ببو) أو (ببه) محرف عن كلمة (بابوس) ومعناها فى لغتنا العبرية الطفل الصغير فهى عبرانية لاعربية . فنقول لهم : وربما أيد قولكم هـذا ماجاء فى الحديث الشريف فى خبر راهب إسرائيلى اتهمته أم طفل بأنه أبو طفلها وكادوا يوقعون به لولا أن الراهب المتهم سأل الطفل قائلا (يا بابوس من أبوك ؟) فأجابه (أبى : الراعى فلان) .

أما الفرنسيون فيدعون أن (ببو) محرفة من كلمة (Bébé) الفرنسية ومعناها الطفل الصغير .

ويمكننا القول بأن ألفاظ : ببو وببه وبيبى وبابوس ، وماشا كلها فى سائر اللغات مما يخاطب به الأطفال الرضع وكذا ألفاظ : بابا وبت وأب ، وماشا كلها فى لهجات اللغات الأخرى أيضا مما يستعمل فى تلقيب الأجلاء والأبرار من الرجال — كل هـذه الألفاظ يصح أن يطلق عليها اسم (انتيرناسيونال) أى ألفاظ عالمية ، ولها نظائر يمكن تتبعها وجمعها مثل : (ماما) للأم . (نونو) للصغير . (بربر وباربار) للشعب المتوحش . وكذا بابا وببو .

٢٧) (قلم) اسم للقصبة التى يكتب بها . كلمة عربية من فعل (قلم) بمعنى قطع . ومنه تقليم الأظفار وتقليم الأشجار . والقلم بمعنى

اسم المفعول أى بمعنى مقلوم . ولذلك قالوا إنه لايسمى قلما حتى يكون قد قطع وبرى وإلا فهو يراعة وقصبة . قيل لأعرابى ما القلم ؟ قال لا أدرى . فقيل له : توهمه . فقال: هو عود قلم من جانبيه مثل تقليم الأظفور .

وقال اليونان: ليست (قلم) عربية وإنما هى محرفة من لغتنا اليونانية وأصلها (Calomos)

٢٨) (أرضى شوكى) اسم شائع فى لهجة السواحل الشامية . يريدون به الخضرة التى تسمى فى أقطار أخرى « خوشوف » و « انكنار » . أما أرضى شوكى فاسم عربى كما تدل حروف ألفاظه على عروبته . ويرجع تأويله إلى قولنا (شوك الأرض) لشبه رؤوس أوراقه بالشوك .

ويقول الفرنسيون : بل هو محرف من كلمتنا الفرنسية (Artichaut) . فنقول لهم ومايدرينا أن تكونوا أنتم حرفتم أرض شوكى إلى (ارتيشو) . فيقولون كلا . ونجيبهم بدورنا كلا . ولابد أن ينتهى الأمر بيننا إلى سيادة الحق وغلبته .

٢٩) (الاستادارية) رتبة من رتب الدول التركية فى القرون الوسطى الإسلامية. وقلدهم فيها الخلفاء فى مصر وبغداد . وصاحبها يقال له (استادار) وهو الموظف الذى يرجع إليه فى أمر النفقات وإدارة المطابخ والخدم فى قصور الملوك . فاستادار لفظ عربى محرف من كلمتى (أستاذ) و (دار) العربيتين كأننا نقول أستاذ الدار .

وقد نازعنا الفرس فى عروبة « استادار » وأنكروا أن تكون (دار) فى آخر استادار بمعنى دار السكن العربية وإنما هى أداة فارسية تفيد معنى صاحب الشىء والقيم عليه ، كما هى فى كلمات خزندار وبيرقدار وجوخدار ونحوها . وكلمة (استا) مختزلة من استاد بالدال ، ومعناها رئيس ومعلم بالفارسية . وفى اللهجة العربية العامية حرفت (أستا) إلى « أوسطه » بالطاء .

ويوشك أن يكون الحق مع الفرس فى ادعاء هذه اللفظة .

٣٠) (ألوألو) لفظ تفتتح به المخاطبات التلفونية وهى الكلمة العالمية بحق والتى يتكرر النطق بها كل يوم بل كل ساعة بالمليارات . قالوا أولا : إنهم يجهلون أصل هذه الكلمة . وإنما اتفق لمخترع التلفون وهو يجربه فى أول الأمر أن قال لمخاطبه (ألوألو) فعلق هذا اللفظ على الألسنة كاصطلاح بين المتخاطبين فى التلفون .

فنقول لهم إن فى اللغة العربية كلمة (ألا) وهى تستعمل استعمالا فصيحا فى افتتاح الحديث وطلب الانتباه . وفى القرآن (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) .

فألو إذن عربية نتبناها معشر العرب ما دام أصلها مجهولا حتى تجدوا أيها الناس لها أصلا .

لكنهم أخيرا قالوا إنها أى «ألو» مختزلة أو منحوتة من الكلمة الفرنسية (Alons) (Alons) ومعناها للنسر. لنمش . هيا بنا . فنقول لهم إذن هى من لغة بلادكم فحقكم فيها ظاهر . نرضى لكم به كما لا نرضى إلا أن يكون لنا الحق فى لغة بلادنا .

* * *

هذا أيها السادة نموذج من دعوى النزاع القائم بين العرب وغيرهم بشأن ملكية بعض كلمات لغاتهم . وقد اقتصرت على سرد أقوال المتداعين غير متجرىء على الحكم لهم أو عليهم .

وإنما تركت ذلك إليكم . والسلام عليكم ؟

فى اللغة أبناء علات ، كما فى البشر

للمرحوم الأستاذ عبد القادر المغربى عضو المجمع

كما يكون فى العائلات البشرية بنو علات أي أولاد لأب واحد ولدوا من أمهات شتى ، كذلك فى اللغة العربية (أبناء علات) ، أو تقول (مشتقات علات) .

نرى طائفة من الكلمات ذات وحدة فى مادتها وحروفها . فإذا نقبت عن أصل المادة التى اشتقت منها أو تولدت منها مجموعة تلك الكلمات رأيت أن ذلك الأصل تارة يكون عربياً من وضع العرب الأقحاح فولد ألفاظا عربية قحة . وتارة تجده من لغة الفرس مثلا وقد ولد ألفاظا فارسية استعربت بلسان العرب وأصبحت مع الألفاظ العربية المشاركة لها فى المادة إخوة مندمجة فى أسرة لغوية واحدة : متحدة الأب مختلفة الأم .

ولا يتضح هذا فى النفس ما لم نلم ببعض الشواهد عليه .

« مــرج »

مادة مرج . قد تكون أما عربية لعدة كلمات اشتقت منها أو تولدت منها . ترى فى كتب اللغة أن تلك المادة أى مادة (مرج) تدل فى أصل معناها على القلق والاضطراب كما فى اللسان . ويلزم من اضطراب الشىء وقلقه فساده وعدم صلاحيته للانتفاع به . فكان الفساد من معانى المرج . ولا شىء من أقوال اللغويين يدل على أن « المرج » بهذا المعنى فارسى الأصل فهو إذن عربى محض . وقد اشتق منه مشتقات عربية كثيرة .

١) مرج الخاتم فى إصبعى مرجا : قلق . وكذلك السهم يقلقه الدم اللاصق به فتختل حركته ويطيش ويسقط . يقال سهم مريج . وإذا كان السهم أعوج ملتويا قيل فيه أيضا سهم مريج . ولا غرو فإن « المرج » يكون بمعنى الفساد كما مر ، واعوجاج السهم والتواؤه فساد فيه . ومما يدل على أن معنى الفساد فى كلمة « المرج » مأخوذ من معنى القلق فى الخاتم قول صاحب النهاية : « مرج الدين فسد وقلقت أسبابه » وكذا الأمر والعهد والأمانة يقال فيها مرجت إذا فسدت .

٢) ومن مشتقات « المرج » العربى قولهم « مرج فلان أمره يمرجه » إذا ضيعه . فهو منه فى قلق واضطراب . ورجل ممراج يمرج أموره ولا يحكمها فهى قلقة مضطربة .

٣) ومن سلالة مرج العربية أمرجت الناقة فهى ممرجة إذا ألقت ولدها قبل تكونه جنينا . فهذا من « المرج » العربى الذى معناه الفساد .

مادة مرج الفارسية : هى أم أعجمية لطائفة من الكلمات العربية اشتقت منها

أو تولدت منها . جاء فى المخصص لابن سيده : «جزء ١٠ ص ١٢٧» ما نصه (والمرج الأرض المفيضة الواسعة التربة المعشاب . وأصله فارسى . وقد جرى فى كلام العرب وصرف . قال العجاج — ووصف عيرا وأتنا — « وقد رعى مرج ربيع ممرجا » . والممرج المرعى) اه .

والأصل الفارسى الذى عرب العرب منه كلمة « مرج » هو « مرغ » بفتح الميم وسكون الراء والغين المعجمة . وقد فسر شمس الدين سامى فى قاموسه التركى كلمة « المرغ » بكلمة « چاير » التركية . وتفسر المعاجم التركية كلمة « چاير » بالمرج وبالمرعى . فلم يبق شك فى أن « مرج » العربية - التى معناها مرعى الدواب - معربة من « مرغ » الفارسية، عربت فى زمن الجاهلية ، واستعملت فى كلامهم كسائر ألفاظهم العربية الأصل. ثم إن « مرج » الفارسية هذه ولدت أولاداً ومشتقات عدة . قال صاحب الصحاح فى تفسير معنى « المرج » الفارسية ما نصه : « المرج الموضع الذى ترعى فيه الدواب » . وزاد عليه صاحب اللسان قوله : «مرج الدابة يمرجها إذا أرسلها ترعى فى المرج . فدل بقوله « فى المرج » على أن فعل مرج الذى هو بمعنى أرسل إنما اشتق من كلمة « المرج » الفارسية » . وزاد هذا القول تثبيتا الشيخ الفيومى المصرى[1] فى مصباحه . ونصه «المرج أرض ذات نبات ومرعى . ومرجت الدابة رعت فى المرج . ومرجتها أنا أرسلتها ترعى فى المرج» . فانظر كيف أن كلمة « المرج » الفارسية دخلت فى تفسير معنى فعل «مرج» الدابة المعرب الذى كادوا يجمعون على أن معناه إرسالها فى المرعى .

وليس هذا فقط بل إن « مرج » بمعنى أرسل الدابة استعمله العرب فى معنى مجازى . وقد جاء بهذا المجاز الوحى الإلهى فى التنزيل سورة الرحمن «مرج البحرين يلتقيان» . قال الإمام الطبرى شيخ المفسرين : « يقول تعالى ذكره : مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان . يعنى بقوله مرج أرسل وخلى من قولهم مرج فلان دابته إذا خلاها وتركها ». وذكر سند هذا التفسير فأوصله إلى ابن عباس . ثم انتقل الطبرى إلى تفسير المراد من إرسال البحرين . فقال : « إن معنى إرسالهما إطلاقهما يجريان حتى إذا التقيا وقف كل واحد منهما عند حدود برزخه فلا يبغى أو يطغى على الآخر » .

فمرج البحرين فى الآية بمعنى أرسل . وهذا إرسال مجازى . أما الإرسال الحقيقى فهى إرسال الدابة طليقة فى المرعى كما لا يخفى .

فقد تحصل معنا أن كلمة « مرج » التى معناها المرعى فارسية الأصل وأن من أولادها اللواتى اشتقت منها مرج الدابة إذا أرسلها فى المرج لترعى . ومرج البحرين أرسلهما تعالى

(١) وقال بعض الإخوان : إن الفيومى صاحب المصباح ليس مصريا وإنما هو عراقى ، والفيوم التى نسب إليها هى مدينة فى العراق مسماة باسم الفيوم المصرية . فليراجع معجم البلدان .

فيلتقيان ولا يبغيان . على أن اللسان يقول أيضا « والمرج الخلط . ومرج الله البحرين خلطهما حتى التقيا » . فيكون المرج فى الآية معنى غير الإرسال لكنه مأخوذ أيضا من الأصل الفارسى أعنى اختلاط الدواب فى المرعى .

٢) ومن مشتقات « مرج » الفارسية قول العرب « مرج الناس » اذا اختلطوا اختلاط الدواب التى تخلى فى المرعى فتسرح حيث شاءت .

٣) ومنها « رجل مراج » قال صاحب اللسان : معناه أنه يزيد فى الحديث . وهذه الزيادة خلط بين شيئين . فلا جرم أن يكون «مراج» هذا من «مرج» الفارسية التى تختلط فيها دواب الرعاة فى المرعى . ويقولون أيضا : فلان سراج مراج أى كذاب (١) .

مشتقات أخرى يحتمل أن تكون من نتاج « مرج » العربية أو « مرج » الفارسية .

١) مرج الأمرُ مرجا اختلط والتبس على الناس فلم يعودوا يعرفون وجه الصواب فيه، « فهم فى أمر مريج » كما فى التنزيل . ويقال : « غصن مريج » ملتو مشتبك قد التبست شناغيبه. ويلزم من التباسه على هذا الشكل فساده وعدم الانتفاع به . فالمرج بهذا المعنى مأخوذ من الأصل العربى الذى هو « القلق والاضطراب » .

أو يقال هو من الأصل الفارسى الذى معناه « تخلية الدواب فى المرج مختلطة تسرح كيفما شاءت » . إذ أن التباس الأمر واختلاط وجهات النظر فيه يشبه اختلاط الدواب فى المرعى وتسربها أنى شاءت فلا يعود النظر يقدر على تعيين وجهة كل منها ، أو أن الرعاة لا يكادون يميزون بين دوابهم بعضها من بعض .

ففعل « مرج الأمر » بمعنى التبس واشتبه يحتمل أن يكون متولدا من الأصل العربى بمعنى الفساد والقلق أو من الأصل الفارسى وهو اختلاط الدواب فى المرعى .

٢) (المرج) بمعنى الفتنة يحتمل أن تكون من مرج الدواب فى المرعى مختلطة تفعل ما تشاء ويذهب كل منها أنى شاء لا راعى لها ينظم حركاتها ، كما يحتمل أن تكون من قلق الخاتم فى الإصبع واضطرابه . وكذلك الناس فى الفتنة مضطربون فى أعمالهم قلقون فى معايشهم ومشاغل حياتهم .

٣) (مارج من نار) يحتمل أن يكون من (مرج) العربية بمعنى القلق والاضطراب فقد فسروا المارج بالشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد (فهى دائما فى قلق وارتعاش بالطبع) . ويحتمل أن تكون من (مرج) الفارسية بمعنى المرعى الذى تختلط فيه الدواب . وكذلك المارج الذى قيل فى تفسيره أيضا : (مارج النار

(١) وهنا يصح السؤال عما إذا كانت كلمة « مراج » تصلح أن تقوم مقام كلمة شارلوتان Charlatane الفرنسية أو لا ؟

لعيها المختلط بسوادها) كما فى اللسان . فالمارج يختلط فيه النور بالدخان كما تختلط الدواب فى المرعى .

وكأنى بقائل يقول : إذا صح ما نقل عن ابن سيده ، من أن كلمة (مرج) فارسية الأصل وقد عربها العرب وصح من جهة أخرى أن هناك كلمات من مادتها لم تجعل مشتقة من هذه الأم الفارسية بل من أم عربية . فلماذا هذا الجعل والتفريق ما دمنا نرى فى هذه الكلمات المنسوبة إلى الأم العربية معنى الاختلاط والفساد الموجود فى الأم الفارسية نفسها، أعنى كلمة (المرج) ؟ فمالى الكلمات التى ظن أنها عربية نرجعها كلها إلى معنى القلق والاضطراب والفساد . وما الفرق بين هذه المعانى وبين معنى اختلاط الدواب فى المرعى؟ فالمعقول - مادام لا يوجد لعلماء اللغة رأى صريح فى المسألة - أن تكون مادة (م ر ج) فارسية محضة ويرجع معناها الفارسى إلى المرعى واختلاط الدواب فيه ؛ ثم تفرعت من تلك المادة الأعجمية الواحدة مشتقات عربية الأب فارسية الأم وقد حملت معانى: منها الحقيقى ومنها المجازى . وترجع كلها إلى المعنى المستفاد من الأصل الفارسى .

ونحن لا نوافق القائل على قوله هذا من إرجاع معانى (المرج) كلها إلى الأصل الفارسى وحـــده ، لأن علماء اللغة الذين صرحوا بأن (المرج) بمعنى المرعى فارسى هو ومشتقاته لم يصرحوا كذلك فى (المرج) ذى المعانى الأخرى . فهذا صاحب اللسان يقول: (وأصل المرج القلق) فكيف نقول بعد هذا النص وبعد تصريحه بكلمة (أصل) أن معنى القلق يرجع إلى معنى (المرج) الفارسى وهو المرعى ؟ إذن نبقى على رأينا من أن ألفاظ هذه الأسرة اللغوية بعضها يرجع إلى أم عربية ، وبعضها يرجع إلى أمة فارسية . وبعضها اشتبهت نسبته والتبست تربته فيبقى مجهول النسب .

— ٢ —

البــــزر

مادة (بزر) عربية ولهـا مشتقات ذات معان مختلفة مسرودة فى معاجم اللغة تؤلف أسرة واحدة . وقد تخلل مشتقات هذه الأسرة لفظ غريب عن الأسرة لا شبهة فى عجمته أو فارسيته . وقد اشتق من هـذا اللفظ الفارسى مشتقات ، وبذلك أصبحت مجموعة مشتقات مادة (ب ز ر) أبناء علات . منها ما يرجع إلى أم عربية . ومنها ما يرجع إلى (أم ولد) فارسية .

(الأصل العربى أو الأم العربية) قال ابن سيده: (البزر بفتح الباء وكسرها كل حب يبزر للنبات واستعمل مجـازا فى الأولاد . يقال : ما أكثر بزر فلان . والمبزور هو الرجل الكثير الولد . والبزراء المرأة الكثير الولد) اهـ .
وفى الحجاز اليوم يسمون الأولاد (بزورة).

٢) ومن أولاد الأم العربية كلمة البــزر بمعنى التخاط وبزر فلان يبزر اذا امتخط .

٣) ومنها (البزر) بكسر الباء وفتحها

والكسر أشهر — التابل وهو (ما يؤكل مع الطعام لهيج شهوته) وجمعه أبزار وأبازير. وإلى هذا البزر ينسب (سوق البزورية) وهو أشهر أسواق دمشق كالحمزاوى فى القاهرة .

٤) ومن مواليد مادة (بزر) العربية بزره بالعصا إذا ضربه بها . والعصا نفسها تسمى البيزارة والبيزر والمبزر هذا اسم العصا بشرط أن تكون عظيمة ضخمة . ومنه قول القائل فى وصف وقعة الجمل : (فأشبهت وقع السيوف على السهام إلا بوقع البيازرعلى المواجن). فالبيازر: العصى الضخام . أما (المواجن) فجمع ميجنة وهى عصا القصار أو مـــدقته أعنى خشبته التى يدق بها أو تقول يبزر بها الثوب فى المـــاء لينظف .

ولى هنا إشكال لم أهتد إلى حله إلا بصعوبة ذلك أنهم قالوا : البيازر هى العصى الضخام التى تتخذ مداق للقصارين ومثلها المواجن . فكيف ينظف الثوب بدقه بين عصوين ؟ فلم يبق إلا أن يقال إن البيازر يدق بها الثوب المبلول الذى يكون ملقى على عصا أخرى وتكون العصا الأخرى عريضة صلبة وهى الميجنة . فالميجنة تارة يخبط بها وتارة يخبط عليها . أما البيزارة فهى التى يخبط بها لا عليها .

٥) قالوا : ومن مشتقات « بزر » العربية ما جاء فى حديث أبى هريرة « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما ينتعلون الشعر وهم البازر » . والبازر بتقديم الزاى على الراء ناحية فى بلاد فارس . فقوله فى الحديث وهم البازر يعنى أهل البازر . قيل هم الأكراد اهـ . لكن التحقيق أن البازر بتقديم الزاى على الراء تحريف وأن صوابه « البارز » بتقديم الراء على الزاى . وهذه الزاى تقلب أحيانا سينا فتصبح « بارس » وبارس اسم بلاد فارس ، وبالسين ينطقها أهل تلك البلاد بلغتهم اليوم كما لا يخفى ، كما ينطقها الفرنسيون برس بلغتهم .

وقال لى صديق إيرانى فاضل وهو محمد محيط الطباطبائى : إن فى هذه الناحية التى سماها الحديث « بارز » وهى بقرب كرمان بلدا ما زال يسمى بارز إلى أيامنا هذه .

٦) الأصل الفارسى ، أو الأم الفارسية التى استولدها العرب أولادا اندمجوا فى أسرة «بزر» العربية — كلمة « البزرة » وهى مهنة تربية جوارح الطير كالباز والشاهين والصقر . ويكون صاحبها عادة فى خدمة الملوك والأمراء ، ويسمى « البازيار » و «البازدار» .وكلتا الأداتين «يار» و «دار» فارسية تفيد معنى صاحب الشىء الملازم له والقيم عليه والمولع به ، ومن هنا جاءت « يار » بمعنى العشق . فشهريار صاحب البلاد وهو الملك،وبختيار صاحب البخت وهوالمحظوظ السعيد فى حاله وماله ، وسنجقدار صاحب السنجق ، وبيرقدار صاحب البيرق وهو الراية .

وهكذا يقال فى معـــنى « بازدار » و « بازيار » صاحب الباز وحامله فى الصيد والمتولى أمره . وقد اشتقوا من الأولى مصدرا فقالوا « البزدرة » وهى مهنته . وكذلك اشتقوا من البازيار « البزيرة » بتقديم الزاى ؛ لكن العرب لم يبقوا على المصدر الأخير أعنى «البزيرة»

بل تصرفوا فيه بعد تعريبه . فقدموا الياء على الزاى وقالوا « البيزرة » كأنه مصدر « البايزار » ولم نسمعهم يقولون (البايزار) بتقديم الياء وإنما يقولون (البازيار) لفظا فارسيا مركبا من (الباز) و (يار) كما مر . و (يار) كما قلنا فارسية البتة .

أما (الباز) اسما للطائر فظاهر أقوال علماء اللغة العربية أنه عربى كالبازى بالياء فى آخره . ولم أر من صرح بعجمة الباز ؛ اللهم إلا شمس الدين سامى فى (قاموسه) فقد قال إن الباز فارسى .

والعرب وإن قالوا إن (الباز) عربى فإنهم بعد تركيبه مع (يار) فى (البازيار) يقولون عنها (أى عن البازيار) إنها أعجمية . هذا الشيخ الأزهرى أقدم اللغويين يقول فى كتابه (تهذيب اللغة) كما نقله عنه صاحب التاج (والبيزار الذى يحمل الباز ويقال فيه البازيار، كلاهما دخيل ا هـ) فهذا صريح بأن (البيزار) الذى هو مقلوب (البازيار) - ويدلان على صاحب الباز — يعتبرهما علماء العربية من معربات اللغة ومن الدخيل فيها .

فتحصل معنا أن فى مادة (بزر) أصلين أو أمين إحداهما عربية بمعنى الضرب . ومنه اشتق فعل (بزر) أى ضرب وكلمة (البيزارة) أى العصا التى تخبط بها الثياب لتنظيفها . والأم الأخرى كلمة (بازيار) الفارسية بمعنى صاحب الباز . وقد استولدها العرب ولدا وهو (بيزار) بمعنى مربى الباز . وجعلوا من البيزار مصدرا وهو البيزرة ، ومنها كتاب « البيزرة » .

بيد أن الأصل العربى أم ولود نثور لها الكثير من الأولاد ، أما الأصل الفارسى فأم مقلات نزور ، لم تلد إلا النزر القليل .

عسكر

هذا اللفظ أو هذه المادة (ع س ك ر) عرفها العرب فى أصل لغتهم . واستعملوها فى معان خاصة ثم عادوا فعرفوها من طريق اللغة الفارسية عندما سمعوا الفرس يقولون (لشكر) أى الجيش المحارب فاقتبسوا لشكر منهم وعربوها .

(عسكر العربية ومشتقاتها) قال صاحب اللسان : العسكرة الشدة والجدب . ثم استشهد على كونها بمعنى الشدة بقول طرفة بن العبد : (ظل فى عسكرة من حبها) أى ظل ذلك المحب فى شدة من حب محبوبته . وقال آخر :

عساكر تغشى النفس حتى كأننى
أخو سكرة دارت بهامته الخمر

وإذا قالوا عساكر الهم أرادوا ماركب بعضه بعضا وتتابع من الهم . ومن معانى العسكر العربية قولهم عسكر الليل يعنون ظلمته . ولا يخفى ما بين الشدة والظلمة من التشابه والتناسب . فكلتاهما من معانى العسكرة العربية التى لانزاع فى عروبتها بين علماء اللغة .

(وعسكر الفارسية ومشتقاتها) قال فى اللسان عطفا على العسكرة العربية التى فسرها بالشدة مانصه : (والعسكر الجمع :فارسى) ويعنى بالجمع الجماعة من الناس . ولما كان الجيش المحارب جمعا سموه عسكرا؛ لكن عسكر هذه المعربة لم تبق على ما كان يلفظها الفرس بلغتهم . فإن العسكر بلغتهم (لشكر) باللام فعربها العرب إلى (عسكر) بقلب لامها عينا وأدمجوها فى لغتهم العربية واشتقوا منها مشتقات أكثرمما اشتقوا من ضرتها (عسكر) العربية ، بل قد توسعوا فى عسكر

الفارسية إلى أبعد حد ، فسموا الجمع من الرجال عسكرا . وكذا الجمع من الخيل والكلاب . وإذا كان للرجل مال ونعم سموا جمع ماله ونعمه عسكرا حتى قال شاعرهم :

هل لك فى أجر عظيم تؤجره

تعين مسكينا قليلا عسكره ؟

أى أنه لا يملك مالا ولا أنعاما ولا ماشية ، فهو قليل العسكر . كل ذلك من حسن تصرفهم فى تلك اللفظة الفارسية التى تبنوها ، وانتفعوا بما استولدوه من بزورها . وكما اشتقوا من (اندازه) الفارسية بمعنى المقياس فعل (هندس يهندس هندسة) اشتقوا من عسكر الفارسية فعل عسكروا بالمكان إذا تجمعوا فيه ، فهم معسكرون . والموضع ينزل فيه العسكر يسمى معسكرا بفتح الكاف .

وهنا ينبرى لنا القائل الذى سبق أن اعترض على رأينا فى مادة (مرج) والتفرقة بين عربيتها وفارسيتها فيقول : لا يوجد (عسكر) فى أصل اللغة العربية وإنما هى أى عسكر كلمة فارسية فقط وقد عربها العرب فاستعملوها فى معناها الفارسى وهو الجمع والجماعة والجيش . ثم تصرفوا فيها وتجوزوا ما شاءوا وشاء استبدادهم فاستعملوها بمعنى الشدة وجعلوا للشدائد والهموم والظلمات عساكر وجيوشا تتلاحق على التجوز . فليست هذه المعانى أى الشدائد والهموم والظلمات لكلمة « عسكر » العربية التى زعمتموها ولا وجود لها ، وإنما هى من المعانى المجازية لعسكر الفارسية ؛ فالعسكر كالمرج كلاهما فارسيتان عربهما العرب واستعملوهما فى معان حقيقية ومعان مجازية .

هذا ما يقوله القائل . وهو اجتهاد فى اللغة لا نقره عليه . وإنما الصواب الذى يميل إليه القلب هو الوقوف عند حدود ما قال علماء اللغة من أن (المرج) بمعنى المرعى فارسى معرب ، وما سواه أطلقوا فيه القول فيكون عربيا . وكذلك العسكر بمعنى الجند والجماعة من الناس فارسى معرب ، وما سواه من المعانى التى ذكروها للعسكر العربى فهى معان عربية .

وما ذكرناه من المواد (مرج . بزر . عسكر) إنما هو مثال لما سميناه (أبناء العلات فى اللغة) وإلا ففى مواد كلمات اللغة أشباه ونظائر لما ذكرنا تكاد لا تعد ولا تحصى .

والفطن لا يعدم الانتباه إلى أمثالها . كـكلمة (سكر) فهى معربة من (شكر) الفارسية التى لها أبناء ومشتقات . وهناك « سكر » العربية وأصل معناها فى اللغة « السد » ، ولها أبناء ومشتقات أيضا .

فالفريقان من مشتقات « سكر » الفارسية و « سكر » العربية يؤلفان أسرة أو عائلة لغوية واحدة ، كلماتها أبناء علات وهكذا وهكذا . . ؟

وحي الأصوات في اللغة

للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس
الأستاذ بكلية دار العلوم

يستطيع كل منا أن يرتجل كلمة من الكلمات وأن يخلع عليها من الدلالة ما يشاء ، ولكن مثل هذه الكلمة لا تصبح جزءا من اللغة إلا بعد أن يتاح لها الشيوع والذيوع بين أفراد البيئة ، بحيث يستعملها كثير من الناس فى خطابهم وحديثهم .

فهب مثلا أنك ارتجلت كلمة مثل « تزلمع » ، وطلبت إلى صديق لك أن يخمن لها دلالة ، فستراه يضع لها دلالة مّا ، يستخرجها من تلك الذخيرة اللفظية التى يختزنها فى ذهنه ، والتى اكتسبها فى مراحل تعلمه للغة قومه . فإذا عرضت نفس الكلمة على صديق آخر يشبه الأول فى وسطه الاجتماعى وفى ثقافته فقد يستخرج لك نفس الدلالة ، أو شيئا شبيها بها أو قريبا منها . وهنا ندهش لمثل هذه الظاهرة ، وقد ننسبها مرة لسبب سحرى غامض ، وأخرى لأمر روحانى نعجز عن إدراكه . وقد يراها اللغوى المحافظ مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية التى تتصل بالوراثة ، والتى فطر عليها أفراد كل بيئة من البيئات اللغوية .

غير أن اللغوى الحديث لا يرى فيما يسمى بالسليقة اللغوية إلا المران الكافى ، ولا يفسرها إلا على أنها ملكة مكتسبة وليس للوراثة أو الجنس أثر فيها .

لهذا يلتمس تفسيرا آخر لتلك الظاهرة ، وينسبها إلى ما نسميه هنا بوحى الأصوات . فالمرء يتعلم لغة أبويه ، ويربط منذ طفولته بين ألفاظ قومه ودلالاتها ربطا وثيقا ، وتختزن فى ذهنه تلك الألفاظ مع دلالاتها فى شيء من التنظيم والترتيب يساعد على أن يدعو بعضها بعضا ، ويذكر بعضها ببعض .

ويقضى المرء فى اكتساب تلك الملكة اللغوية زمنا طويلا من حياته أو طفولته ، حتى يسيطر على قدر كبير من الألفاظ ودلالاتها ، وتتألف فى ذهنه تلك الذخيرة اللفظية الدلالية ، وعلى أساس ما اكتسب من ألفاظ ودلالاتها يستطيع استنباط مدلول اللفظ الجديد على سمعه .

ومع أن الناس يختلفون فى تجاربهم مع الألفاظ والدلالات ، تتكون لديهم تلك القدرة على استيحاء الدلالة المجهولة ، أو طرف منها من لفظ معلوم ، وذلك لأنهم لا يزالون يشتركون فى الدلالات المركزية ، ويشتركون فى اختزان ألفاظ معينة هى ألفاظ لغة بيئتهم .

وعلى قدر اشتراك الناس فى الوسط الاجتماعى والثقافة العامة يكون اشتراكهم أو تقاربهم فى استيحاء تلك الدلالات المجهولة . فإذا عرضت تلك الكلمة المرتجلة على جماعة من وسط واحد وثقافة متقاربة رأينا تشابها

عجيبا فى استنباطهم لدلالاتها . فعرض هذه الكلمة على مجموعة من طلبة الجامعة ينتج غير ما ينتج عرضها على مجموعة من القرويين مثلا .

وعلينا أن نتذكر مع ما تقدم أن لكل لغة نظاما خاصا فى تأليف ألفاظها ، فما يشيع فى إحداها قد يندر فى الأخرى . فألفاظ اللغة العربية تتألف من تلك الحروف الهجائية المألوفة لنا ، ويتكون لتلك الألفاظ العربية نسج خاص ، إذا حاد عنه اللفظ قيل إنه غير عربى . وكان القدماء يشعرون بشىء من هذا حين أكد لنا بعضهم أنه لا تجتمع الجيم مع القاف فى كلمة عربية مثل « المنجنيق » ، ولا تجتمع الصاد والجيم فى كلمات العرب . فكلمة مثل « صولجان » غريبة عن النسج العربى ، ولا تكون النون قبل راء إلا فى الكلمات الأعجمية مثل « نرجس » ، ولا تكون الزاى بعد دال كما فى كلمة « مهندز » الأجنبية التى صارت فى لهجاتنا الآن « مهندس » . ولا تكون الشين بعد لام ، ولا تجتمع الباء والسين والذال فى كلمة عربية ، ولا الطاء والجيم . ولا تعرف لغتنا العربية الزاى والذال مع السين إلا فى تلك الكلمة المعربة التى ننطق بها على صورة « ساذج » ، ولا تجتمع الصاد والطاء ، ويندر اجتماع الراء مع اللام ، ولابد من وجود حرف من حروف الذلاقة « م ن ر ل ب ف » فى الرباعى والخماسى (١) .

نقرأ مثل هذه الملاحظات السريعة فى كتب القدماء ، ولكن الأمر أعمق من مثل تلك الملاحظات القليلة ، ويحتاج إلى استقراء أوفى وأتم ، حتى نستطيع الوقوف على نسج الكلمة العربية . فما يمكن أن يتألف من حروفنا الهجائية يجاوز ١٢ مليونا من الكلمات ، قرر هـذا الخليل من قبل ، وتقر صنعه الآن العمليات الحسابية الحديثة . ولكن المستعمل من الألفاظ لا يكاد يجاوز ثمانين ألفا ، فيها يشيع حرف أكثر من حرف ، بل قد تختلف فيها نسبة شيوع الحروف على حسب موضعها من الكلمة . فلو أن اللغة كانت تسمح باستعمال كل تلك الملايين من الألفاظ لأشبهت الحروف بعضها بعضا فى شيوعها ، ولا يتكون للغة حينئذ نسج خاص تتميز به . ولكن اللغة قد تخيرت مجموعات صوتية معينة هى التى اختصتها بالدلالة ، وأهملت الكثرة الغالبة .

ونكتسب نحن ألفاظ اللغة كما وردت إلينا ، ونختزن قدرا كبيراً منها يتألف على نظام معين ، ويمكن أن نقرر بعد دراسة واستقراء أن نسبة شيوع « السين » مثلا فى كلام فلان هى كذا ، ونسبة الميم فى كلامه هى كيت ، وتوالى الفاء والدال فى ألفاظه أقل من توالى الفاء والجيم مثلا ، واجتماع اللام والعين والباء أكثر من اجتماع اللام والعين والقاف ،

(١) شفاء الغليل للخفاجى صفحة ٧

وغير ذلك من نسب كثيرة قد يهدينا إليها الاستقراء . فالمرء إذن يخضع لما يكتسبه من ألفاظ ، ويتأثر بنظام تلك الألفاظ ونسجها وتركيبها . ومع هذا فأفراد البيئة قد يشتركون فى شىء من هذا ، ويتأثرون جميعا بمجموعة كبيرة جداً من الألفاظ المشتركة بينهم .

غير أن هذا الاشتراك يكثر أو يعظم فى الأوساط المتشابهة ، ولدى أصحاب الثقافات المتقاربة .

وعلى هذا فمجرد النطق بتلك الكلمة المرتجلة يدعو إلى الذهن لفظا آخر معروفا يشترك معها فى بعض حروفها أو صفات تلك الحروف ، ويفد ذلك اللفظ المعروف ومعه دلالته فيوحى بشىء من دلالة ذلك اللفظ المرتجل .

ويغالى بعض اللغويين فيتصورون ـ من أجل هذه الظاهرة ـ أن هناك ربطا طبيعيا بين الألفاظ ودلالاتها ، ولا يخطر ببالهم أن القدرة على استيحاء الدلالات مرجعها إلى ما يكتسبه المرء من ألفاظ معينة ، ومن ربطه بين تلك الألفاظ ودلالاتها ربطا وثيقا . فالعملية كلها مكتسبة ، لا سحر فيها ولا غموض ، ويمكن أن يستدل على صحتها بالتجربة كما سترى .

ويرى « ڤندريس » أنه من الحق الحكم بوجود علاقة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالاتها . وقد سخر من أولئك الذين نادوا بهذا الرأى أمثال « سان توماس الاكوينى » ، غير أنه اعترف بأن بعض الألفاظ أقدر على التعبير من البعض الآخر . ولكن المرء فى رأيه حين يقيم ائتلافا بين اللفظ ومدلوله إنما يسير على نهج عادة قديمة جداً حين كانت الألفاظ تعد جزءاً لا يتجزأ عن الأشياء ، وحين كان الاسم له منزلة الجسد والروح كما هو الحال الآن عند بعض الأمم البدائية الذين يعتقدون أن الإنسان يتكون من الروح والجسد والاسم .

ويختتم « ڤندريس » كلامه بما ترجمته :

« كل كلمة ـ أيا كانت ـ توقظ دائما فى الذهن صورة ما : بهيجة أو حزينة ، رضية أو كريهة ، كبيرة أو صغيرة ، معجبة أو مضحكة ، تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذى تعبر عنه ، وقبل أن يعرف هذا المعنى فى غالب الأحيان .

اذكر اسم إنسان ما أمام شخص لم يره قط ، فإنه يكون عنه فكرة فى الحال ، فكرة زائفة على وجه العموم .

فإذا قدمت له هذا المجهول أجابك على الفور : « أهو هذا ؟ ما كنت أظنه هكذا ! »

ومثل هذا الشىء نفسه يحصل بالنسبة لكلمات اللغة، فإذا كنا للأشياء خاضع لانطباعات خيالية منبعثة من الاسم الذى يدل عليها (١) .

(1) Language P. 237

ويبدو من هذا النص أن « ڤندريس » يرى أن تلك الصورة التى تنطبع فى الأذهان لدى سماع الكلمة المجهولة لا تكاد تمت إلى الدلالة الحقيقية بأية صلة. وهو بهذا يتجاهل أثر التجارب السابقة فى ذهن كل منا، وماتخضع له كل لغة من نظام فى مجموعاتها الصوتية، ترتبط كل مجموعة منها بدلالة معينة. فمجرد النطق باللفظ يستدعى إلى الذهن أمثاله من الألفاظ، ويستدعى معها دلالاتها، ويستوحى المرء من كل هذا دلالة لذلك اللفظ المجهول على أساس ما اختزنه فى حافظته. وقد يوفق فى هذا الاستيحاء كل التوفيق أو بعضه، ولكنه على كل حال يجد نفسه قريبا من الدلالة الحقيقية فى نسبة غير قليلة من الحالات، وهو ما برهنت عليه تجاربنا مع بعض طلاب الكليات والمدارس

سجل أبو حيان التوحيدى (١) فى رسالة له كتبها فى الانتقاص من الصاحب ابن عباد لموقف له مع أحد الشعراء، حين أنكر على هذا الشاعر أن يتجرأ على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب. ثم سرد « الصاحب » على مسمع الشاعر طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة التى كان يفخر بمعرفتها والإحاطة بدلالاتها منها:

الهبلع، الجرفاس، الخيتعور، النعثل، القهبلس، القذعملة، الطربال، الشنعوف، العشلط، القفندر.

وقد عرضنا هذه الألفاظ على مجموعة من طلبة الليسانس بكلية دار العلوم عددهم أربعة وعشرون، ثم عرضناها مرة أخرى على طلبة السنة التوجيهية فى إحدى المدارس الثانوية وعددهم ثلاثة وعشرون، وطلبنا من كل طالب أن يسجل ما توحيه كل لفظة من دلالة فى ذهنه.

ولكن رغبة فى ألا نترك الطالب فى ظلام دامس، رأينا أن نلمح له بما يحصر تخمينه فى نطاق محدود، فقلنا له إن « الهبلع والجرفاس والخيتعور والنعثل » صفات للرجل، وإن « القهبلس والقذعملة » من صفات المرأة، وإن « الطربال » صفة للبناء، وإن « الشنعوف » جزء من الجبل، وإن « العشلط » صفة للبن، وإن « القفندر » لواحد من الجمال أو القبح فأيهما تختار؟

ويلاحظ فى التجربة أن بعض طلبة دار العلوم لم يجيبوا بشىء عن بعض الكلمات، وذلك لأننا طلبنا منهم عدم الإجابة حين يكون

(١) « العربية » تأليف المستشرق يوهان فك ترجمة عبد الحليم النجار صفحة ١٦٢

أحدهم على علم بمدلول الكلمة من قبل .

وها هى إجابات طلبة كلية دار العلوم :

١ — الهبلع :

فسرها تسعة من الطلبة على أنها « الأبله العبيط » . وفسرها أربعة منهم على أنها « الأكول النهم » ، وهو المعنى المعجمى الصحيح . وفسرها أربعة على أنها « الضخم المهول » . وفسرها ثلاثة من الطلبة على أنها « القصير » .

أما باقى الطلبة فتباينت إجاباتهم .

وهكذا نرى أن مجموعة كبيرة من هؤلاء الطلبة تشترك فى الدلالة ، ونسبتهم ٣٧ ٪ أى ٩ من ٢٤

٢ — الجرفاس :

أجاب نحو ١٤ طالبا مفسراً الكلمة على أنها « القوى الضخم والشجاع الخشن » .

وتلك هى دلالات متقاربة بنسبة ٥٨ ٪ .

أما باقى الإجابات فتباينة . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الضخم » .

٣ — الخيتعور :

أجاب ثمانية من الطلبة مفسراً الكلمة على أنها « الذليل الضعيف الجبان الكسلان » . ولم يجب بشىء ستة من الطلبة . أما الباقى فإجاباتهم متباينة : أى أن نسبة الاشتراك فى الإجابة ٤٤ ٪ . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الخداع الخاتل » ، فليس منهم من استطاع تخمين المعنى الصحيح .

٤ — النعثل :

لم يجب عن هذه الكلمة غير ١٣ طالبا منهم ثمانية فسروها على أنها « الهادىء النائم الوديع » : أى أن نسبة الاشتراك فى الاجابة ٦١ ٪ . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الشيخ الأحمق » .

٥ — القهبلس :

لم يجب غير عشرين من الطلبة ، منهم عشرة فسروها على أنها « المرأة الضخمة البدينة » : أى أن نسبة الاشتراك فى الإجابة ٥٠ ٪ .

والمعنى المعجمى هو « المرأة الضخمة » .

٦ — القذعملة :

أجاب ١٧ طالبا منهم ١٤ فسروها على أنها القصيرة القميئة . وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة ؛ فتكون نسبة الاشتراك هنا ٨٢ ٪ .

٧ — الطربال :

أجاب ١٧ طالبا منهم ٩ فسروها على أنها « البناء الضخم العالى الشامخ » . وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة . فتكون نسبة الاشتراك ٥٣ ٪ وأجاب ثلاثة فقط فوصفوا البناء بأنه

« المتهدم المنهار » . أما الباقى فإجاباتهم متباينة .

٨ — الشنعوف :

أجاب عشرون طالبا ، منهم ١١ فسروها بأنها «قمة الجبل» . أى أن نسبة الاشتراك ٥٥ ٪ فى حين أن ثلاثة فقط قالوا عنها إنها « أسفل الجبل » ، وأربعة من الطلبة وصفوها بأنها «طرف بارز رفيع» .

والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « القمة » .

٩ — العثلط :

أجاب عنها ٢١ طالبا ، منهم ١٧ وصفوها بأنها « اللبن المتجمد المتخمر » ، وتلك هى الدلالة المعجمية ، أى أن نسبة الاشتراك ٨٠ ٪

١٠ — القفندر :

أجاب عنها ٢٠ طالبا ، منهم ١٢ قالوا عنها إنها صفة للجميل ، ٨ من الطلبة قالوا عنها إنها صفة للقبيح . أما المعنى المعجمى للكلمة فهو : « القبيح المنظر » .

وهكذا نرى أن مجموعة من الطلبة الذين ينتمون إلى وسط اجتماعى واحد ، ويشتركون فى الثقافة والبيئة التعليمية قد استنبطوا دلالات مشتركة بينهم بنسبة ٦٠ ٪ فى المتوسط .

ولم يبق سوى النسبة القليلة التى يمكن إرجاعها إلى التجارب الخاصة والأمزجة المختلفة .

كذلك نرى أن الدلالات المشتركة لم تكن دائما الدلالة المعجمية الصحيحة ، فلا تكاد تجاوز الإجابة الصحيحة نسبة ٤٢ ٪ . أى أن استنباط الدلالة الصحيحة من اللفظ أمر عسير حتى على أبناء دار العلوم الذين قطعوا شوطا بعيداً من الثقافة اللغوية .

أما إجابات طلبة التوجيهى فى المدرسة الثانوية ، فكانت نسبة الاشتراك فى المتوسط نحو ٦٠ ٪ أيضا ؛ ولكن الإجابة المطابقة للدلالات المعجمية لم تجاوز نسبتها ٣٠ ٪ لأنهم أقل اتصالا بالثقافة اللغوية العربية من أبناء دار العلوم .

فهم — لأنهم من وسط واحد ، وعلى قدر واحد من الثقافة العامة — اشتركوا فى استيحاء الدلالات بنسبة كبيرة ، ولكن إجاباتهم كانت مختلفة عن إجابات أبناء دار العلوم بشكل ملحوظ .

١ — الهبلع :

هنا رأينا ١٦ طالبا تحوم إجاباتهم حول جو واحد من الدلالة ، فمعظمهم وصف الكلمة بأنها « الأبله العبيط » وبعض هؤلاء قالوا عنها إنها « الطويل » ، ومن السهل علينا الربط بين الدلالتين : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ (١٦ من ٢٣) .

٢ — الجرفاس :

أجاب عنها ٢١ طالبا بدلالات متقاربة تتلخص

فى القوة وما يصحبها من شر أو شجاعة : أى أن نسبة الاشتراك ٥٢ ٪ .

٣ ـــ النعثل :

أجاب عنها ١٥ طالبا بدلالات متقاربة هى « النعسان النائم الهادئ » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٥ ٪ .

٤ ـــ القهبلس :

أجاب ١٢ طالبا بقولهم إنها « الغانية غير الشريفة » : أى أن الدلالة فى أذهانهم حامت حول الجاذبية الجنسية ، فكانت نسبة الاشتراك ٥٢ ٪ .

٥ ـــ القذعملة :

أجاب ١٦ طالبا فأصابوا فى استنباط المعنى المعجمى الصحيح ، وقالوا إنها « القصيرة » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ .

٦ ـــ الشنعوف :

أجاب ١٣ طالبا فقالوا عنها « القمة » ، وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة : أى أن نسبة الاشتراك ٥٦ ٪ .

٧ ـــ الطربال :

أجاب ١٦ طالبا فوصفوا البناء بدلالات متقاربة مثل « العالى الشاهق الضخم » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ .

٨ ـــ العشلط :

وصفه ١١ طالبا بأنه « الجامد الراتب المقطع » : أى أن نسبة الاشتراك ٤٨ ٪ .

٩ ـــ القفندر :

وصف ١٤ طالبا هذه الكلمة بأنها تعبر عن الجمال : أى أن نسبة الاشتراك ٦٠ ٪ .

ولسنا نزعم أن مثل هذه النسب تطرد فى كل تجربة من هذا النوع ؛ فقد تكون بعض الكلمات أكثر إيحاء من البعض الآخر ، وقد تختلف ظروف التجربة فلا تؤدى إلى نفس النتيجة فى كل مرة .

ولكن الذى نؤكده هو أن نسبة كبيرة من الاشتراك فى استيحاء الدلالات تتم فى الوسط الموحد الثقافة والمتقارب فى التجارب . وتأيد هذا لدينا من تجارب أخرى متعددة أسست على كلمات أخرى مجهولة الدلالة .

ننتهى من هذه التجارب إلى أن ألفاظ اللغة تخضع لنظام خاص فى تركيبها من الحروف الهجائية ، وأن بعض هذه الألفاظ يختزنها المرء فى حافظته ، وهى وإن خضعت للنظام العام للغة تتميز بصفات معينة ، وتترك أثراً قويا فى ذهن من يعيها ويحفظها . فإذا دل استقراء

المستعمل من ألفاظ اللغة ، على أن نسبة توالى الفاء والجيم مثلا أكثر من توالى الفاء والصاد ، فقد يتصادف أن ما يحفظه المرء من ألفاظ يعطى نسبة أخرى قد تكون عكسية ، فيها توالى الفاء والصاد أكثر من توالى الفاء والجيم.

ويقال حينئذ إن توالى الفاء والصاد فى ذهن شخص معين أوضح وأكثر شيوعا منه فى ذهن آخر ؛ ولكن الشخصين يخضعان معا للنظام العام الذى تجرى عليه ألفاظ اللغة .

تلك هى الصفة التى تميز شخصا من شخص ، وتجعل استيحاء الدلالة من اللفظ تختلف فى بعض الأحيان بين شخصين من وسط اجتماعى واحد وثقافة واحدة .

وتختلف نسبة شيوع المجاميع الصوتية فى ذهن كل منا ، فبعضها أوضح من الآخر وأقرب إلى التذكر ، فمجموعة مثل « ملع » تدعو إلى ذهن بعض الناس مجموعة مثل « دلع » وفى ذهن الآخرين مجموعة أخرى مثل « لمع » . ولذا ترى لفظ « ملع » قد يوحى إلى الفريق الأول دلالة « الدلع والميوعة والتخنث » . وقد يدعو إلى ذهن الفريق الآخر دلالة « اللمعان والبريق والضوء » .

هذا هو وحى الأصوات أو استيحاء الدلالات من الألفاظ . وقد أطلقنا عليه الوحى لأنه لطيف لايدرك إلا بعد التجارب والدراسة المستفيضة ، ولأنه عمل من أعمال العقل الباطن أو اللاشعور ، يحس به المرء دون أن يدرى كيف أحس به .

وللأدباء بصدد هذا الاستيحاء قدرة أخرى فوق ما للمرء العادى ، يستمدونها من خيالهم وتبنيهم الألفاظ . وتمدهم هذه القدرة بظلال من الدلالات لا تكاد تخطر فى ذهن الآخرين ، وليس من مجال هذا البحث التعرض لما يخطر فى ذهن الأدباء والشعراء ، ولذا نؤثر الابتعاد عنه ، تاركين تلك الظلال الدلالية الخاصة بهم لدارسى النقد الأدبى .

وكما توحى الألفاظ بالدلالات ، قد توحى الأشكال والمناظر بشيء من الدلالات أيضا . وذلك لأن المرء يعى فى ذهنه تلك الأشكال كما يعى الألفاظ ، ويربطها ربطا وثيقا بالألفاظ الدالة على مناظر أو أشكال شبيهة بها .

فصغر الشكل يدعو إلى الذهن الألفاظ التى تدل على صغر الحجم ، وتركب الشكل أو تعقده يوحى بالألفاظ الدالة على الجمع أو الكثرة .

واللغات فى هذه الظاهرة حال تبعث على العجب والدهشة . فإذا تصادف أن ألفاظ اللغة التى تدل على صغر الحجم تشتمل فى مجموعها على صوت معين ، نرى أن المرء قد يستوحى لدى رؤية شكل صغير لفظا مشابها لتلك الألفاظ ، ومشتملا أيضا على ذلك الصوت المعين .

وقد دلت الملاحظة على أن « الكسرة » وما يتفرع منها كـ « ياء المد » تكون عنصراً أساسيا فى كل الألفاظ الدالة على صغر الحجم .

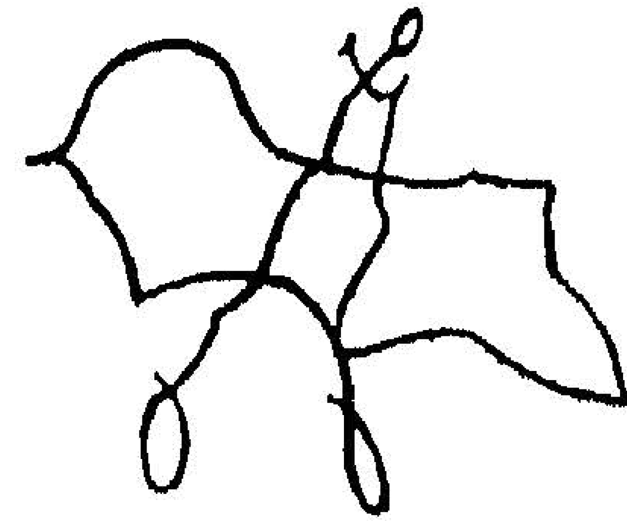
ولا تقتصر هذه الملاحظة على اللغة العربية ، بل لوحظت أيضا فى بعض اللغات الأخرى . ولا غرابة إذن أن يقال : إن الأشكال توحى

بألفاظ معينة ، أو تجعل الرائى يؤثر لفظا على لفظ ، ويستتبع هذا أنها تتدخل فى استيحاء الدلالات .

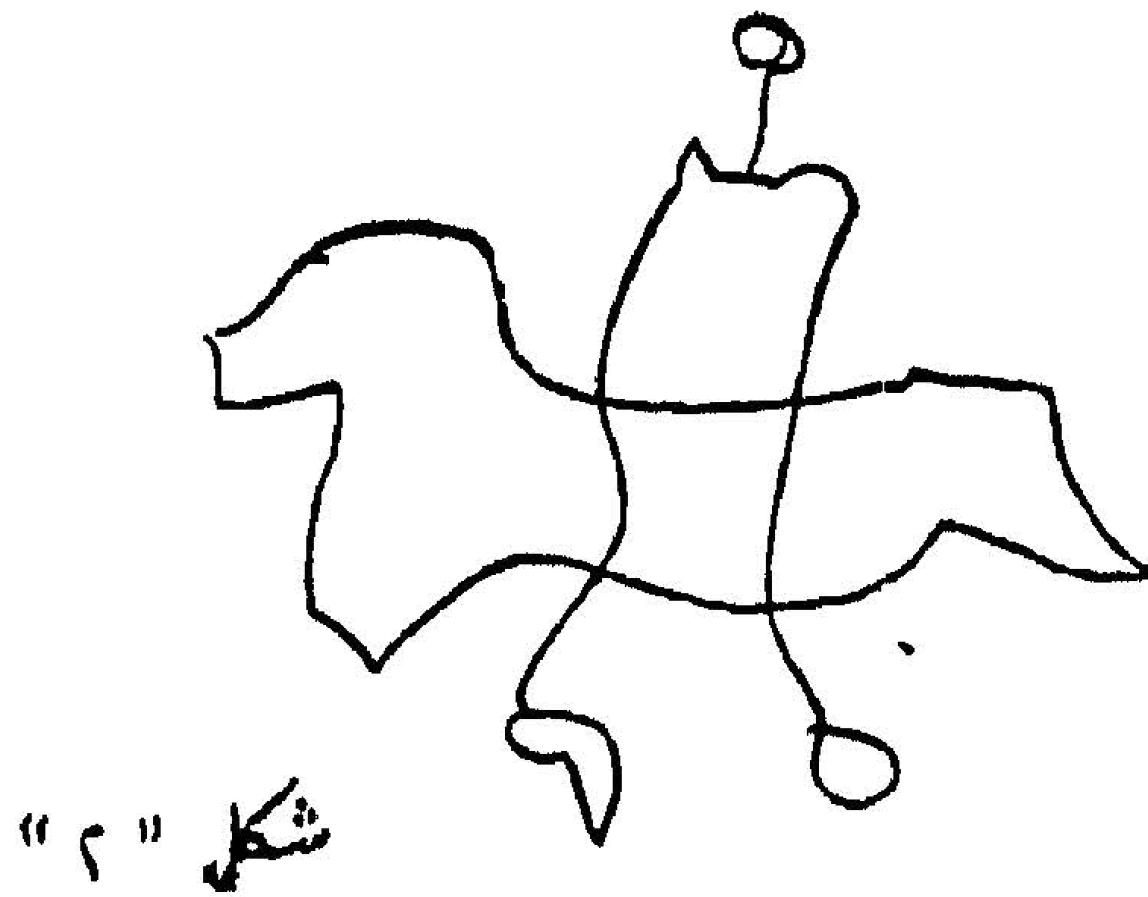
وقد قمنا بعدة تجارب اتضح لنا منها أن الكسرة أو ياء المد توحى بصغر الحجم ، وأن حروف التفخيم توحى بضخامة الحجم ، وأن الشكل المتعدد الأطراف أو الأجزاء قد يوحى بفكرة الجمع ، وهكذا

وبدأنا تلك التجارب بعرض شكلين خياليين لا يمثلان فى الحقيقة شيئا ، ولا فرق بينهما سوى أن أحدهما كبير الحجم والآخر صغيره مثل :

ثم طلبنا من مجموعة كبيرة من الطلبة أن يتخيروا أحد اللفظين المرتجلين (زليع ، زلوع) للشكل الأول ، وأن يتخيروا اللفظ الآخر للشكل الثانى . ووجدنا أن نحو ٩٠ ٪ من الطلبة اختاروا لفظ « زليع » للشكل الصغير . ولا تختلف هذه اللفظة عن الأخرى إلا فى أنها تشتمل على « ياء المد » ، فى حين أن الأخرى تشتمل على « واو المد » ، مما يؤكد تلك الملاحظات التى أبداها بعض العلماء من ارتباط الكسرة وياء المد بصغر الحجم وضيق الوقت فى بعض اللغات (١) .



شكل " ١ "



شكل " ٢ "

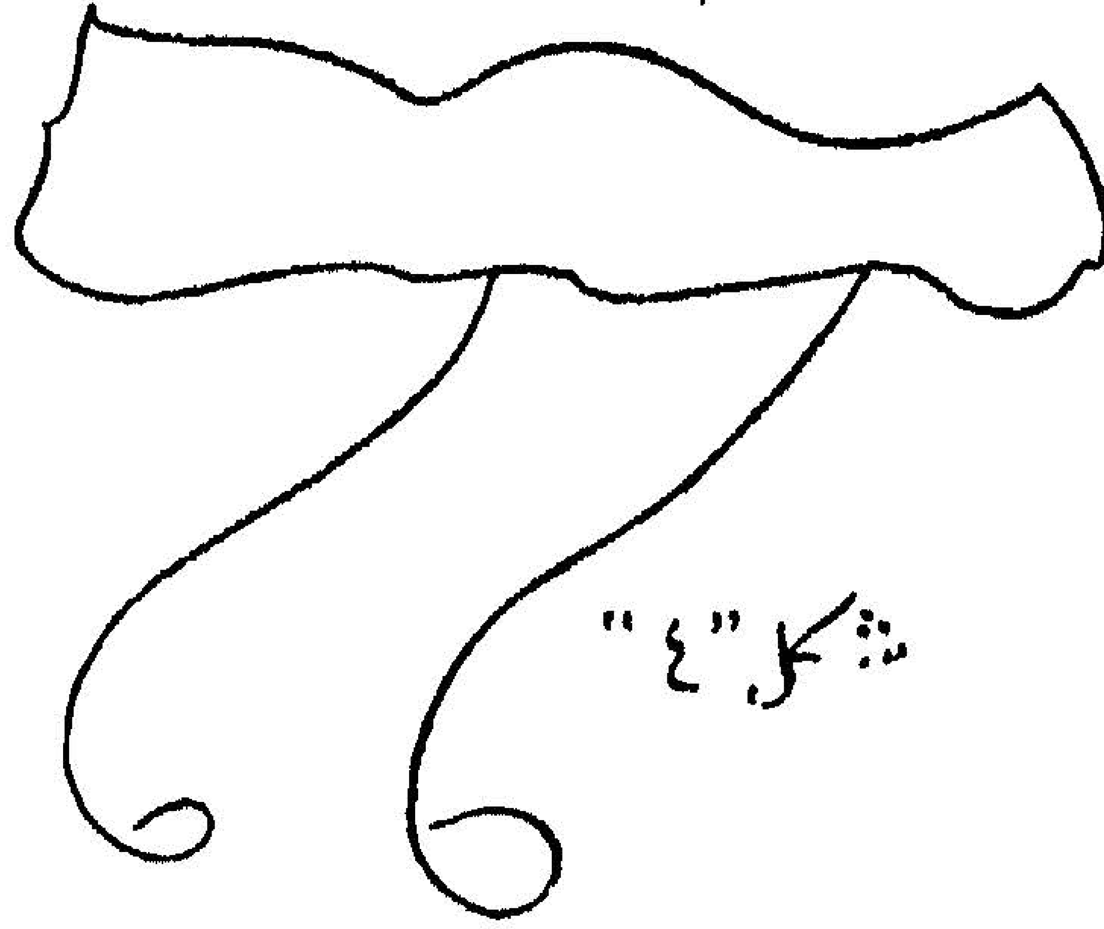
(١) جسبر سن صفحة ٤٠٢

Language, its nature, development origin.

ثم عرضنا شكلين آخرين يختلفان فقط فى الحجم ، وطلبنا اختيار أحد اللفظين المرتجلين (ستين ، سلينة) للشكل الأول ، واللفظ الآخر للشكل الثانى ، فوجدنا أن الكثرة الغالبة قد اختارت لفظ « سلينة » للحجم الصغير .

وهذا اللفظ يوحى بفكرة التأنيث . وترتبط هذه الفكرة بصغر الحجم والرقة وضعف الأنوثة . والشكلان هما :





ثم عرضنا أشكالا أخرى لا تختلف إلا فى الحجم وعرضنا معها ألفاظا مرتجلة مثل (الظاقع ، السالع) ، (الستيم ، الطقيخ) فوجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يختارون اللفظ المشتمل على حروف التفخيم كالقاف والطاء والظاء والخاء الشكل كبير الحجم .

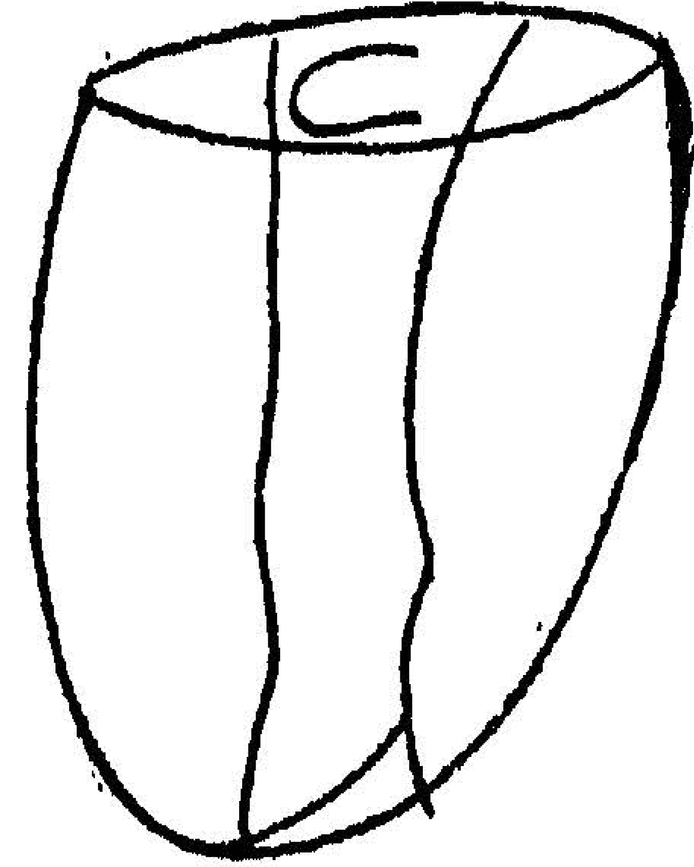
ويقرر بعض الباحثين فى اللغات الحامية أنها - بوجه عام - تميز بين المذكر والمؤنث بإضافة حرف « الكاف » فى آخر المذكر ، وإضافة حرف « التاء » فى آخر المؤنث (١) .

وبالمقارنة بين الحرفين نرى أن « الكاف » حرف تفخيم نظيره المرقق هو « التاء » . أى أن فكرة ارتباط حروف التفخيم بالرجولة والقوة والضخامة ، وارتباط حروف الترقيق

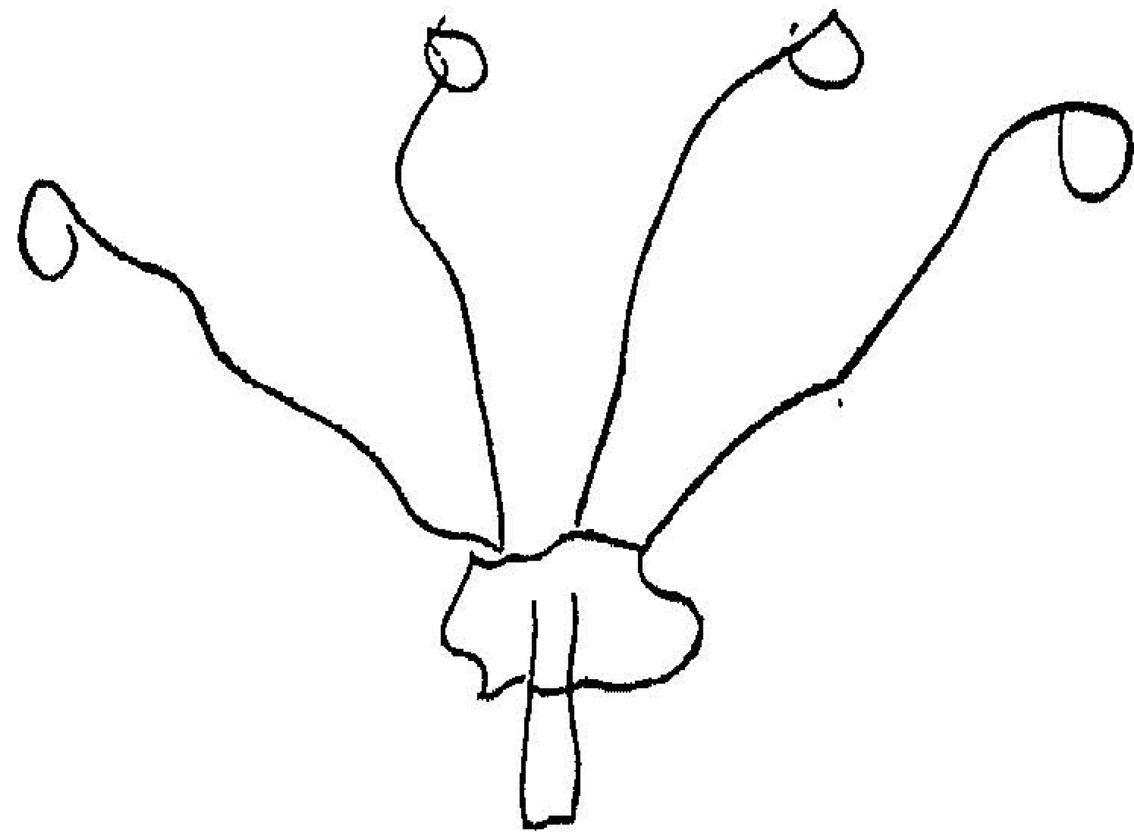
(١) The Language families of Africa P. 91 by Werner.

بالأنوثة والضعف وصغر الحجم أمر غير مقصور على ألفاظنا العربية .

وعرضنا أشكالا أخرى مثل :



شكل "٥"



شكل « ٦ »

ومعها ألفاظ مرتجلة مثل (السفآن ، الأفناس) ، (الشواجن ، الشنغاف) ، ووجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يستوحون من الشكل الثانى فكرة الجمع أو الكثرة ويربطونه بما يوحى بتلك الفكرة من الألفاظ السابقة مثل (أفناس ، شواجن) ؛ فصيغة كل منهما تمثل صيغة مشهورة من صيغ جمع التكسير .

ومع اعترافنا بأن التجارب السابقة قد تمت فى نطاق ضيق نستطيع أن تتنبأ ـ ونحن مطمئنون ـ إلى أن إجراءها فى نطاق أوسع سيؤدى إلى نفس النتيجة أو ما يشبهها شبها كبيرا .

ونختتم هذا المقال بأن نشير إلى أن استيحاء الدلالة غير مقصور على حروف اللفظ وأصواته ، بل قد تتدخل الصيغة أو بنية اللفظ فى هذا الاستيحاء . فمجرد النطق بألفاظ مرتجلة مثل : « ستيم ، مطافع ، عفول » يوحى إلى الذهن أنها أوصاف أو أسماء ، فى حين أن صيغا أخرى مثل : « ملع ، بلهط ، يسافع ، انشكح ، توحى إلى الذهن أنها أفعال ؟

العلم التعليمى فى الاصطلاح القديم (١)

للأستاذ مصطفى نظيف عضو المجمع

العلم التعليمى اسم لا يذكر اليوم بين أسماء العلوم ولا يستعمله المشتغلون بالعلم من أبناء العروبة فى العصر الحاضر . هو اسم أطلقه الإسلاميون على قسم من العلم حاولوا أن يحددوا أصوله ويفصلوا فروعه — خصوه بمعان ، وسلكوا فيه نظرا خاصا ، وكان له بين أقسام العلم عندهم وضع يميزه . وكما سموه « العلم التعليمى » قالوا لمبادئه ومقرراته المبرهن عليها فيه : « التعاليم » ، وسموا المشتغلين به الناظرين فيه : « أصحاب التعاليم » ، وسموا طريق النظر فيه : « النظر التعليمى » .

أرادوا بالاسم فى بداءة الأمر أن يكون اسما للعلم الذى يبحث فيه عن الكم ، ثم اتسع العلم فصار البحث فيه يشمل الكم ويشمل الأمور الطبيعية التى هى ذوات كم فى الوجود الخارجى .

وجعلوا لهذا العلم أصولا أربعة ، اعتبروا فيها بتقسيم الكم أربعة أقسام . قالوا : الكم إما منفصل وإما متصل . وقالوا : الكم المنفصل إما ليست له نسبة تأليفية ، وخصوا بالنظر فيه علم العدد . وإما له نسبة تأليفية ، وخصوا بالنظر فيه علم الموسيقى . وقالوا : الكم المتصل إما ساكن : وخصوا بالنظر فيه علم الهندسة ، وإما متحرك : وخصوا بالنظر فيه علم الهيئة .

وصار على هذا الاعتبار للعلم التعليمى أصول أربعة : هى علم العدد وعلم الهندسة وعلم الهيئة وعلم الموسيقى .

علم العدد :

أما علم العدد وقالوا له أيضا « الارثماطيقى » فهو الذى يبحث فيه عن خواص الأعداد المفردة ، وخواص الأعداد عندما يضاف بعضها إلى بعض .

كانت لهم فيه مباحث ، نهجوا فى بعضها نهج الفيثاغوريين . منها الغث الذى لاطائل فيه ومنها الثمين . وكانت لهم فيه مباحث كبحث الأعداد المتحابة Amieable Numbers طرقها بنوشاكر وثابت بن قرة وغيرهم من أصحاب التعاليم ، تندرج اليوم تحت فرع من فروع علم الرياضة البحتة ، يطلقون عليه فى الاصطلاح الحديث « نظرية الأعداد » (Theory of Numbers) .

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة السابعة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

ولعل المقصود من علم العدد أصلا معرفة البراهين على طرق الحساب، التى يحتاج إليها فى المعاملات، بل ويحتاج إليها فى سائر العلوم.

غير أن عناية الكثرة الغالبة من أصحاب التعاليم فى العصر الإسلامى، انصرفت إلى شرح كيفية مزاولة الأعمال الحسابية، وبيان طرقها المختلفة؛ فلم يعن بالبراهين، لاستمصائها واستغلاق أمرها، غير القليلين من أمثال: ابن الهيثم المتوفى سنة تسع وثلاثين وألف بعد الميلاد، ومحمد بن عبد الله الحصّار وهو من علماء المغرب فى أواسط القرن الثانى عشر، وابن البناء المراكشى، من علماء النصف الأخير من القرن الثالث عشر: أقول انصرف اهتمام الكثرة الغالبة من أصحاب التعاليم إلى بيان طرق الحساب وشرحها، وجعلت تلك الطرق فروعا متفرعة من علم العدد، وضعت لها أسماء، عرفت بها. وعدها الفارابى من علم العدد العملى لتعلقها بكيفية عمل.

من هذه الفروع: علم الحساب، وقيل: صناعة الحساب.

ولم يكن الاسم فى دلالته مرادفا كما يظن أول وهلة لعلم العدد، وقسموا علم الحساب أقساما: أهمها — حساب التخت والميل ويقول له الطوسى: الحساب بالتخت والتراب — ومنه نتعرف كيفية مزاولة الأعمال الحسابية، باستعمال الأرقام الهندية. وهو علم كان أبو عبيد الله محمد الخوارزمى المتوفى سنه خمسين وثمانمائة أول من أدخله فى الإسلام وأول من ألف فيه وكتابه فى هذا الفن ترجم إلى اللاتينية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر. وعنه أخذ أهل أوربا هذا العلم وسموه نسبة إلى الخوارزمى: «الغورثم».

ولعل لفظ التخت هنا يعنى «الأباقوس» Abacus. وهو آلة كانت تتخذ على هيئات وصور مختلفة يستعان بها فى الحساب.

والتخت والتراب دلالة على اللوح المسطح يغطى سطحه بطبقة رقيقة من التراب أو الغبار كان حسّاب الهند يتخذونه بدلا من القرطاس فى مزاولة أعمالهم الحسابية. أما لفظ الميل فلست أدرى على التحقيق دلالتـــه، إلا إذا كانت الدلالة على الانحراف الملحوظ فى الأعداد إذا ما صفّت ذوات المراتب المتصاعدة أو المتنازلة، بعضها تحت بعض، كما يقع فى عمليات الضرب والقسمة.

ومن أقسام الحساب، حساب الهواء. وقيل الحساب الهوائى. ويقول له اسماعيل بن إبراهيم الماردينى من علماء النصف الأول من القرن الثالث عشر: «الحساب المفتوح». ويتعرف منه كيفية الحساب فى الخيال دون الاستعانة بآلة كالتخت أو بالكتابة.

ومن أقسامه أيضا حساب العقود، أى عقود الأصابع. وضعوا كلا منهما إزاء أعداد مخصوصة، ورتبوا أوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفا.

ويقول صاحب كشف الظنون: «وهو عظيم النفع للتجار سيما عند استعجام كل من المبايعين لسان الآخر، وعند فقد آلات الكتابة، عرف عند أهل أوربا فى القرون الوسطى وقيل له: «الحساب بالأصابع». Finger Reckoning. وقيل كان يستعمله الصحابة.

ومن فروع علم العدد: «علم الجبر والمقابلة»، وقيل: «صناعة الجبر والمقابلة».

وأول من كتب فيه فى الإسلام الخوارزمى، وقد سبق ذكره فى الحساب، وإليه ينسب الفضل فى نشأة هذا العلم. جعل الخوارزمى عنوان كتابه: «الجبر والمقابلة». فذهب عنوان الكتاب اسما من بعده للعلم.

وقد ترجم كتاب الخوارزمى فى الجبر والمقابلة إلى اللاتينية؛ وقبلما ترجم كتابه فى الحساب. وكان بذلك أول معرفة أهل أوربا بعلم الجبر. ولتسمية العلم بالجبر والمقابلة دلالتها المعنوية. يقول صاحب «مفاتيح العلوم»: «إن صناعة الجبر والمقابلة سميت بهذا الاسم، لما يقع فيها من جبر النقصانات والاستثناءات، ومن المقابلة بين التشبيهات وإلقائها».

أما مايزعمه القائلون إن اسم الجبر الذى سمى به هذا العلم له نسبة إلى اسم جابر بن حيان الكيميائى — أو جابر اللاتينى المزعوم — وما يتأولونه من تأويل أخرى، فهى أقاويل لا وزن لها ولا يصح أن يعتد بها.

ومن فروع علم العدد «حساب الخطأين». سمى كذلك لأنهم كانوا يفرضون للمجهول عددا أيا كان، فإن لم يوافق شرائط المسألة قدروا الخطأ وحفظوه. ثم يفرضون عددا آخر فإن لم يوافق قدروا الخطأ الثانى. وبطريقة اتبعوها كانوا يستخرجون من الخطأين المجهول المطلوب.

وحساب الخطأين — حسبما تبين لى — لا يصلح إلا لحل معادلات الدرجة الأولى ذات المجهول الواحد. ولكنهم أسرفوا فى تقديره ولعله أولى بأن يعد من علم الجبر.

ذلك هو علم العدد، وتلك هى أهم فروعه الأساسية فى العصر الإسلامى.

* * *

علم الهندسة:

أما علم الهندسة وهو الأصل الثانى من العلم التعليمى فموضوعه الكم المتصل من حيث تراعى فيه المقادير.

والمقادير فى الاصطلاح الهندسى عند الإسلاميين: هى ذوات الأبعاد من الخطوط والبسائط والأجسام. ذكره صاحب مفاتيح العلوم.

ويسمى هذا العلم فى اليونانية: «جومطريا».

واستعمل بعض الإسلاميين ومنهم إخوان الصفاء اللفظ اليونانى مرادفا للهندسة. ولفظ «جومطريا» مشتق أو هو منحوت من لفظين «جيو» بمعنى الأرض، و «مطرون» بمعنى مقياس. فالأصل فى التسمية اليونانية «قياس الأرضين»، أى «صناعة المساحة»، وهو على التحقيق الأصل فى نشأة هذا العلم فى مصر القديمة.

أما لفظ الهندسة فقد جاء فى القاموس: «والمهندس مقدر مجارى القنى حيث تحفر. والاسم الهندسة، مشتق من «الهنداز» معرب آب أنداز.

وفى مفاتيح العلوم : وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة . وفى الفارسية « أندازه » أى المقادير . قال الخليل : المهندس الذى يقدر مجارى القنى ومواضعها حيث تحتفر .

ولكن لم يكن المقصود بعلم الهندسة من حيث هو أصل من أصول العلم التعليمى شيئا من هذه المعانى ؛ بل كان المقصود به علما ؛ مبادئه أولية ، ومقدماته مسلم بها ، يبرهن فيه على أحكام تتعلق بالأشكال المستوية والكرية ، ينتظمها منطق غاية فى الإحكام .

ويتمثل هذا العلم فى كتب نقلت من اليونانية كانت معروفة متداولة بينهم . أولها فى التعليم كتاب الأصول لإقليدس . وقيل كتاب الأركان ، ذكره ابن خلدون . وقيل كتاب الأسطقسات . ذكره صاحب مفاتيح العلوم . ويتناول هذا الكتاب القضايا الأساسية فى هذا العلم . وكانوا يسمونها أشكالا . ونسميها اليوم نظريات .

ومن هذه الكتب كتاب المخروطات لأبولونيوس ويتناول هندسة القطوع المخروطية . ثم كتاب المتوسطات لميناوس . وسمى المتوسطات لتوسطه فى التعليم بين الأصول لإقليدس والمجسطى لبطليموس .

وثمة كتب أخرى مثل كتاب أرشميدس فى الكرة والأسطوانة وكتاب ثاوذيوس فى الأكر ، وغيرهما ، يتم بها جميعا ما يدل عليه اسم علم الهندسة عندهم .

وقد فرّع الإسلاميون على هذا الأصل من التعليمى علوما أخرى عدوها فروعا لعلم الهندسة وهى أولى بأن تكون بالنسبة إلى علم الهندسة إما علوما يستفاد فى مبادئها ومقدماتها ، وأحيانا فى براهينها بالمبادئ والمقدمات والبراهين الهندسية ، وإما علوما تمثل النواحى التطبيقية لعلم الهندسة النظرى .

وهذه العلوم كثيرة نذكر من صنفها الأول :

علم الأوزان والموازين . وعلم مراكز الأثقال ، وعلم جر الأثقال ، وكان يسمى أيضا علم الحِيَل ، ويتعرف منه كيفية اتخاذ آلات تجر أو ترفع الأشياء الثقيلة بالقوة اليسيرة . ونذكر علم الآلات الروحانية ويتعرف منه كيفية اتخاذ الآلات المترتبة على عدم الخلاء . وهو مذهب المشائين . وكان يعول عليه قبل تورشيلى ، فى شرح الآثار المترتبة على الضغط الجوى .

ولعل الروحانية بالضم نسبة إلى الرُّوح بمعنى النفخ ، وبالفتح نسبة إلى الروح بمعنى نسيم الهواء . واللفظ العربى يؤدى معنى « نيوماتيك » وأصله فى اليونانية بمعنى الريح والهواء والنفخ والتنفس .

ونذكر من هذه العلوم علم « البنكامات » . وتتعرف منه كيفية اتخاذ الآلات التى يقدر بها الزمان ، ومنها الدورية المعمولة بالدواليب ، يدير بعضها بعضا . وعنى بهذا العلم بعض علماء الفيزيقى فى أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ونذكر منها أيضا «علم المناظر» ونسميه اليوم «علم الضوء» ، وعلم الكرة المحرقة ، وعلم المرايا المحرقة ، وهما أيضا من موضوعات علم الضوء فى الوقت الحاضر .

وهذه كلها علوم وموضوعات نعدهـا اليوم من علم الطبيعة أى الفيزيق .

ونذكر من الصنف الثانى من فروع الهندسة النظرية : علم عقود الأبنية ، وعلم المساحة ، وعلم إنباط المياه . وعلم الآلات الحربية ، وعلم الملاحة . وهو يختص بكيفية صنع السفن وترتيب آلاتها وإجرائها فى البحار . ويتوقف على معرفة السموات ومهاب الرياح وما أشبه .

وهذه العلوم هى من العلوم التى تندرج اليوم تحت فن من فنون الهندسة المدنية أو المعمارية أو الحربية أو البحرية .

* * *

علم الهيئة :

أما الأصل الثالث من التعليمى وهو علم الهيئة فينظر فى الكواكب السيارة والنجوم الثوابت من جهة أفلاكها ، وأبعادها ، وأجرامها ، وحركاتها ، واختلاف أوضاعها ، وما إلى ذلك .

وأكثرهم يدرج فيه علم جغرافية .

وقد جعلوا له هو أيضا فروعا ، هى فى نظرنا أولى بأن تعد بمثابة أجزائه وموضوعاته . منها علم الزيجات والتقاويم . والزيج معرب يطلق على الجداول العددية ، ومعناه فى الفارسية السّدى الذى تنسج فيه لحمة النسيج ، ثم أطلق على الجداول . ذكره نللينو .

والتقويم هو تعيين المواضع الحقيقية للكواكب السيارة بعد تعديلها .

ومنها علم المواقيت — وعلم كيفية الأرصاد — وعلم الآلات الظلية ، وهى التى تقاس بها ساعات النهار . ومنها علم تسطيح الكرة . والتسطيح بمعنى الإسقاط Projection فى اصطلاح لغة المدارس فى الوقت الحاضر .

ومنها علم «صور الكواكب» .

وكان عبد الرحمن الصوفى المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة من أبرز المتفوقين فى هذا العلم . قضى سنين طوالا فى رصد النجوم الثوابت ، فصورها مجموعات على صور الأناسى والحيوانات . لايزال معمولا بها فى وقتنا الحاضر .

وتضمنت مباحث علم الهيئة عند الإسلاميين أصول علم حساب المثلثات المستوية والمثلثات الكرية . وتستغرق هذه المباحث أبوابا ومقالات من كتبهم المشهورة فى علم الهيئة ، وهم الذين استحدثوا فى هذا العلم النسب المثلثية ، ووضعوا لها أسماءها ، وقدروا قيمها . وبرهنوا على القوانين الأساسية التى يقوم عليها هذا العلم .

وعلم الهيئة عند الإسلاميين هو علم الفلك عند المحدثين . وليس يقدح فيه أنهم تخيلوا لحركات الكواكب السيارة أوضاعا ذهبوا فيها مذهب بطليموس فى التداوير .

وعنى أصحاب التعاليم الإسلاميون بالتفريق بين علم الهيئة التعليمى هـذا ، وبين علم آخر سموه «علم أحكام النجوم» وهو علم التنجيم . وكانوا يعدونه فرعا من العلم الطبيعى لا من العلم التعليمى .

* * *

علم الموسيقى :

وعلم الموسيقى هـو الأصل الرابع من أصـول التعليمى . وموضوعه الصوت من جهة تأثيره فى النفس ، باعتبار نظامه فى طبقته وزمانه .

ويعلم بـه النغم والإيقـاع ، وتأليف الألحان .

وقد تضمن هذا العلم مباحث عن حدوث الأصوات وانتقالها متموجة وانعكاسها ، وكيف يختلف الصوت الجهير عن الخفيف ، والحاد عن الغليظ . وكيف تختلف نغمات الأوتار بحسب طولها ، وبحسب حزقها ، وبحسب غلظها . وكيف تختلف نغمات المزامير... وغير ذلك من أحوال الأصوات .

وكل ذلك نظروا فيه على وجه كلى دون التقيـيد بصوت مخصوص أو آلة معينة . وهى جميعا موضوعات تندرج اليوم فى علم الأصوات من فروع الفيزيقى .

ويتضمن علم الموسيقى فوق ذلك المباحث المتعلقة بأصناف الإيقاعات وتأليف الألحان ونحو ذلك من أصول الصناعة .

هذا بشىء غير قليل من الإيجاز هو العلم التعليمى ، على الوجه الذى تراعى فيه أصوله وفروعه وتستقرأ موضوعاته ومسائله . ولكنهم أرادوا به شيئا أكثر من هـذا : أرادوا به مدلولا أعم من جملة ما كانت عليه تلك الأصول والفروع . فالعلم التعليمى هو عندهم أحد أقسام ثلاثة ، قسموا الحكمة النظرية إليها . وكانت لهم فى ذلك وجهة نظر عنى ببيانها ابن سينا وغيره من الفلاسفة . ذلك أنهم اعتبروا فى التقسيم بالأمور المبحوث عنها فى العلم ، هل هى - كما يقول ابن سينا - تفتقر إلى المادة ، أو لا تفتقر ؟ وإن هى كانت تفتقر إلى المادة ، فهل تفتقر إلى المادة فى وجودها الخارجى فى عالم الأعيان وحده بحيث يمكن تصورها فى الذهن مجردة عنها ؟ أم هى تفتقر إلى المادة من حيث تتصور فى الذهن أيضا ، بحيث لا يمكن تصورها فى العقل إلا مع مادة تعرض لها ؟ لذلك اختصوا بالنظر فيما هو قوامه - فى الخارج وفى التصور جميعا - مفتقر إلى المادة ، العلم الطبيعى . واختصوا بالنظر فيما هو قوامه فى الخارج وحده دون التصور مفتقر إلى المادة ، العلم التعليمى . واختصوا بالنظر فيما هو لا يحتاج إلى المادة فى وجوده الخارجى ، وليس هو لذلك يفتقر إلى المادة فى التصور أيضا العلم الإلهى .

فالعلم التعليمى بهـذا المعنى يبحث فيه لا عن الكم وحده ، ولا عن الكم من حيث هو يعرض فى المحسوسات فحسب ، بل عن كل ما يستطيع العقل أن يجرده تصورا من المحسوسات والحسيات من أحوالها ونظمها ومجريات أمورها على الوجه العام .

وإن كان الإسلاميون أرادوا بداية أن يبحث فى العلم التعليمى عن الكم فقد كان ذلك لأن الكم ـ سواء كان متصلا يتمثل فى امتداد الجسم الطبيعى فى الأقطار الثلاثة ، أو كان منفصلا يتمثل فى تعدد موجودات الأعيان ـ هو أول مايقع فى الإدراك من صور الأجسام الطبيعية المحسوسة .

وعلى هذا الاعتبار يتسع ميدان العلم التعليمى ، فيستغرق الأمور المبحوث عنها فى العلم الذى يستفاد من المحسوسات والحسيات بوجه عام .

بل إذا ما هو قوبل بالعلم الطبيعى الذى جعلوه ينظر فى الأمور التى تفتقر إلى المادة فى وجودها الخارجى ومن حيث هى تتصور ــ كان العلم الطبيعى على هذا الوجه ، يمثل الجانب الوصفى من العلم ، وهو الجانب الذى نتعرف منه الجزئيات المتعينة ــ وكان التعليمى يمثل الجانب الكمى والجانب النظرى اللذين يليان ذلك فى المرتبة .

ثم هم سلكوا فى التعليمى طريقة حاولوا ما استطاعوا أن يلتزموها . أخذوها فجة غير ناضجة عن نظرائهم فى العصر الإسكندرى . وتطورت بين أيديهم حتى استكملت عناصرها فى النصف الأول من القرن الحادى عشر حين بلغ تقدم الفكر والإنتاج العلمى ذروتهما .

ولا يقدح فى الأمر أن تكون هذه الطريقة قد بلغت عندهم تمام نضجها فى علم واحد من فروع العلم التعليمى ، هو علم المناظرة : أخذ فى هذه الطريقة بالاستقراء ـ لا على الوجه الذى يكتفى فيه بالمشاهدة وحدها ـ بل على الوجه الذى يستعان فيه بالتجربة ، وعلى الوجه الذى تتخذ فيه للتجربة أجهزتها وآلاتها الوافية باستقصاء الأحوال .

وأخذ فى هذه الطريقة بالقياس وخاصة بالقياس الرياضى للتحقق من صدق الأحكام المستقرأة : هل النتائج التى تستنبط منها بالقياس تطابق أو لا تطابق .

وعنى بعد ذلك بالشرح والتفسير وبيان العلة ، وطريقتهم فى العلم التعليمى الاستدلال من المعلولات والمسببات على العلل والأسباب .

ولابن سينا كلام طويل يختص فيه العلم التعليمى ببرهان الإنية ويلزم فيه العلم الطبيعى برهان اللمية وهو القائم على القياس «سيلوجزم» الذى تلزم فيه المقدمات نتائجها ، ويخطىء ابن سينا الطبيعى إذا أخذ ببرهان التعليمى . ويمثل فى ذلك بالبرهان على أن الأرض كرية ويقول :

« وإذا قال الطبيعى : لو لم تكن الأرض كرية لما كان فصل الخسوف هلاليا ، فقد خلط » .

فالنظر التعليمى أن يستدل على كرية الأرض بمشاهدات الخسوف وما إليه . واستدلال

التعليمى غير ملزم ، والنتيجة التى يتوصل إليها ليست ضرورية ، والتصديق بها ليس يقينيا .

***

وهذا — بشىء من الإيجاز كثير — هو العلم التعليمى على الوجه الذى يعتبر فيه بالمعانى التى ميزوه بها ، والنظر الذى اختصوه به .

فإذا اعتبرنا بأصوله وفروعه ، واعتبرنا بطريقة البحث والنظر فيه ؛ كان العلم التعليمى عند الإسلاميين هو العلم المدلول عليه باسم « سيانس » فى اصطلاح المحدثين هو هذا العلم بعينه .

وإن كان الإسلاميون قد اقتصروا فيه على فروع منه محدودة هى من فروع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية — وليس من بينها ما يمثل فروع « السيانس » الأخرى — فماذلك إلا لأنها هى الأطوع سلاسة وانقيادا للطريقة العلمية الحديثة ؛ فاستطاعوا بشىء من اليسر تذليلها وتكييفها حسبما يقتضيه الأسلوب العلمى الحديث ؟

كلمات فى استقبال الأعضاء الجدد

الزميل الجديد الأستاذ محمد توفيق دياب

للأستاذ الدكتور طه حسين عضو المجمع

سيدى الزميل العزيز توفيق دياب :

أحمد إليك الله على أن وصلت إلينا سالما بعد رحلة طويلة شاقة ، وسفر غير قاصد . فى طريق قد بثت فيه عقاب أى عقاب ! كيف وقد اختارك المجمع لعضويته فى أبريل الماضى . ولم يأذن لك آذننا بالوصول إلينا إلا فى فبراير الماضى ؛ ذلك لأن مفاتيح دارنا هذه ليست إلينا ، وإنما هى إلى وزراء المعارف يستأذنون فى استعمالها بمجلس الوزراء ، ثم يأذنون للأعضاء الجدد بالوصول إلى زملائهم الذين سبقوهم إلى هذه الدار .

ووزراء المعارف — كما تعلم — يختلفون فى الطباع والأمزجة . فيهم الذين يؤثرون الأناة والمهل . وفيهم الذين يؤثرون السرعة والعجل . فقد أبطأ عليك بعضهم ، وأسرع بك بعضهم . والشكر لهم جميعا على ما أبطأوا وما أسرعوا. ولكنى أحب أن أخص بالشكر هذا الوزير الذى أسرع بك إلينا . وكأنه أحس شوقنا إلى لقائك ، وطول وقوفك ببابنا فرحمك وأشفق علينا . وجمع بين الذين فرقت بينهم الأيام ، فأطالت التفريق . فله منى ومن المجمع على هذا العمل الجميل شكر خاص . ومع ذلك فأحسبك أقربنا دارا إلى هذا المجمع . فانظر إلى قرب الدار وبعد المزار ، واذكر قول أبى العلاء :

فيادارها بالخيف إن مزارها
قريب ، ولكن دون ذلك أهوال !

وما أريد أن أطيل فى تفصيل تلك الأهوال . فقد انجلت غمرتها — والحمد لله — ولكنى أذكر دائما أن كل المصاعب إلى تذليل ، وكل السحب إلى انقشاع . وكما كان القدماء يقولون : «الغمرات ثم ينجلين» .

وفيما بينى وبينك أيها الزميل العزيز لست آسفا على طول وقوفك ببابنا . فقد عرفتك منذ عرفتك ، أى منذ زمن بعيد جدا ، متمردا عصيا أبيا . لا تحب الخضوع للنظم ، ولا الطاعة للذين يفرضونها عليك . فلا أقل من أن يصيبك فى ذلك بعض الشطط ، ولا أقل من أن تلقى على

(١) ألقيت هذه الكلمة فى الجلسة العلنية التى عقدها المجمع فى ٨ من مايو ١٩٥٤ لاستقبال الأستاذين محمد توفيق دياب وحامد عبد القادر بمناسبة تعيينهما عضوين عاملين بالمجمع .

إبائك وعصيانك شيئا من عقاب . فاحتسب ما أصابك من طول الوقوف جزاء لما أسرفت فيه من التمرد والعصيان . وإذا ذكرت التمرد والعصيان ، فإنما أذكرهما وأنا ألحظك فى سنيك الأولى، ثم حين كنت صبيا تختلف إلى الكتاب. ثم حين اختلفت بعد ذلك إلى المدرسة الابتدائية فى حى من أحياء القاهرة . فكنت دائما تلميذا سىء السيرة فى فصلك ومدرستك . لا تحب نظام المدرسة . ولا تحب أمر الأستاذ والناظر ، ولا تحب الكتب المقررة ، وإنما تتبع هواك ، وتعمل كما تريد أنت ،لا كما تريد لك نظم التربية و « البيداجوجيا » .

والعجيب أنك على ذلك استطعت أن تخلص من المدرسة الابتدائية . ولكنك لم تستطع أن تستقر فى المدرسة الثانوية التى التحقت بها . فما زلت تعبث وتلهو ، ولكنه عبث جاد ، ولهو صارم، تقرأ فى غير ما يطلب إليك أن تقرأ فيه ، وتسمع لغير ما ينبغى أن تسمع له ، وتطيع نظما أخرى لا تأتيك من المدرسة، وإنما تأتيك من نفسك الجامحة ،وقلبك هذا العصى الذى لا يحب الطاعة ولا يرضاها .

وقد اضطررت إلى أن تترك المدرسة الحكومية، وخيل إليك — فيما يظهر — أن المدارس الحرة أجدر أن تسايرك فى عبثك هذا ، فاختلفت إلى مدرسة حرة . ولكن نظامك فيها لم يكن نظاما ، وطاعتك للمعلمين والنظار لم تكن طاعة. واضطرب عليك الأمر ، وأشفقت عليك الأسرة ، واضطرت إلى أن تنقلك من القاهرة إلى الإسكندرية لعلك تخضع فى هذه البيئة للنظم، فتفرغ من الدراسة ، فتنال الشهادة الثانوية آخر الأمر .

وقد انتقلت إلى الاسكندرية بارما ضيقا، ولكن الذين نقلوك إليها لم يلبثوا أن عرفوا أنهم لم يصنعوا شيئا ، فقد كنت فى المدرسة الجديدة كما كنت فى المدرستين القديمتين : عصيا أبيا متمردا ، تؤثر ما تريد على ما يراد لك . وقد تخلفت آخر الأمر عن المدرسة جامحا متبعا هواك ، مخالفا النظم ، ومخالفا رأى أسرتك . وأبيت إلا أن تدرس على هواك أنت لا هوى وزارة المعارف . والغريب أن هواك فى هذه المرة قد كان موفقا كل التوفيق ؛ فقد أتيح لك أن تختطف الشهادة الثانوية فى سرعة سريعة ، وكنت فى أوائل الناجحين .

ثم أردت أن تطلب العلم حيث تحب أنت ، لا حيث يحب لك أهلك وذووك . فرحلت إلى بلاد الإنجليز. وهناك لم تحفل بالنظم الجامعية البريطانية كما لم تحفل بالنظم التعليمية المصرية . فدرست فى بلاد الإنجليز على هواك كما درست فى مصر على هواك أيضا . وليس لهذا كله معنى إلا أنك لم تكن تلميذا طائعا . إنما كنت تلميذا من النوع الذى ينصرف عنه المعلمون والنظار وأساتذة الجامعات ومديروها .

درست فى بريطانيا العظمى كما شئت أنت . والغريب أنك أحسنت الدرس ، وبلغت من العلم ما أحببت ، أو بعض ما أحببت ، فالذى أعرفه أن حاجتك إلى المعرفة لا تنقضى .

ولكنك لم تعد من بلاد الإنجليز بإجازة معينة . ولكنك عدت منها بشيء غريب قلما يعود به الطلاب الذين يرسلون إلى الخارج . عدت وفى نفسك ميل إلى هذه النزعات، نزعات التصوف : التصوف الذى يخرج الناس عن أطوارهم أحيانا . ويدفعهم إلى مثل عليا قلما ترضى عنها الجماعات التى تعمل لحياتها اليومية ، فكنت دائما طموحا إلى الخير ، مسرعا إليه ماوسع جهدك الإسراع إليه. وكنت دائما حريصا على أن تدعو الناس إلى ما تحب لنفسك ، ولم يكن عقلك يستقر فى رأسك إلا أن تدعو إلى هذا الذى تحبه ، ولم يكن لسانك يحب الاستقرار فى فمك . وإنما كنت دائما متنقلا برأيك تذيعه هنا وهناك .

ثم أبيت إلا أن تفرض رأيك واندفاعاتك هذه التصوفية على الناس. فنظمت لنفسك ألوانا من المحاضرات . لم تلبث أن عنى بها الناس واحتفلوا لها أشد الاحتفال .

وكانت محاضراتك تشبه أن تكون موسما عقليا فى تلك الأوقات التى كان المصريون ظماء فيها إلى المعرفة ، وظماء فيها إلى الأدب وظماء فيها بنوع خاص إلى هذه الفصاحة التى تخرجهم عن حياتهم الكادحة الجادة ، وترفعهم إلى أشياء من هذه المثل العليا يطمحون إليها ولا يكادون يحققونها .

كنت تلقى المحاضرات فى فصول الشتاء عادة — إن صدقتنى الذاكرة — وكنت تلقيها حيث يتاح لك إلقاؤها .كنت تلقيها فى ملاعب التمثيل . وكانت الجماهير تزدحم على محاضراتك كما تزدحم على الأشياء الخطيرة النفيسة التى يسرع إليها الناس ، متهالكين عليها حراصا على شهودها أشد الحرص .

ثم أنشئت الجامعة المصرية القديمة .

وأحس المشرفون على هذه الجامعة أنه قد أصبح لك شأن أى شأن ؛ وأن الناس يسمعون لك ويسرعون إليك ويتحدثون عنك ، فيطيلون الحديث . وشهد بعض المشرفين على الجامعة شيئا من محاضراتك ، فأرادوك على أن تحاضر فى هذه الجامعة ، وقد فعلت — فيما أذكر — ولم أكن أنا فى مصر فى تلك الأيام .

ثم أنشئت الصحف الحزبية فى العصر الجديد بعد الثورة الأولى فى سنة ١٩١٩ واشتغلت فى صحيفة « السياسة » التى كان الأحرار الدستوريون يصدرونها فى ذلك الوقت .

أيها الزميل :

كنا نعمل معا فى السياسة وكان زميلنا «هيكل» هو رئيس التحرير . فى تلك الأيام كنا شبابا . وكنا متحمسين . وكانت حماستنا ناراً تتأجج فى الصدور والرءوس . وكنا مؤمنين بحق مصر فى الاستقلال . وكنا مؤمنين بحق مصر فى النظام الدقيق الذى يوصلها إلى الاستقلال . وكنا خصوما أى خصوم لسعد زغلول وللوفد . وكانت أيامنا ولياليها جهاداً فى خصومة سعد والوفد ، ولم يكن عدد من « السياسة » يصدر إلا وفيه حملة عنيفة ، يشترك فيها ثلاثتنا . ويشترك فيها معنا أصدقاء كرام آخرون . وكنا نكلف الوفد وسعدا من أمرهما شططا .

كانوا يضيقون بنا فى النهار وكانت حملاتنا تؤرق نومهم فى الليل ، فكانوا يقدموننا إلى القضاء .

أتذكر يوم قدمت إلى القضاء وقدمت أنا وهيكل وغيرنا معك إلى القضاء ؛ لأنك شهدت البرلمان فأخرجت منه ، فكتبت يومها ما كتبت !

تلك أيام خلت . وكانت أياما رائعة حقا لأننا كنا نصدر فيها عن نفوس صادقة وقلوب مؤمنة بإخلاص لا حد له بحرية هذا البلد واعتزازه بحريته وكرامته .

أتذكر يوم قدمنا إلى المحكمة ويوم أخذ المحامون ـ الذين كانوا يدافعون عن الوفد وعن سعد زغلول ـ يقرءون بعض مقالاتنا ليثبتوا للمحكمة أننا معتدون على سعد وأصحابه ؟

أتذكر تلك اللحظة التى قرئت فيها بعض تلك المواد ، فلم يملك الجمهور الوفدى إلا أن يصفق ويهتف واضطرت المحكمة أن ترفع الجلسة حتى تعرف الأمة كيف تحترم مجالس القضاء ؟

فى تلك الأيام كنا نكتب وكنا نثير قراءنا ، وكنا نناقش خصومنا فى الصحافة وكنا نبلغ من مناقشتنا ما نريد ، وكنا نستطيع أن نفرض قراءة صحيفتنا رغم ما كان يصدر إلى الجماهير من الإعراض عن تلك الصحيفة .

ثم تطورت السياسة المصرية ، وعصف بالحياة النيابية ، وكانت دكتاتورية ما أحسبك نسيتها. فى تلك الأيام كنت موظفا فى الجامعة المصرية الحكومية فى إدارتها لا فى تعليمها ، لأن عبثك فى أيام الصبا والشباب ، وإعراضك عن الدرجات الجامعية حالا بينك وبين التعليم فى الجامعة الحكومية .

أتذكر مقالك ذاك الذى كتبته تهاجم به حزبا هو الذى كنت تعمل محررا فى صحيفته ، لأنه وقف الدستور وغير الحياة النيابية ودفع مصر إلى غير ما كنت تحب .

أتذكر ما كان من أعقاب ذلك المقال يوم دعيت للتحقيق فاستقلت ، ثم أخذت تغامر فى سبيل رأيك السياسى ، مدافعا عن الحق لا عن سعد ولا عن خصوم سعد ، مدافعا عن الحق حيث يكون الحق . حين كان الحق مع الذين يخاصمون سعدا ، لأنهم كانوا يريدون نظاما يعتمد على الشورى لا على الديماجوجيا .

كنت خصما لسعد، وحين انحرف أصدقاؤك السياسيون عن سياستهم تلك ، وأرادوها دكتاتورية طاغية ، انحرفت عنهم وحاربتهم فى قوة أى قوة ، وفى عنف أى عنف ، وضحيت فى ذلك بمنصبك ، وأقبلت على مغامرة عرفت أولها ولم تعرف آخرها .

أتذكر خصومتك للدكتاتورية الثانية ، دكتاتورية صدقى رحمه الله ؟ ما أظن أن مرارة السجن قد ذهبت آثارها من فمك ! فى تلك الأيام دفعتك خصومتك للسلطان الطاغى إلى السجن ، فأقمت فيه ما أقمت . كما دفعت لك زميلا آخر ـــ طالما خاصمته فى تلك الأيام ـــ إلى السجن أيضا ، فذاق من مرارته ما ذاق .

ذهبت إلى السجن وذهب « العقاد » الى السجن . وكلا كما ذاق السجن ، لأنه خاصم الطغيان وحاربه .

تلك أيام قد مضت أيها الزميل الكريم ، بخيرها وبشرها ، ولكنها تركت فى نفوسنا آثارا لا تمحى ، تركت فى قلوبنا ذكريات أقل ما تصور لنا هو أننا كنا شبابا نعرف كيف ننهض بالواجب ، وكيف نلقى فى سبيله ما نلقى من الشدائد، وكيف نحتمل فى سبيله ما نحتمل من الخطوب . وما أكثر المغامرات التى دفعت إليها فى حياتك تلك التى لم تعرف نظاما ولا استقرارا ولا طاعة ولا خضوعا ، وإنما مضيت على سجيتها أشبه شىء بالسيل الذى لم يتخذ لنفسه طريقا مرسومة ؛ كهذه الطرق التى تحفرها ؛ لأنه إنما يجرى حيث استطاع أن يجرى ، ويندفع فى غير وجه حيث استطاع أن يندفع .

كذلك كنت وأخشى أن تكون قد بقيت كما كنت ! وأخشى أن تكون الشيخوخة التى وصلت إليها لم تستطع أن تردك إلى شىء من الأناة والمهل والرشد الاجتماعى الذى يأخذ الناس بالحياة الهادئة الوادعة المطمئنة .

وقد اختارك زملاؤك لتكون عضوا معهم فى هذا المجمع . وثق بأنهم لم يختاروك عن عبث ، ولا عن مجرد الحب لك والرغبة فى زمالتك ، وإنما اختاروك لأنهم يقدرونك .

حقا لست من العلماء الذين يملئون الدنيا بكتبهم، ويحصون مجلداتهم بالعشرات . فلا أكاد أعرف لك إلا شيئا قليلا من المجلدات ، وأحسبه كتابا واحدا ؛ ولكنك ملأت الدنيا ثقافة فى حياتك هذه المجاهدة المغامرة الخصبة : ملأتها ثقافة بمحاضراتك أيام الشباب ، وملأتها ثقافة بخصوماتك السياسية التى اتصلت أعواما طوالا، وملأتها ثقافة بلمحاتك التى كنت تمس بها الحياة الاجتماعية وتمس بها حياة الناس اليومية.

وأؤكد لك أن هذا النحو من تثقيف الشباب فى غير نظام – ومتى أحببت النظام – ربما كان أخصب وأجدى وأبقى فى القلوب، من الدروس التى تلقى على الشبان فى داخل المدارس والجامعات .

إن الذين سيؤرخون الآداب فيما بعد – حين يصورون حياتنا الأدبية بين الثورتين – لن يستطيعوا أن ينسوا « توفيق دياب » .

لن يستطيعوا أن يهملوا اسمك بين الأسماء التى سجلت فى التاريخ الأدبى لنفسها ذكرا حسنا رائعا شائقا . فلك أسلوبك الحار العنيف المتدفق الذى يبق إلى القلوب ؛ والذى يخلب الآذان ، والذى ينسجم فيه اللفظ مع المعنى ، والذى يصور الموسيقى اللغوية والأدبية كأروع ما تكون الموسيقى ، وحسبك بهذا خالبا للشباب مستأثرا بعقولهم ، ثم حسبك بهذا مؤثرا فى القلوب ، مثقفا للعقول ، مهذبا للأخلاق ؛ ممرنا للألسنة ، ممرنا للآذان أيضا . علمت الشباب بأدبك كيف يحبون الأدب ، وعلمته بجدالك

وبخصامك كيف يصلب فى الحق ، ويجادل عنه، ويخاصم فيه . وعلته بملاحظاتك الاجتماعية كيف يهتدى إلى الخير وينصرف عن الشر ، وعلته قبل كل شىء كيف يحب الجمال الفنى الأدبى ، وكيف يؤثر أن يكون كلامه موسيقى وكلاما فى وقت واحد . كذلك كنت ، وكذلك عرف الذين عاصروك ، وكذلك ذكر الذين لم يعاصروك . ومن أجل هذا كله ، ومن أجل هذه النفس السمحة وهذا الخلق الكريم وهذه العشرة الحلوة والمخالطة المهذبة ، ومن أجل كل هذه الخصال اختارك زملاؤك لأن تكون بينهم فى المجمع اللغوى .

أنت تهدى إليهم من خصالك هذا كله ، أما هم فلا يهدون إليك إلا شقاء وكدا وعناء وجهدا وضيقا . فأؤكد لك أن عملنا فى المجمع ليس من هذه الأشياء التى يحسد الناس عليها ، ليس يسيرا ولا سهلا . وهو بنوع خاص ، ليس من هذه الأعمال التى تحسها كثرة الناس وترضى عنها الجماهير .

أتدرى أين أنت الآن ؟ أنت فى مجمع ذكر عنه منذ أسابيع أنه نكتة القرن العشرين ، يضحك الناس منه، ويرونه عبثا ثقيلا ، ويرونه غير نافع ولا شافع ولا مجد ، ويرونه إسرافا من الإسراف، تنفق عليه الدولة أموالا، ثم لا تجنى من وراء هذه الأموال التى تنفقها شيئا .

ألم تقرأ أن الكلمة التى ينتجها المجمع تكلف الدولة سبعة عشر جنيها ؟ فكيف أنت فى مجمع مسرف على نفسه ، وعلى حكومته كل هذا الإسراف . هذا هو الذى أهداه إليك زملاؤك حين اختاروك لتجلس بينهم . لم يهدوا إليك شيئا جميلا ، ولا يسيرا ولا حلوا ، وإنما دعوك إلى أن تتعرض معهم لهذه السخرية العذبة الحلوة ، التى تفيض بها الصحف بين حين وحين، ولهذه السخرية العذبة الحلوة التى تخطر أحيانا لبعض الوزراء فيسألون أنفسهم ، ويسألون زملاءهم ، وقد يسألون بعض المجمعيين : أتظن أن المجمع ينتج شيئا ؟ لا . إن المجمع لا ينتج شيئا . ولكنه ينشر معجما للقرآن ، وينشر معجما لأوساط المثقفين ، ويهيئ معجما للخاصة من الذين يعنون باللغة ، ويدرس مصطلحات العلوم الحديثة لينقلها إلى العربية ، ويحصى من هذا كله كلمات ما أظنها تعد بالألوف ، وعسى أن تتجاوز عشرات الألوف .

يصنع هذا كله :

وأى شىء من هذا كله يعنى الجماهير ؟ !

وأى شىء من هذا كله يعنى كثيرا من الوزراء إلا من عصم الله كهذا الذى أسرع بك إلينا منذ أيام .

ثق أيها الزميل الكريم والصديق العزيز أن إخوانك لم يهدوا إليك شيئا يؤثره كثير من الناس ، ولكنهم على ذلك قد أهدوا شيئا خطيرا جدا : أهدوا إليك هذا الحب لأداء الواجب ، حين يتاح للشيوخ أن يستريحوا من أداء الواجبات .

هذا أخص ما يمتاز به هذا المجمع ، كثرة أعضائه من الشيوخ ، والذين لم يبلغوا منهم طور الراحة قد جاوزوا الشباب وإن كرهوا . كلهم شيوخ ، أيها الزميل ! وكلهم قد أدى واجبه كأحسن ما تؤدى الواجبات ، ولولا هذا ما دخلوا من هذا الباب .

كلهم قد أدى واجبه ، وآن له أن يطمع فى الراحة ؛ ولكن المزية الخاصة لهذا المجمع ولأمثاله من المجامع هى هذه : أنه يأخذ الذين استحقوا الراحة بأن يعملوا ويعملوا ، ويتكلفوا التعب والجهد ، ويحتملوا الشقاء والعناء ؛ ليؤدوا حق الواجب ، وليقولوا للشباب إن الواجب شىء يجب أن يصحب الإنسان منذ يعقل إلى أن يموت .

اختارك زملاؤك لتشارك فى إحياء اللغة والمحافظة عليها ، واختاروك بنوع خاص لتكون قدوة وأسوة للشباب فى العمل ، ما استطاع الانسان أن يعمل .

فدعنى أهنئك باختيار زملائك . و أذن لى فى أن أهنىء زملاءك بوصولك إليهم ، وتقبل من زملائك ومنى أخلص الحب وأصدق التحيات ؟

رد الأستاذ محمد توفيق دياب

على كلمة الدكتور طه حسين

أيها السادة الزملاء والأصدقاء :

ها أنتم أولاء قد سمعتم من صديقى الألمعى الذى تفضل باستقبالى : هذه الروائع من كلمات وإن كنت أغضى حياء من الثناء الجميل الذى أغدقه على شخصى ، فى سخاء يشبه الإسراف .

لكنه ثناء - على حلاوته - يمازجه غير قليل من الملح ، وقديما علمنا من بعض الطهاة أن لابد من شىء من الملح يضاف إلى بعض صنوف الحلوى كيما تشتهى وتستساغ .

وملح هذا الاستقبال الذى حظيت به من صديقى طه هو تعدد القرصات المهذبة التى كثيرا مايلوى بها لحوم أصدقائه ليا رفيقا كلما واتته الفرص .

لست أدرى على من تقع القرعة القادمة يوم أن ينتخب بعض زملائنا القادمين أعضاء فى هذا المجمع الموقر .

هذه « الوصفة » المعسولة المملوحة لابد لنا من الاستمتاع بها على يد الدكتور طه ، حتى لنقبل على كل سانحة من فرصها فى سرور وبهجة ، لأنها قرصات مستطرفة تقع من النفوس وقع الدغدغة والتجميش من الأبدان .

حضرات السادة المحترمين :

حين استقبلنى الدكتور طه فى منزله الحافل بالعلوم والآداب والفنون ، وكان ذلك تمهيدا لهذا الاستقبال الرسمى الذى فرغ منه مثابا مشكورا منذ دقيقة أو دقيقتين ، لم أكن أعلم ماخبأه لى القدر قبيل بلوغى داره العامرة .

لقد وجدت فيه ممتحنا شديدا على تلميذه . ولم أكن سعدت من قبل بتلمذتى له . لكنى - والحق أقول - أحسست شيئا من التهيب قد داخلنى من هذا الأستاذ الذى تعود أن يكون فارسا ، ولم أتعود أن أكون فريسة .

لم يكن الامتحان الذى فرضه على اختبارا فى الأدب ولا فى اللغة ولا فى شىء يمت إلى ذلك بسبب . ولو أراد الدكتور أن يزول بى هذه المحنة لاسقطنى من حالق . ولو حاول ذلك معى لتمردت عليه ، كما تمردت على المألوف من مناهج الدراسة ، والمطروق من سبل الشهادات العالية وما فوق العالية ، كشأنى الذى وصفه الدكتور طه بلسانه من فوق هذا المنبر منذ لحظات قصار .

ولكنى لم أتمرد عليه ولا تنمرت له حين حصر أسئلته فى : « ما اسمك ؟ وأين ولدت ؟ وماذا درست منذ وعيت طريقك إلى الكتاب

حتى يومك هذا ؟ »

وما كاد ينتبه إلى دبوسى هذا ، حتى انقض على سنى يكشف غطاءها عنوة بحكم سلطانه يوم يستقبلنى على ملإ من حضرات الأعضاء وحضرات الزائرين .

وروح الجماعة تزين للجماعة أن تسخر إذا سخر قائدها ، وأن تتواقر وتجد إذا جد وتواقر .

ومن عسى أن يكون قائد هذه الجماعة المثقفة فى هذا اليوم الرهيب سوى البطل الذى يعلو منبر الخطابة ، ليستقبل العضو الجديد فى حفلة رسمية من الغرباء والقرباء .

لكن وثبته على سنى يريد تقصيها والوقوف على عدد شهورها وسنيها لم تجد عليه شيئا يستطيل به على ؛ لأنى حين صارحته بأنى ولدت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وألف ، أيقن أنه يصغرنى بعام واحد ؛ فلا يشمت إذن بشيخوختى ويفرح بشبابه ، اللهم إلا إذا فاخر بشباب أفكاره ومواهبه . فحينئذ نستسلم له ونسالمه ؛ لأن بطشات العقول والأفكار أفعل ألف ألف مرة من بطشات السواعد والعضلات ، بل من بطشات الرماح والسيوف .

لم يمتحنى إذن — عافاه الله وأثابه — فى أدب ولا علم ولا فن وإنما امتحننى فى أسماء هذه الأشياء دون أن يعرض لمدلولاتها وحقائقها . . ولو قد فعل ، لتمردت عليه كما ذكرت آنفا ، ولصحت به فى غير وجل : أيها الدكتور طه حسين ، ودع عنك ألفاظ الصداقة أو الإخلاص أو الكلام المعسول بملوحا كان أو غير ملوح : ماذا تظن ؟ هل نسيت أن انتخابى قد تم . وأن مرسوم تعيينى فى مجمع اللغة العربية قد صدر ؟ لماذا ترهقنى إذن بأسئلة محرجة معجزة ؟ لماذا تبخسنى ولأى البواعث التى حملت زملاءك من العلماء والأدباء واللغويين على اختيارى عضوا معكم ، لى مالكم ، وعلى ما عليكم .

ولا سيما فى عهد ألغيت فيه الألقاب ، وحددت فيه الملكيات ، وتقاربت فيه النفوس والرءوس .

وسألت صديقى طه ، وقد سكنت ثورة هجومه ، وهدأت فورة دفاعى ؛ وذلك بفضل نغمات الموسيقى الصامتة التى تبعث الأمن والطمأنينة فى النفوس المتحفزة : موسيقى رشفات القهوة المتقنة من « فناجين » كبار مفعمة ، يعبق المكان بعبيرها المنتشر .

سألته : أليس التقليد المتبع إذا التفت المحافل بعضو جديد يوم استقباله أن يكون قد أعد دراسة مبتكرة فى باب من أبواب اللغة ، يتقدم فيها بمذهب جديد أو مقترح طريف أو توجيه مرشد إلى اصطلاح فى ناحية ما ، من هذا الموضوع المترامى الأطراف الذى يشغل المجمع ، ومن شأنه أن يشغل كل عربى يهمه لسان العرب ؟

قال صديقى طه فى نفور وانفعال : كلا . ليس من الكياسة أن يبدأ العضو الجديد بدرس يلقيه على الأعضاء يوم استقباله فى حفل عام .

إن المدارسات لا تكون فى بهو الاستقبال ولا فى ساعات الاستقبال

* * *

لذلك أقلعت أنا المتحدث إليكم منذ تلك الساعة عن التفكير فى بهلوانية لغوية أعرضها على حضراتكم فى هذا المقام .

لكنى مع ذلك محتاج إلى شىء أقوله فى هذه الدقائق « الطوال » الباقية لى . قبل أن يحين الوقت الذى أتخلى فيه عن مكانى لأستاذنا الكبير إبراهيم مصطفى : مستقبل زميلنا الأستاذ حامد عبد القادر .

نعم إن حاجتى لصارخة إلى شىء أقوله ، بل إلى أشياء كثيرة يجب أن أقولها قبل أن أغادر هذا المنبر .

يجب أن أعبر عن عميق شكرى لأعضاء المجمع الأحياء ، وعن جميل ذكرى لأعضائه الراحلين .

أشكر كل صديق شارك فى ترشيحى يوما من الأيام ، وأشكر كل زميل وثق بى فانتخبنى أو لم يثق بى فأعرض عنى . تلك هى الحرية المقدسة المشكورة فى كل حال .

وأشكر صديقى طه الذى « أوسعنى » مدحا حتى أخجلنى ولكنه خجل ليس يخلو من زهو وغبطة ... أشكر عسله وملحه ، وفكاهته وجده ، وأشكر عبقريته التى خلقت من صبي القرية — وكم فى القرى من صبية يعدون بالملايين — ومن طالب الأزهر — وكم فى الأزهر من طلاب يعدون بالألوف — أشكر هذه العبقرية التى سمت بطه حسين إلى الذروة العليا من الثقافة والأدب : أدب الشرق وأدب الغرب على السواء .

أيها السادة والأصدقاء :

ولكنى مدين إلى أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد بفضل لا يحصى ولا يقدر .

أقول قولى هذا وأنا لم أتقرب إليه قط بزلفى طيلة الحياة ؛ حتى لقد يظن ظان أن بين الأستاذ الجليل وتلميذه المتواضع جفوة أو شبه جفوة ، لو أخذت الأمور بمظاهرها الخادعة .

كان الأستاذ الجليل أول من شجعنى على الكتابة الاجتماعية وأنا طالب بجامعة لندن . فنشر لى أربعة عشر مقالا افتتاحيا فى « الجريدة » بعنوان « المدنيتان » .

وكان الأستاذ الجليل هو الذى قدمنى بعد عودتى إلى مصر سنة ١٩١٦ إلى صديقه المرحوم سعد زغلول ، وكيل الجامعة الأهلية حينذاك ، مقترحا عليه افتتاح دراسة فى الخطابة والإلقاء فى الجامعة ، يتولاها « توفيق دياب » .

وقد اقتنع سعد — أمير الخطابة فى مصر — وافتتحت الدراسات ، ودامت عامين ، ثم شغلتنى مشاغل أخرى .

وكان الأستاذ الجليل هو الذى دعانى إلى المشاركة فى تحرير جريدة «السياسة» عند إنشائها ، فلما اعتذرت أصرّ . فنزلت على إرادته ، وقضيت زمنا غير قصير فى كفاح شريف نزيه .

وكان الأستاذ الجليل هو الذى رحب بى عاملا معه يوم كان مديرا للجامعة المصرية بين ١٩٢٥ / ١٩٢٨

وها أنذا اليوم تضمنى الأقدار إلى مجمع اللغة العربية الذى يرأسه أستاذنا الجليل .

إذن هذا رباط كلما تقادم عاد فتجدد ، وكلما انقطع — لا قدر الله — عاد فاتصل .

لكم تمنيت لو كان الرئيس بيننا اليوم ، فأبدى له بعض ما أكن له من التقدير والاحترام وعرفان الجميل ، متعه الله بالصحة والسعادة والعمر المديد .

* * *

سادتى وأساتذتى :

جرت التقاليد فى مجمعكم الموقر أن يتكلم الخلف منا عن السلف مشيدا بمواهبه منوها بخدماته ومزاياه .

والسلف الذى أنا اليوم مدين له بذكر مآثره وجهوده — فى مجال اللغة والأدب — هو المرحوم الدكتور العلامة : فارس نمر .

ولد الدكتور نمر فى ٦ يناير سنة ١٨٥٥ وتوفى فى أواخر سنة ١٩٥١ ، فهو لم يعش سوى سبع وتسعين عاما . وقد كان يرجو أن يتم فى هذه الحياة الدنيا مائة عام ، كما رجا هذه السن مستر « برنارد شو » ولم يبلغها هو الآخر .

كان الدكتور نمر أحد شركاء ثلاثة فى جريدة « المقطم » وأحد شريكين اثنين فى مجلة « المقتطف » .

ولما توفى الدكتور يعقوب صروف عاش المقتطف والمقطم بعده سنوات طوالا ؛

حتى إذا مات الدكتور نمر ، مات المقطم والمقتطف كلاهما بعده بشهر واحد .

وهكذا يقوم الدليل على أن كثيرا من كبار الأعمال يرتبط بها الرجال ارتباط حياة أو موت .

وليس يسعنا فى هذا المقام سوى التنويه الصادق بالجهود التى بذلها الزميلان العالمان صروف ونمر فى سبيل خدمة اللغة العربية فى مدى ستين عاما من الزمان أو تزيد .

لقد انقطع صروف للبحوث العلمية دراسة وترجمة وتعريبا . وإن لمجلة المقتطف لنصيبا موفورا من إشاعة العلوم الحديثة والفنون الجديدة ، منذ أن انتقلت من لبنان إلى مصر قبل عشرات السنين .

ولم تكن لغة المقطم وتعابيره وأساليبه الكتابية المرسلة أقل نصيبا فى رفع مستوى الكتابة من العامية المبتذلة إلى الفصحى السهلة التى لا ترتفع عن مدارك السواد .

وكانت المقطم هى الجريدة التى يشترك فيها أو يشتريها العمد والأعيان ، وكل راغب فى التمسح بجاه الإنجليز منذ أوائل الاحتلال إلى ثورة سنة ١٩١٩ .

ولقد كان العمدة الذى يقرأ ويكتب يجلس كل مساء فى حلقة من أسرته وإخوانه فى الدوار بعد العشاء أو قبله ، ثم يتلو مقالات المقطم وأخبارها المحلية وأسواقها التجارية .

وكانت هذه فى الواقع مدرسة ترتفع بمستوى

التفكير ومستوى التعبير ، وإن يكن الإطار كله يصطبغ بصبغة الاحتلال .

ونحن لانعرض هنا لسياسة المقطم أو لسياسة الدكتور نمر . وإنما همنا ينحصر فيما أفادته مصر من هذين العالمين الكبيرين : نمر وصروف ، ومن آثارهما العلمية والصحفية .

وليس ثمة شك فى أن المقطم والمقتطف قد أسهما فى نهضة اللغة العربية بنصيب عظيم . بنصيب تشكره الفصحى للراحل الكبير زميلنا الدكتور فارس نمر ، رحمه الله .

* * *

أيها الزملاء والأصدقاء :

هنا يجب أن أترك المنبر للزميلين الكريمين ، بعد أن استنفدت من الوقت برهة غير قصيرة .

ولكن كلمة نطق بها أخى « طه » فى سياق حديثه عن منهجى وسلوكى : كلمة تحتاج منى إلى تعليق وجيز . قال إننى متصوف أو أجنح إلى الصوفية ، أو كلمة فى هذا المعنى العظيم .

أيها الزملاء والأصدقاء :

إنى حقا ذقت حلاوة التصوف ، ونعمت بنعمته ، وسموت بسموه عن غرائز الأثرة وسلطان الشهوات .

نعم لقد تصوفت وأنا طالب فى إنجلترا ثلاث سنوات ، ثم أتممتها خمسا بعد أن عدت إلى الديار .

ليتنى استطعت الاحتفاظ بهذا السمو فى العواطف والمشاعر والأفكار بقية الحياة .

إذن لظللت قريبا من ربى ، يقبلنى فى كل ساعة وكل لحظة ، فى اليقظة وفى المنام .

لكنى ـ وا أسفاه ـ قد اجتاحتنى جوائح الدنيا ، وجرفتنى جوارف التيار .

على أن أمرا واحدا بقى لى ، أشكر الله على دوامه :

ذلك أننى ـ وقد انحدرت من الأفق الأعلى الذى كنت عرجت إليه أيام التصوف ـ لم أهبط قط بعد ذلك إلى الدرك القديم الذى كنت فيه أيام التيه والضلال .

أيها الزملاء والأصدقاء :

سلام عليكم وبركات ؟

الزميل الجديد الأستاذ حامد عبد القادر

للأستاذ إبراهيم مصطفى عضو المجمع

لو أن الخيار إلىّ فى موقفى هذا لآثرت السكون والتريث والصمت، ولما تقدمت إلى هذا الموقف خطوة واحدة لأتكلم بين يديكم الآن ؛ لأنى تعودت إذا سمعت حديثا عذبا وبيانا قويا أن أبقى لأعيش فيه ساعة أطيل الاستمتاع به وأتروى فيه . ولكن هو الواجب ، واجب المجمع ، لا تردد فيه، بل أكاد أقول : حقا إننى مصروف عن القول لا أكاد أفكر فيما كنت أعددت لأقول . لأنى لا زلت أعيش فى الكلام الذى سمعته والبيان الذى استمتعت به ، كما تعودت أن أعيش حالما بعد سماع كل بيان جميل أو كل معنى رائع وأستأثر بإلقاء فيه حينا من الزمن .

هذا فيما يخصنى ، أما فيما يخصكم، فلعلكم أيضا كنتم تفضلون ما أفضل أن تنتهى الجلسة وأن نقدم الأستاذ فى جلسة أخرى . ولكن واجبات المجمع شديدة، ولا بد من اتباعها فيما يخصنا ، وإن واجبنا هو رعاية هذه اللغة الكريمة وخدمتها ، وهو واجب كأنه الهوى، وتكليف كأنه غرام ، ومشقة يزيدك المضى فيها إلفا لها ، واستمتاعا بها . هذا هو واجبنا الذى نمضى فيه محبين له ، متفانين فيه ، معرضين عن كل نقد إلا أن يكون نافعا موجها أو مرشداً .

أمامنا لسان عربى مبين ، ولغة واسعة مطواعة ، هيئ لها من قوة الحياة ما لم يهيأ لكثير من اللغات . أليس من آيات القوة أنها عمرت ما لم تعمره لغة أخرى غيرها ؟ وأنها إذا قيست الآن باللغات الحية وجدناها أمضى عمراً وأطول فى التاريخ القديم مدى ، وأنها لانت ! ولقد لقيت خطوبا وأحداثا وتغلبت عليها . ولقد دخلت على لغات فنسختها أو دخلت عليها لغات أخرى فزحزحتها ! أليس ذلك دليلا على قوة الحياة ؟ وقوة الحياة فى اللغة أنها أخذت وأعطت ، وأنها أخذت من اللغات واستكثرت ، وأنها حين أخذت كانت تقدّ ما أخذت فى قدودها، وتزيبه بزيها وتهضمه ، فإذا هو منها ، ويفنى ما أخذت ، وتبقى هى حية قوية بما أخذت .

نعم عاشرت اللغة العربية لغات كثيرة جداً، وبادلتها وغالبتها . وقد كان يظن أن هذه

---

(١) ألقيت هذه الكلمة فى الجلسة العلنية التى عقدها المجمع فى ٨ من مايو ١٩٥٤ لاستقبال الأستاذين : محمد توفيق دياب وحامد عبد القادر ، بمناسبة تعيينهما عضوين عاملين بالمجمع .

المباشرة والمبادلة إنما كانت بعد ظهور الإسلام وبعد انسياح العرب فى الأقطار الأخرى ، ومن قبل ذلك كانت محصورة فى الصحراء تتردد بين وديانها وجبالها. ولكن القرآن شهد بغير هذا؛ فقد جاءت فيه ألفاظ كثيرة معربة سائغة منسجمة مع الأسلوب العربى المبين . وكانت هذه الألفاظ من كل الأمم المحيطة بالعرب من حبش ومصريين وروم وهند وفرس وغير ذلك. على أن هذه اللغة قد كسبت بمباشرة اللغات واستمرت لها الغلبة والانتصار فى كل ظروفها ، وما نالت من خير وما لقيت من جهد وضير .

نعم . بعد الإسلام كثر هذا الاختلاط وازداد ؛ ولكن العربية بقيت قوية ، آخذة معطية ، مادة مستمدة ، وكان ذلك من أقوى علامات الحياة فى هذه اللغة، ولكن هذه الظاهرة فى العربية أوجبت على دارسى اللغة العربية ألا يقفوا عند متنها، ولا ينحصروا فى قواميسها؛ بل لا بد أن يعرفوا ما عاشرته من اللغات وما تاجرت منها وبادلت .

وهذا المعنى قد فطن له طائفة من علماء النحو المتقدمين، فلم يقفوا عند درس اللغة العربية، بل توسعوا فيما حولهم ، لا لإحصاء المعرب والدخيل ، بل لمعرفة مزاج اللغة فى أخذ ما أخذت ، ونظامها فى هضم ما هضمت .

وأذكر عالما واحداً من المتقدمين الذين سبقوا إلى هذا النحو هو أبو حيان محمد بن يوسف الذى كان إمام النحو فى مصر فى القرن الثامن الهجرى ، وهو شارح كتب ابن مالك. نذكر من كتبه «زهر الملك فى نحو الترك» ، فهو عالم عربى كتب فى نحو اللغات الأخرى، ثم «نور الغبش فى لغة الحبش» ، و«منطق الخرس فى لسان الفرس » .

هذا إمام من الأئمة الذين سنوا لنا هذا الطريق فى دراسة العربية ، وأوجبوا علينا ألا نقف فى تصريفها واشتقاقها عند القواميس، والكتب الخاصة بقواعدها ، بل يجب أن نتوسع ، لا لخدمة هذه اللغات ، ولكن خدمة للغتنا الكريمة ، بل للغتنا الحية التى جاهدت وانتفعت بكل ما بادلت وكل ما نقلت . هذا الأسلوب من الدرس المقارن فى معرفة اللغات أصبح الآن واجبا وأصبحت وسائله متيسرة أكثر مما كانت، وأصبحت نتائجه أوثق من ذى قبل .

وإذا كان العلماء قد قاموا بهذا الواجب ، أو بدءوه . وإذا كان نحاة العرب قد سبقوا إلى هذه الدراسة المقارنة والفهم الشامل :

إذا كان ذلك قد سبق إليه المتقدمون ، فقد أصبح علينا أوجب أن نأخذ به .

والمجمع يستكثر من هذه الدراسات ودارسيها ، ويستزيد من هذه الدراسات والإفادة منها .

ولهذا نبتهج إذ نستقبل اليوم عالما لغويا بارعا، لم يقف علمه عند التوسع فى العربية ، بل جمع إلى معرفتها الإحاطة بكثير من اللغات التى

معرفتها خدمة للغة؛ فقد درس الآرامية والعبرية وهما من اللغات السامية ، واللغة الفارسية وهى من اللغات الآرية وكلها عاشرت العربية وبادلتها وأكثرت من مبادلتها .

ولهذا نبتهج إذ نستقبل الزميل الكريم اللغوى النابه الأستاذ حامد عبد القادر .

حامد عبد القادر عالم لغوى ظهر تفوقه مذ كان صبيا. وقد رأينا اليوم عالما بارعا فى الأدب كان سبيله فى الدراسة: أن تمرد على النظم، وأبى الخضوع لها ، وسار كما تأمره موهبته وسليقته لا كما تحده القوانين .

وسنرى الآن عبقريا آخر سار فى الحدود الواجبة ،وساير النظام اللازم ؛ ولكن العبقرية كانت هى الغالبة ، وهى المنتهية إلى ما يجب أن تكون عليه العبقرية من الظهور والنفع والإفادة من العلم .

تقدم إلى المكتب كما يتقدم نظراؤه من أبناء القرية لحفظ القرآن وهو دون العاشرة ، ولم يكتف بذلك ،بل قرأ القراءات أيضا ، وروى رواية حفص وورش وهو صبى لا لينتفع بها كما ينتفع غيره ؛ ولكن لإرواء موهبته اللغوية المحيطة التى تريد أن تتشبع من كل ما يحيط بها.

ثم قدم إلى مصر فاتصل بدار العلوم وتفوق فيها . ولو أنه من الأعراض أن يقال إنه الأول فقد كان كذلك .

فاختير ليرسل إلى أوربة لتكميل الدراسة .

وكان سبيل الذين يذهبون من دار العلوم أن يتعلموا ما يكمل لهم طريقة التعليم «البيداجوجيا» وعلم النفس ،فتعلم ما وجب عليه وما كلف به. ثم ظهر تفوقه هناك ، فاختير ليكون أستاذا للغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى جامعة لندن . هنا وجد الفرصة السانحة . فتقدم ودرس من اللغات ما وجد السبيل لدرسه ، فدرس العبرية والآرامية والفارسية . وهذه اللغات لا ترجع إلى أم واحدة أو أصل واحد ، بل ترجع إلى أصول متشعبة قد يكون الدرس الواحد منها مما يشغل ؛ ولكنه قد استطاع أن يدرس هذه اللغات على كثرتها .

عاد إلى مصر وظهرت آثاره القيمة فى كل ما درس فى أوربا . . . لا أذكر جميع مؤلفاته ، ولكنه كتب فى التربية وعلم النفس كتبا تعد مراجع وثيقة ، وأذكر ما كان من آثاره فى دراسات اللغات السامية والفارسية.

وقبل أن أذكر ذلك أقول إنه وصل الآن فى وظائفه إلى أن يكون مديراً عاما لشئون اللغة العربية فى وزارة المعارف ، وهو عبء عظيم وواجب ذو خطر ، ولا شك . وما أخطر أن يشعر العالم أنه مسئول عن التوجيه فى تعليم النشء لغته القومية ! وإنه واجب يحمل المرء على التفكير ليلا ونهاراً ،وخاليا ومجتمعا !

فإذا علمنا أن سائر البلاد العربية تحتذى حذو مصر فى تعليم اللغة العربية ،علمنا أى عبء على كاهل الأستاذ حامد ،وهو إن شاء الله موفق فى كل

ما يضطلع به منها . يقول فى بحثه فى اللغــات السامية إن اللغـة العربية أم هذه اللغات وإنهـا من العربية بمنزلة اللهجات ، ويجادل بقوة فى أبحاثه من خالف هذا الرأى أو خرج عليه ،ويرى أن اللغة العربية متعددة الوسائل إلى البيان ، وأنها ثرية فى أدوات المعنى كأدوات النفى والتأكيد والتأنيث ، مما لا يتوفر فى لغات أخرى سامية أو غير سامية .

ويجنح إلى الرأى القائل بأن أصول الكلمات فى اللغة العربية ثنائية لا ثلاثية ؛ وهذا رأى عليه بيانه وعليه تدليله . ولكن المشهور الآن أنّ اللغة العربية ثلاثية فى أصول كلماتها .

وهو يلاحظ فى الأدب العربى أنه بكاء على مفارقة الديار واستفزاز للرجعى إليها .

واقرأ هذا البيان من قوله : مرت بنفسى خاطرة ترددت أن أقولها لأنها خاطرة وليست برأى :

إن بكاء الديار والوقوف بالأطلال العربية فن من فنون الشعر . وإذا أردنا معرفة أصله لانكاد أن نتبينه .وإذا أردنا أن نعرف السبب فلا نجد إلا فروضا لبعض الرواة ليست مؤيدة ؛ حتى امرؤ القيس وهو أسبق هؤلاء الشعراء كان يقول :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن خزام

وسألهم عن ابن خزام فلا يعرفونه ولا يدلون على اسمه .

جال بخاطرى خاطر : ألا يمكن أن يكون هذا الفن التقليدى فى اللغة العربية يرجع أصله إلى لغة فيها بكاء الديار هو الحجر الأول والأساس الواضح فى تكوين أدبها .

هذه خاطرة إن أكن فيها مصيبا فقد أوحى إلىّ بها كلام الأستاذ حامد ، وإن أكن مخطئا فإنما يكون بسبب تعجلى فى الاستنتاج .

أما عمل الأستاذ فى اللغة الفارسية فإنه ــ كما يظهر من عمله ــ قد أغرم بالأدب الفارسى غراما عظيما وقد استغرق فيه وعاش معه طويلا .

وقد أقلقه ألا يرى الناس فى العربية ما فى الأدب الفارسى من معان جديدة مستحدثة ، فبذل جهده ليترجم كثيراً من هذا الأدب .

وله فى ذلك كتب منها كتاب يسمى (قطوف).

وقد أحسن الاختيار ، وأحسن ـ على ما أرى ـ الترجمة .

ثم كتب فى اللغة العربية كتابه «قصة الأدب الفارسى» ، وهو كتاب واسع مفصل للأدب الفارسى والحياة الفارسية ،وأرى أننا الآن قد وجب علينا أن نتعرف إلى كل اللغات الشرقية وآدابها ،وأن نعرف الناس بها ،ونيسر لهم سبيل الاهتمام بها لننقلها إلى اللغة العربية .

فقد اشتد اتصالنا بالأمم الشرقية واشتد اتصالهم بنا ،وبدت حاجتنا إلى التعارف والتعاون، وأصبح هذا التعاون من رسوم السياسة القومية، ولا سبيل إليه إلا أن تعرف هذه الرسومات

وأن تعرف ما لها من آداب . فهو السبيل لربط النفوس والاتصال الصالح بهذه الأمم . فقد بادر الأستاذ لسد خلة كبيرة فى تاريخ اللغة العربية ، إذ فصل القول فى تاريخ اللغة الفارسية وآدابها ، وقد ضرب مثلا لغيره من العلماء الذين أعطوا حظا من اللغات الشرقية أن يسدوا لنا هذه الحاجة فى سائر اللغات الشرقية . أقول ذلك لأننا نحس الحاجة إلى ذلك .

فإذا سمعنا عن أمة شرقية ، وجب أن نعرف لغتها وتفكيرها ، وإلا كان اتصالنا على غير أساس وبغير نية ، ومن دون تفكير عميق .

منهج الأستاذ فى البحث منهج العالم المحقق الذى يعتمد على النصوص الأولى ، ثم يقدر لها قيمتها فيما يعتمد عليه منها .

قص تاريخ مزدك ، ثم قال بعدما بين هذه القصة : « وكل ما عرفناه عن هذا المذهب فقد نقله خصومه . فكان ذلك تقديرا جيداً لكل ما نقلنا من هذا المذهب » .

ثم بين سيرة « كسرى أنوشروان» الملك العادل ثم قال : « الذين لقبوه الملك العادل كانوا جميعا من رجال الدين ومؤرخوه ، وكان معروفا بسعة الصدر لهم وإسباغ العطاء عليهم . ذلك يفصل ما يروونه » .

أما أسلوبه فى الكتابة ، فمثل من الوضوح واتساق الحجة ، بلا تكلف ، وبعد عن الزينة والزخرف .

وقد عاب على الفارسية فيما كتب مبالغتها فى الحلى اللفظية ، وضاق بأن ينقل إلى العربية شيئا منها ، فكأنه تنزه عنها وأراد أن تكون كتابته آراء تتوالى وعقولا تتجلى ، وحقق لى قول الشاعر القديم :

وكنت متى أقرأ كتابك أعترف
بأن الحروف الماثلات عقول

رد الأستاذ حامد عبد القادر

على كلمة الأستاذ إبراهيم مصطفى

أيها السادة :

باسم اللغة العربية أحييكم وأقدر جميلكم ، فقد كرمتموها بشهود هـذا الحفل العظيم ، وأعربتم عن تقديركم لها بحضوركم اليوم فى هذا المكان ، الذى هو دار ندوتها ، وفى الذروة من معاقلها .

نعم ، إن رقاع الدعوة إلى هذا الحفل تشعر أن الغرض منه هو استقبال عضوين جديدين من أعضاء مجمع اللغة العربية ، ولكن هـذا الغرض ينطوى على معان أسمى وأغراض أنبل .

فإن المجمع لم ينظم هـذا الحفل للاحتفاء بهذين العضوين لشخصيهما ، بل لأنهما جنديان جديدان جندهما أعضاء المجمع الأفاضل لخدمة اللغة العربية فى ميدان جديد شريف ، وللإسهام معهم فى تحقيق أغراضهم النبيلة السامية .

وإنكم - أيها السادة - لم تكلفوا أنفسكم مشقة الحضور فى هذا المكان ، لتشاركوا أعضاء المجمع فى الاحتفاء بهذين العضوين فحسب ؛ بل إن لحضوركم غرضا أفضل من هذا الغرض الشخصى : ذلكم هو — كما أحسب — تشجيعكم هـذين العضوين على المضى فى سبيل من سبقهما إلى خدمة اللغة العربية ، وعلى التعاون مع السادة أعضاء المجمع فى متابعة هـذه الخدمة فى جد ونشاط وصفاء ووفاء .

ولقد تحدث الزميل الفاضل الأستاذ محمد توفيق دياب عن الراحل الكريم الأستاذ فارس نمر ، فأمتعنا بأسلوبه الرائع وبيانه الساحر .

أما السيد عيسى إسكندر المعلوف فقد كان من الرعيل الأول ، والسابقين الأولين الذين اشتركوا فى إرساء الحجر الأساسى لهذه المؤسسة اللغوية العلمية العظيمة ، وتنافسوا فى بنائها صادقين ، وجاهدوا فى سبيلها جادين مشكورين.

نشأ المعلوف منذ صباه محبا للعلم ، مجدا فى طلبه ، مكبا على البحث والدرس ، مولعا بنشر معارفه ، حريصا على أن ينفع مواطنيه بعلمه ، بتعليم النشء ، وتربيتهم على أسس قويمة سليمة ، ونشر المقالات الضافية فى أمهـات الصحف والمجلات ، وتأليف الكتب القيمة فى الأدب والتاريخ واللغة وسائر العلوم والفنون .

ولقد سطر بيده الكريمة تاريخ حياته المجيدة ، فقال : إنه نشأ فى كفرعقاب : إحدى قرى لبنان ، وتلقى بمدرستها العلوم الابتدائية ، ثم تلقى العلوم الثانوية والعالية بإحدى مدارس البعثة الإنجليزية بلبنان .

وأسرة المعلوف من الأسر اللبنانية العريقة فى المجد ، المعروفة بنبوغها فى اللغة والأدب فى الشرق العربى وفى أمريقا ، فلا غرو أن يحذو الفتى الناشئ عيسى حذو السلف والخلف من أفراد أسرته الكريمة ، فيعكف منذ حداثته على التعلم ، ويشغف منذ صباه بإفادة مواطنيه بعمله وأدبه بشتى الوسائل .

مارس فن التدريس وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، وأخذ وهو فى العشرين يحرر المقالات النافعة فى جريدة « لبنان » ، ولم يلبث بعد أن تجاوز الأربعين أن أنشأ مجلة شهرية باسم « الآثار » .

وفى سنة ١٩٢٠ من التاريخ الميلادى اشترك فى أعمال المجمع العلمى العربى بلبنان ، وألقى فى ردهته المحاضرات على الرجال والنساء .

وسرعان ما نبه شأنه واتسعت آفاق علمه وأدبه ، فاستدعى لإلقاء المحاضرات فى التاريخ والآداب والاجتماع فى دمشق وحلب وحمص ، وفى الكلية الشرقية بزحلة . وقد نشر مقالات ضافية فى نحو أربعين من المجلات التى تصدر بالعربية فى الشرق وفى المهاجر ، فى مقدمتها مجلات : المقتطف ، والهلال ، والشرق ، والمقتبس ، ومجلة مجمع دمشق العلمى ، ومجلة المجمع اللغوى المصرى .

ومما يدل على قيمة هذه المقالات أن كثيرا منها ترجم إلى التركية ، والروسية ، والفرنسية ، والإنجليزية ، والألمانية ، والرومانية ، والإيطالية .

وقد عنى هذا الأديب النابه بتأليف كتب ورسائل فى اللغة العربية وآدابها ، وفى التاريخ والتربية ، طبع بعضها ولم يطبع معظمها .

فمن مؤلفاته القيمة المطبوعة : دوانى القطوف ، وتاريخ زحلة ، وتاريخ الطب عند القدماء ، وتاريخ الطب عند العرب ، والأم والمدرسة ، ومعارضة « ياليل الصب متى غده » .

ومن أشهر مؤلفاته المخطوطة التى تقرب من أربعين مؤلفا : تاريخ الأسر الشرقية فى أربعة عشر مجلدا ، وشحذ القريحة فى الشعر والشاعر والفنون الشعرية ، وتحفة المكاتب للعرب والكاتب ، ومعجم الألفاظ العامية العربية ، والطرف الأدبية فى آداب اللغة العربية ، وتاريخ الزجل وفنونه ، وشعر الخلفاء والملوك والأمراء ، وتاريخ الموسيقى والغناء ، وتاريخ إبراهيم المصرى ، وتاريخ الدولة العثمانية ، والتذكرة المعلوفية فى عشرة مجلدات ، جمع فيها — على حد قوله — شوارد ونوادر ، معظمها لم يطرقه باحث .

وقد حرص المعلوف على اقتناء نفائس الكتب ، وجمع النادر من المخطوطات التى دونها مؤلفوها بأيديهم ، أو قرئت عليهم . وأنشأ منها خزانة تشتمل على نحو ألفى مخطوطة ، منها : الجزآن الرابع عشر والخامس عشر من تذكرة الصلاح بن أيبك ، وعدة دواوين شعرية

مفقودة ، كديوان ابن الجزار المصرى ، وديوان الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وديوان أبى الأسود الدؤلى ، ومجموعة رسائل تتضمن رسائل أبى العلاء المعرى مما نشره مرغليوث الإنجليزى ، وشرح المعلقات لابن الأنبارى ، وتاريخ العصامى من شرفاء مكة ، وتاريخ القرمانى ، وتاريخ القطر المصرى لخليل الخورى وهو مكتوب بخط المؤلف ، ومجموعات فى الفقه والفلك والرياضة والموسيقى ، وفن الحيل الآلية كجر الأثقال ، وصنع الساعات وآلات الزمر .

ولم يكتف بجمع هذه الكتب ، بل إنه قرأها ، وضبط بعضها وكتب عليها تعليقات واستدراكات .

ولقد جعلته مواهبه الفطرية ، ومقدرته العلمية ، وشهرته الأدبية أهلا لأن يختار عن جدارة وكفاية عضوا فى المجامع العلمية والأدبية واللغوية ، فقد انتخب عضوا مؤسسا فى المجمع العلمى العربى بلبنان ، وعضواً فى مجمع التاريخ والأدب بالبرازيل ، وعضواً عاملا فى مجمع اللغة العربية فى مصر ، حاطها الله بعنايته ، وحفظها برعايته .

وسيرة هذا الأديب الفاضل ــ فى مجمعنا هذا الخالد بعون الله ومشيئته ــ سيرة حميدة حافلة بالمفاخر .

ذلك أنه فى سنة ١٣٥١ من التاريخ الهجرى قرر أولو الأمر فى مصر أن ينشئوا مجمعا للغة العربية يعهد إليه بالمحافظة على سلامتها ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون الحديثة ، ملائمة لحاجة الحياة فى هذا العصر ، وبالنظر فى قواعد اللغة العربية، ليتخير ـ إذا دعت الضرورة ـ من آراء أئمتها ما يوسع دائرة أقيستها ، حتى تكون أداة سهلة للتعبير عن المقاصد العلمية وغير العلمية . كما قرروا أن يكون أعضاء المجمع العاملون من الصفوة المختارة من العلماء البارزين المتفقهين فى اللغة العربية ، المحيطين بفنونها وأساليبها وآدابها فى مصر والأقطار الشقيقة وأوربة .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء الموافق الثلاثين من يناير سنة ١٩٣٤ من التاريخ الميلادى عقد المجمع أولى جلساته . وكان أديبنا الفاضل ممن شهدوا هذه الجلسة من أعضاء المجمع الذين كانوا إذ ذاك عشرين عضوا .

وظل الأديب عيسى يواظب على شهود الجلسات التالية ، ويشترك فى البحث والدرس والنقاش والجدال ، ويقدم المقترحات القيمة ، ويدلى بآرائه الناضجة فى شتى الموضوعات التى كانت تطرح على بساط البحث ، ويتناولها الأعضاء بالتمحيص والتحقيق .

واستمر يواصل جهوده الموفقة فى خدمة لغتنا العزيزة ، يحضر الجلسات فيسأل ويعترض ويقترح ويناقش ، ويدافع عن بعض الألفاظ دفاعا مجيداً ، ويعرض عن بعضها إعراضا شديدا .

وبدأ المجمع النظر فى الألفاظ التى تستعمل فى مطالب الحياة العامة ، أو فى العلوم والفنون

المختلفة ، لإقرار ما هو سائغ صحيح منها ، وإبعاد ما هو مستهجن غير صحيح ، ووضع مصطلحات جديدة مترجمة عن اللغات الأجنبية أو غير مترجمة . فحينئذ تجلت عبقرية سيادته اللغوية ، وتبين مدى إلمامه باللغة الفارسية ، وبالألفاظ المعربة عنها .

هذه ـ أيها السادة ـ صفحة خالدة من تاريخ عيسى اسكندر المعلوف ، ذلكم العالم المناضل الذى أحب الناس فأحبوه ، وبذل جهوداً صادقة فى نفعهم فأجلوه ، وقدرته الحكومات العربية حق قدره ، فخلت صدره بأوسمة الشرف والجدارة ؛ فقد حظى بنوط الجدارة من مجمعنا هذا الموقر ، وبوسام الاستحقاق من حكومة لبنان ، وبوسام الاستحقاق أيضا من حكومة دمشق .

ولما اعتلت صحته رأى المجمع إعفاءه من حضور جلساته ، فصدر فى الثالث من أبريل سنة ١٩٥٢ م مرسوم بمنح سيادته لقب عضو فخرى وإعفائه من أعمال الأعضاء العاملين .

يقول فى نهاية المذكرة التى كتبها بيده فى تاريخ حياته :

« ولا أزال أدوّن وأبحث ، بحسب ما تسمح به صحتى المتحرقة ، والماء الأزرق (لكترا كت) فى عينى ، خادما للغة وفروعها والآداب ، مع بحوث فى شعراء الإفرنج ، والشرق العربى إلى غير ذلك . فلعلى قمت بعض الواجب علىّ من تأليف ونقل . والله يتولى عملى بعنايته العلوية ، ويمنه وكرمه » .

كلا ، أيها السيد الجليل . إنك لم تقم ببعض الواجب عليك فحسب ، بل إنك قمت بالواجب كله ، وأربيت عليه . فجزاك الله عن اللغة والأدب والعلم أحسن الجزاء

أما أنتم أيها السادة الفضلاء : رئيس المجمع فيلسوف العصر ، وكاتب سره الأمين ، وأعضاءه : أئمة اللغة وجهابذة العلم وأمراء البيان ؛ فإنى أرفع إليكم أطيب الشكر وأجزله على تشريفكم إياى باختيارى عضوا عاملا فى مجمعكم العظيم ، وعلى إقامة هذا الحفل الكريم جريا على عادتكم النبيلة ، وسنتكم المحمودة فى الاحتفاء بالجدد من أعضاء هذا المجمع الخالد الذكر . وإنها لمكرمة بالغة الأثر أذكرها فلا أنساها ، ومنة خالدة الذكر أشكرها ولا أنكرها

والحق أنى مهما أرتل من آيات الشكر على هذه المنة ، ومهما أنظم من قلائد الاعتراف بتلكم المكرمة فلست بمستطيع أن آتى بما يجب علىّ نحوكم :

إذ كلما أنتهى من شكر مكرمة
وجدتها نعمة تفضى إلى نعم
وهمتى كلما همت لتشكركم
حارت ، ولم تلق ما ترضى من الكلم
ولو جرى قلمى يبغى مديحكم
جف المداد ولم ينصفكم قلمى

وقد عهدت بيانى قبلُ يسعفنى
ما باله اليوم فى ضعف وفى سقم ؟

وكان دأب لسانى أن يطاوعنى
فما له ظل فى صمت وفى صمم؟

بيد أن العجز عن ترتيل آيات الشكر باللسان ، والقصور فى التعبير عن معانى الثناء بأساليب البيان ، لايجمل معه الجحود ولا يحسن النكران . لذا كان لزاما على أن ألتمس وسيلة أخرى لشكركم ، وأن أبحث عن طريق آخر للثناء عليكم . وقد تلمست الوسائل وبحثت عن الطرق فلم أجد وسيلة أفضل من الشكر بالجنان ، فإن الجنان يقدر على ما يعجز عنه اللسان . ولم أجد طريقا للاعتراف بفضلكم خيراً من طريق العمل والتعاون معكم ، فإن شكران النعمة بطيب الأعمال أبلغ أثراً من شكرانها بالأقوال ؛ إذ أن الأعمال الصالحة تبقى وتنفع ، أما الأقوال فتفنى وقد لا تنفع .

وإننا إلى عاملين يفعلون مايقولون ؛ أحوج منا إلى قوالين يقولون ولا يفعلون .

فهأنذا أتوجه بجنانى إلى العلى القدير أن يجزيكم عنى أحسن الجزاء ، وأعدكم وعداً صدقا ألا أدخر وسعا فى التعاون معكم على تحقيق أغراضكم السامية التى أنشئ هذا المجمع العظيم لتحقيقها .

ويجدر بى وأنا فى موقف المعترف بالجميل أن أشير إشارة عابرة — ولكنها عامرة — إلى فضل السيد الجليل مستقبلى العظيم الأستاذ إبراهيم مصطفى .

والحديث عن إبراهيم مصطفى يطول ، ولكنه مهما يطل فهو قصير . فأنتم تعرفونه، وتعرفون ما يتصف به من خلال حميدة ، وما له من مآثر مبتكرة سديدة . ويطيب لى بل يسعدنى ويشرفنى أن أذكر أنى قد عرفته عن خبرة واتصلت به عن كثب، فما رأيته إلا شهما نبيلا ، وعالما جليلا ، صادق الحس ، سريع الخاطر ، بعيد النظر ، جم التواضع ، غزير المعرفة ، محبا للاطلاع . إذا تحدث أمتع ، وإذا كتب أبدع ، وإذا ساجل أقنع ، وإذا تولى الإدارة أشفى على الغاية فى ابتكار الأساليب الصالحة ، ووضع النظم الناقعة . تولى عمادة دار العلوم الحديثة فأكمل نظمها الجامعية ، وكان ثانى اثنين فى إقامة صرحها الشامخ ، وبناء عزها الباذخ .

أما أولهما فهو أستاذنا الجليل السيد الفاضل زكى المهندس ، الذى كان أول عميد لدار العلوم فى عهدها الجامعى . أمدهما الله وأمد خلفهما الصالح ، وأمدكم جميعا بروح من عنده ، وأيدكم بعنايته وتوفيقه لتحيوا مجد العربية ، وتعيدوا سيرة أئمتها السابقين .

غير أنه يجدر بى — وقد درست بعض اللغات الأخرى من سامية وغير سامية — أن أقول ، وأنا جد واثق مما أقول : إنه إذا عدت اللغات الحية ، وجب أن تكون العربية فى الصف الأول منها ؛ إن لم تكن فى مقدمتها .

فقد أدركت أن منزلتها من اللغات السامية الأخرى كمنزلة الأصل من فروعه . ذلك لأنها تفضلها كما تفضل كثيرا من اللغات الحية بمزايا عظيمة :

منها : دقتها فى التعبير، فهى تفرق بين المذكر والمؤنث ، وبين المفرد والمثنى والجمع فى الأسماء والصفات والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ، وتصريف الأفعال .

ومنها : كثرة صيغ الأفعال المزيدة فيها كثرة لا نظير لها فى غيرها من اللغات السامية الأخرى .

ومنها : كثرة المشتقات التى تشمل بجانب الماضى والمضارع والأمر المباشر وغير المباشر اسمى الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، وأسماء الآلة ، واسمى الزمان والمكان والمصدر الميمى .

ومنها : اشتمالها على جميع صيغ المفعول به المستعملة فى اللغات السامية الأخرى وهى صيغة فعيل كقتيل المستعملة فى الآرامية والسريانية ، وصيغة فعول كركوب المستعملة فى العربية ، وصيغة مفعل كمأكل المستعملة فى العربية وغيرها .

هذا مع انفرادها بصيغة مفعول .

ويعن لى فى هذا المقام أن أذكر أن صيغة مفعول هذه هى فى أصل وضعها - كغيرها من المشتقات المبدوءة بالميم - صيغة مركبة من كلمتين : الأولى ما والثانية فعول وهى صيغة المفعول به الكثيرة الاستعمال فى العبرية . فمأكول مثلا أصلها ما أكول : أى الذى أكل ، ومقتول أصلها من قتول أو نحوه ، أى الذى قتل . وعلى مر الزمن اتحدت الكلمتان وصارتا كلمة واحدة تطبيقا لقاعدة الاقتصاد فى النطق .

واندماج الكلمات بعضها فى بعض ظاهرة بارزة من الظواهر اللغوية ، ومن أمثلتها فى العربية ما ذكرت ، ومنها الفعل « ليس » فأصله « لا يش » بالعبرية . وهما كلمتان لا تزالان تستعملان فى العبرية معناهما لا يوجد . وعلى مر الزمن صارتا كلمة واحدة .

وكذلك أيش فإن أصلها أى شىء . ونحن نقول فى لغتنا العامية : مافيش ، أى مافيه شىء .

ومن مميزات العربية كثرة أصولها أو موادها كما لا يخفى ، وصلاحيتها لأن يشتق منها مالا يحصى من المشتقات ، ولأن تنمى بزيادة مصطلحات جديدة ، كما أن لغتنا الحديثة قابلة للتنمية إما بإحياء ألفاظ قديمة ؛ كما قال المرحوم حفنى ناصف عن المرحوم الشيخ حمزة فتح الله :

وقال هات المسمى وهو مجتلب
وخذ من اللغة اسما غير مجلوب

وإما بالتعريب وهو فن أجاده القدماء وأخضعوه لقواعد معينة ، وأمكن به نقل كثير من الألفاظ الفارسية إلى العربية بعد صقلها بالصيقل العربى .

إذا كانت هذه اللغة قد فسحت صدرها قديما ، ومدت يدها لتقبل الألفاظ المهاجرة إليها ، بعد أقلمتها - إذا صح هذا التعبير - فليس من المقبول ولا من المعقول أن نضيق ذرعا بالكلمات المهاجرات إلينا فى هذا العصر الذى تسع فيه نطاق الثقافات ، واختلطت فيه الأمم

وامتزجت العلوم والمعارف بعضها ببعض امتزاجا لا ينبغى معه أن تقف لغتنا المرنة الرحبة الصدر جامدة الأيدى .

إن اللغة كائن حى ، ينمو ويتطور كما تنمو مظاهر الحياة وتتطور ، فإذا شئتم أن تبقوا على حياة لغتنا ، وأن تعملوا على تنميتها وتنمية ثقافتنا القومية معها ، فأمامكم الأبواب مفتحة والسبل ممهدة . ومعاذ الله أن تقفوا بها فتضعف ، وتضعف معها ثقافتنا .

لا تحجموا — أيها السادة — عن التعريب ؛ فإن الكلمة بعد أن تعرب تصير ملكا للعربية ، وجزءا من كيانها ، كما هو متبع فى اللغات الحية الأخرى ، وكما حدث فى لغتنا إبان نهضتها .

ولكنى مع ذلك أنصح لكم ألا تسرفوا فى التعريب ، وألا تسارعوا إليه قبل الرجوع إلى تراثنا اللغوى القديم وعلومنا العربية الدفينة ؛ لتستخرجوا من كنوزها من المصطلحات ما يصح استعماله فى التعبير عن المعانى المستحدثة وإطلاقه على المسميات الجديدة .

وإنه لعمل ضخم يجب أن يفرغ له عدد كبير من الباحثين . ولعمرى إنه لمن أهم واجبات هذا المجمع ومن بين أعضائه الفضلاء من العلماء والأطباء ورجال اللغة وأمراء البيان وأئمة الفقة والقانون .

لست أريد بهذا أن أنكر فضل مجمعنا العظيم ، ولا أن أغض من قيمة جهوده الموفقة التى بذلها فى هذه السبيل . بل أريد أن أقول إن مجال البحث لا يزال واسعا فسيحا ، وإن بحر اللغة لا يزال فياضا عميقا ، وإن أبواب البحث مفتحة ، وإن سبله ميسرة . فلنواصل ولوج هذه الأبواب ، ولنحاول اقتحام ما يتعرض لنا من صعاب .

أما أنا ؛ فإنى أجدد العهد ، مستلهما من الله الرشد ، وأضع جهودى المتواضعة بين أيديكم أبذلها فى التعاون على تحقيق أغراضكم فى حدود استطاعتى وما تسمح به ظروفى .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

الزميل الجديد الأستاذ توفيق الحكيم (١)

للأستاذ الدكتور طه حسين عضو المجمع

سيدى الزميل الجديد :

خطر لى أن أصطنع فى استقبالك مذهب الجاحظ حين عرض لأحمد بن عبد الوهاب فقال فى أول « التربيع والتدوير » : « إن أحمد بن عبد الوهاب كان مفرط القصر وكان يزعم مع ذلك أنه مفرط الطول . وكان مربعا . وكان يزعم مع ذلك أنه مدور . وكان كبير السن متقادم الميلاد . وكان يزعم مع ذلك أنه حديث السن والميلاد » . فما أظن أن مذهبا من المذاهب يليق باستقبالك إلا مذهب الجاحظ هذا ، لأنك خلقت من نفسك شخصية لا يمكن أن تؤدى إلا على هذا النحو . فأنت تتكلف من الخصال ما ليس فيك : أنت جواد وتزعم أنك بخيل . وأنت ماهر ماكر ، ومداور مناور ، وتزعم مع ذلك أنك ساذج لا تفرق بين ما ينفع وما يضر . وأنت صاحب جد فى حياتك وصاحب جد منتج ؛ وقد ألقيت فى روع الناس أنك لا تحسن إلا العبث والدعابة .

وكذلك صورت نفسك للناس بصورة ليس بينها وبين الحق من أمرك صلة ؛ فخير أسلوب يمكن أن يتبع فى تقديمك إلى المجمع هو هذا الأسلوب الذى قدم به الجاحظ خصمه أحمد ابن عبد الوهاب . ولكنك لست خصمى فلأصطنع شيئا من الجد الذى يليق بهذا المجمع ولأتحدث عنك كما تعودت أن أتحدث عمن سبقك من الزملاء إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

فلست أدرى كيف يكون الحديث عنك من غير دعابة أو فكاهة . ولك علىّ دين ثقيل لا أدرى كيف أؤديه ، ولكنى أرجو ألا تبتهج ولا تفرح فليس هذا الدين مالا ولا هو شئ يشبه المال ، وإنما هو دين معنوى .

فقد شرفت بتقديمك إلى جمهور القراء حين ظهر أول كتاب لك . وأنا أشرف الآن بفضل الزملاء باستقبالك فى هذا المجمع . فهذا الشرف المضاعف هو هذا الدين الذى لا أدرى كيف أؤديه إليك . وما أرى إلا أنك قد أحسست شيئا عظيما من خيبة الأمل لأنه دين لا يجدى ولا يغنى ولا يفيد .

ولست أدرى : أأشكوك إلى المجمع أم أشكوك إلى نفسك . فالأصل أن الذين يقدمون الأعضاء الجدد إلى المجمع يستقصون من أمرهم

---

(١) ألقيت هذه الكلمة فى الجلسة العلنية التى عقدها المجمع فى ١٧ مايو ١٩٥٤ لاستقبال الأستاذ حسين توفيق الحكيم بمناسبة تعيينه عضوا عاملا فى المجمع .

ومن حياتهم ما يستطيعون . وقد حاولت أن أسلك معك السبيل التى سلكتها مع غيرك من الأعضاء ، فسألتك واعتمدت عليك فى أن تجيبنى بالحق ؛ بل أخذتك بالعنف وأخذتك بأن تقسم اليمين البرة ، التى لا حنث فيها ، على أن تقول الحق ، ولا شىء غير الحق ، كما تعودت أن تستنطق الشهود حين كنت عضوا فى النيابة العامة . وقد أقسمت اليمين أن تقول الحق ولاشىء غير الحق؛ ولكنك خرجت من يمينك هذه دون أن تقول شيئا . لم أستطع أن أعرف بالضبط السنة التى ولدت فيها ؛ فلم أكد ألقى عليك سؤالا عن مولدك حتى سألتنى : أتريد مولدى بالضبط أم تريد المولد الذى تسجله شهادة الميلاد . ولم أستطع أن أعرف منك تاريخ مولدك بالضبط . وإنما عرفت تاريخ شهادة الميلاد . وتاريخ شهادة الميلاد بالقياس إليك لا يدل على شىء .فالشىء الذى ليس فيه شك ؛ هو أنك قد تجاوزت سن الشباب سواء أردت ذلك أم لم ترد . وقد أصبحت شيخا . وقد حقت عليك كلمة أبى العلاء :

وما بعد مر الخمس عشرة من صبا
ولا بعد مر الأربعين صباء

فأنت قد جاوزت الأربعين وما أشك فى أنك قد تجاوزت الخمسين أيضا . وقد أعملت الحساب فعرفت منك أنك لم تدخل المدرسة الابتدائية إلا بعد أن جاوزت العاشرة . ومن اليسير أن نحسب المدة التى مكثتها فى المدرسة الابتدائية والثانوية وفى كلية الحقوق ، لنعرف أنك تخرجت فى كلية الحقوق حين بلغت الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين. وكنت فى أوربا نحو سنة خمس وعشرين وتسعمائة أى منذ نحو ثلاثين عاما . وإذن فقد جاوزت الخمسين ياسيدى الصديق ، وليس لك أن تتخلص من هذا ولا أن تتنصل ، فلاتتصاب ولاتعد نفسك شابا ولاتعد نفسك قريبا من الشباب . واعترف بما ليس من الاعتراف به بد ، وهو : أنك قد نضجت كل النضج لتدخل هذا المجمع وتصبح شيخا من شيوخه .

والشىء الذى فيه شك هو أن بين زملائك من هو أحدث منك سنا ، وأقرب منك بالشباب عهدا . ولم أستطع أن أعرف منك : كيف كنت فى مدرستك الابتدائية والثانوية : أكنت تلميذا نابها ؟ أ كنت مقبلا على العمل بارعا فيه ؟ أم كنت كصديقنا وزميلنا توفيق دياب كسلا تؤثر اللعب على الجد ؟ ولكن الشىء الذى ألمحه حين أقرأ بعض كتبك : أن حب الصبا وغرام الفتيان قد شغلك ساعة ما ، أو وقتا ما عن الدرس حتى أضعت أو كدت تضيع على نفسك سنة فى التعليم الثانوى ، ومع ذلك فقد نجحت فى الشهادة الثانوية نجاحا لا بأس به . لم تكن فى العشرة الأولى من الناجحين، ولكنك كنت فى المائة الأولى من الناجحين . ولم تكن طالبا نموذجيا فى كلية الحقوق . وأحسبك قد لجلجت حين أردت أن أعرف منك ترتيبك حين

تخرجت فى هذه الكلية ؛ فقد تخرجت كما استطعت أن تتخرج . والحمد لله على أنك ظفرت بهذه الإجازة ، فأمنت لوم والدك الكريم (رحمه الله) ولوم من كان أقسى من والدك الكريم (أطال الله بقاءه) .

والمدهش أنك بعد أن تخرجت فى كلية الحقوق ، وأريد لك أن تكون محاميا لم تفلح فى المحاماة ولم تفلح فى المحاماة لأنك شغلت بشىء آخر غير المحاماة ؛ بشىء كنا أيام شبابنا نكره أن نشغل به غير جد الأمر ، وكنا نعبث حين يتاح لنا الفراغ الذى يجوز لنا فيه العبث. شغلت بتمثيل عكاشة وأصحابه عن المحاماة وجدها ، وعن الحياة وجدها أيضا ؛ حتى يئس منك أبوك أو كاد ييأس ، وحتى ذهب الناصحون إليه يغرونه ويريدونه على أن يبعدك عن مصر لتبعد عن هذه البيئة التى كانوا يظنون أنك لم تخلق لها وأنها لم تكن تصلح لك . وأبعدك أبوك إلى باريس لتتقن فيها دراسة القانون ولتعود فتسلك طريقك فى القضاء .

ولست أدرى أآسف أعمق الأسف أم أرضى أعمق الرضا : لأنك حين ذهبت إلى باريس لم تفلح فى القانون ، كما أنك لم تفلح فيه حين كنت طالبا فى كلية الحقوق .

تزعم أنك درست وأطلت الدرس ؛ ولكن الشىء المحقق هو أنك عدت من باريس دون أن تحمل منها شهادة الدكتوراه أو شيئا يشبه شهادة الدكتوراه فى القانون . لست أدرى : لماذا كلفت فى هذا العام أن أستقبل زميلين لا يحسن أن يعرضا على أنهما من المثل التى ينبغى أن تعرض للشباب أثناء طلب العلم ؟ !

عدت من باريس لا تحمل شهادة كما عاد توفيق دياب من « لندن » لا يحمل شهادة ؛ ذلك لأنك عنيت بالقانون — فيما تقول — وقد استشهدت ببعض زملائك هناك . وأريد أن أصدق الشهادة ، ولكنك عنيت بشىء آخر غير القانون أكثر مما عنيت بما أرسلك والدك من أجله : عنيت بتلك البيئات التى ترتفع عن بيئة التمثيل فى مصر فى تلك الأيام ، ولكنها بيئة تمثيل ، وبيئة فن ، وبيئة هذه الحياة الفرنسية اللاعبة الجادة ، الحلوة المرة ، المضيعة للوقت التى تفيد بتضييعها للوقت أكثر مما تضر .

كنت مختلفا إلى الحى اللاتينى . وكنت كثير التردد على البوريفاج . وكنت تغشى دور التمثيل وملاعب الموسيقى وأشياء أخرى قد يحسن أن أمر بها مرا سريعا ، وعدت وقد نشأت لك شخصية جديدة ليست شخصية رجل القانون ولا شخصية صاحب الجد كما ألف الناس الجد فى بيئاتنا ، ولكنها شخصية الرجل الذى يحب الفن ويألفه ، والذى يطغى الفن على حياته طغيانا كاملا ، والذى يسخره الفن لخدمته ، ويسخره لخدمته حتى لا يترك منه شيئا يصلح لغير الفن . ومع ذلك فقد عدت ولم تجد بدا من أن تشتغل بالقانون .

فرض عليك أن تكون موظفا ، وفرض عليك أن تكون موظفا فى النيابة وأن تمارس عمل القانون . وقد صورت لنا فى غير كتاب من كتبك أنك كنت عضواً من أعضاء النيابة تؤدى واجبك كما كنت تؤديه طالبا فى مصر ، وكما كنت تؤديه طالبا فى باريس ، معرضا عنه فى أكثر الأحيان ، مهملا له على غير حب منك ولا رضا ، مشغولا بشىء آخر غير هذا الواجب. وأخشى أن أقول : إن حياتك فى كل المناصب التى شغلتها منذ شغلت مناصب الحكومة إلى الآن كانت على هذا النحو : تؤدى واجبك فيها لتخلص من أداء هذا الواجب ولتعفى من التقصير ، ولكنك تمنحها أيسر ما عندك وتحتفظ بخير ما عندك لهذا الفن الذى استأثر بك منذ كنت طالبا ومنذ شغلك عكاشة وأصحاب عكاشة ، ثم رأيت نفسك تحاول الكتابة . وأحسبك حاولت الكتابة قبل أن تذهب إلى باريس . فقد عرفت أنك قدمت رواية إلى المسرح : مسرح عكاشة ولكنها لم تمثل . أخفقت فى أول رواية قدمتها إلى المسرح . ولكن هذا الإخفاق لم يشغلك عن التمثيل ولا عن الفن ، بل زادك إقبالا عليهما وإمعانا فى العناية بهما . وأظن أنك شغلت بالفن ، وبالكتابة والإنتاج حين كنت طالبا لاعبا فى باريس ؛ فبين آثارك التى قرأناها ورضينا عنها وأعجبنا بها أشياء ما أشك فى أنها قد كتبت هناك .

رجعت من باريس إذن لا تحمل شهادة ، ولكنك تحمل شيئا خيرا من الشهادة : تحمل بعض هذه الكتب التى عرفناها فيما بعد . ثم عرفك الناس حين ظهر كتابك الأول : « أهل الكهف » ، وهى هذه القصة التمثيلية الرائعة التى عرضت فيها ـ لأول مرة فى التمثيل العربى ـ لمشكلة خطيرة ولمسألة جديرة بالعناية وهى مسألة الزمن . والزمن بالقياس إلى وطنك هذا : مصر .

لأول مرة إذن ظهر بيننا كاتب يحاول أن ينشىء فن التمثيل باللغة العربيـة لا يترجم ولا يقلد فيه ولا يتكلف فيه ماكان يتكلف الكتاب الذين كانوا يحاولون أن ينتجوا فى التمثيل ، وإنما يقبل عليه كأنما خلق له منذ خلق ، ويتصرف فيه كأنما خلق ليتصرف فيه ، وليكون كاتبا ممثلا لا يظهر التكلف فى حرف من حروف هذه القصة ، ولا يظهر التعب ولا الجد ولا الكد فى شىء من هذه القصة ، وإنما هى تأتى يسيرة سهلة كأنما أوحيت إليك أو كأنما ألهمتها إلهاما ، وكأنما أرغمت على أن تكتب فكتبت ، وكأنما كنت أداة تتلقى وتنتج وتؤدى ما تتلقى فتحسن الأداء ، وكأن معنى هذا كله أنك كنت كاتبا ممثلا مطبوعا . فقصة أهل الكهف هذه التى نقرؤها فلا نكاد نمضى فيها حتى يأخذنا الإعجاب ، ثم يأخذنا الإمتاع ، ثم نشغل بها عن غيرها ، ثم نشغل بها عن كاتبها ، ثم لا نشغل بها عن غير كاتبها بشىء غيرها حتى نفرغ منها .

هذه القصة التمثيلية إن دلت على شىء إنما تدل على أن الله إنما خلقك لتدخل فن التمثيل فى اللغة العربية ، ولتجعله فنا أصيلا من

فنونها الأدبية بعد أن كان فنا طارئا عليها ؛ ينقل إليها من الغرب ، أو يتكلف فيها تكلفا قوامه محاكاة التمثيل الغربى . فأنت قد أصلت هذا الفن فى اللغة العربية ، وليس هذا بالشىء القليل . وحسبك بهذا عاذرا لك من كل أغلاطك فى المدارس ، وفى كليات الحقوق : فى مصر ، وفى باريس .

كنت طالبا لاعبا ولكنك على غير إرادة منك كنت كاتبا جادا . لم تكن تتكلف هذا الجد وإنما كنت تدفع إليه دفعـــا بقوة ما أظنك عرفتها أو حققتها إلى الآن . وأخص ما تمتاز به أيها الزميل الجديد هو أنك فى فنك مسير لامخير ؛ فأنت لا تختار وإنما يُختار لك . وأنت لا تريد وإنما تُراد على ما تكتب. فأنت إذن متأثر بهذه القوة الخفية ، لا تكاد توجه إرادتك إلى شىء حتى يهيأ لك وتنتج فيه إلا أن يكون هذا الشىء مناقضا لطبيعتك ، فأنت حينئذ تصرف عنه صرفا .

ولم تكد قصة أهل الكهف تظهرك للقراء فى مصر حتى أظهرتك قصة أخرى ليست تمثيلية ولكنها أقرب إلى التمثيل منها للقصص ، وهى: عودة الروح . فأنت فى عودة الروح تقص ، ولكنك تمثل على رغمك . فالأشخاص أحيانا يذهبون ويجيئون وحياتهم ماثـــلة أمامنا لا نتحدث عنها ، أولا ينبغى أن نتحدث عنها بالفعل الماضى ، وإنما ينبغى أن نتحدث عنها بالفعل المضارع كما ينبغى أن نتحدث عن أشخاص القصة ، وأن يعملوا وأن يقولوا وأن يأتوا ما يأتون من الحركات التى يأتيها أشخاص القصة التمثيلية . فأنت فى قصصك ممثل أكثر منك قاصا . وكانت عودة الروح هذه هى التى حببتك إلى عامة القراء ، وإلى عامة القراء الذين يقربون من الشعب ، ولا يسمون إلى أرستقراطية التفكير ؛ ذلك لأنك اقتطعت هذه القصة من حـــياة الشعب اقتطاعا . صورت الحياة المصرية كما يحيـــاها الأوساط من المصريين ، وكما يحياها الفقراء من المصريين أيضا ، وصورت هذه الحياة المصرية فى كثـــير من الحب لها والشغف بها والفناء فيها ؛ كأنما كنت تصور نفسك ؛ لأن كل المصريين الذين صورتهم فى هذه القصة يتصلون بك من قريب أو بعيد . ولست فى حقيقة الأمر إلا واحدا من هؤلاء الأشخاص الذين تراهم يتحركون ويذهبون ويجيئون فى قصتك بكثرة ، ثم صورت الحياة المصرية فى وقت دقيق من أوقاتهم حين كان المصريون ثائرين بالإنجليز ، طامحين إلى الحرية ، عامدين إلى أخذ استقلالهم من هؤلاء الإنجليز عنوة ، ماضين فى جهادهم لا يلوون على شىء ولا يصدهم عن هذا شىء . يرسلون أبناءهم إلى حيث يطالبون بهذا الاستقلال خارج مصر . منهم من يتكلف فى ذلك ما فرض عليه من سجن ونفى ، ومنهم من ينضم إلى هؤلاء الذين سجنوا ونفوا ليصاحبهم فى الجهاد ، وليحتمل معهم أثقاله .

والشعب المصري من وراء هؤلاء جاد كادح. وليس لهذا الشعب قوة ولا ثبات إلا إيمانه بنفسه، وثقته بمستقبله، وإكباره لماضيه؛ دون أن يحقق هذا الماضي ودون أن يذكره ذكرا صريحا، كما أنه لا يعرف هذا المستقبل، ولكنه يؤمن بماض مجيد، ويطمع في مستقبل مجيد، يجهله ولا يكاد يحققه.

وكذلك كان الشعب المصري حين صورته في هذه القصة. وأشهد لقد صورته فأحسنت تصويره. ولم تصوره فتحسن تصويره فحسب، ولكنك أضفت إلى هذا التصوير شيئا من ذات نفسك، وهذا الشيء هو الذي عرّفت به طبيعة الشعب المصري فأحسنت تعريفه، فهو شعب يجهل نفسه، وهو على جهله بنفسه يقدر نفسه، يعرفها في ضميره الخفي، ويجهلها في ضميره الشعوري، كما يقول أستاذنا الرئيس لطفي السيد.

وقد صورت هذا في الشعب المصري تصويرا حسنا ... حين أنطقت بهذا — في قصصك — ذلك الأثري. الخ الذي كان يجادل فيه ذلك المفتش الإنجليزي: شعب غني قوي ولكنه يجهل ثروته ويجهل قوته ويجهل نفسه. والأحداث هي التي تكشف عن حقائقه وتبين له دخيلة أمره، فإذا هي دخيلة خصبة تبعث الأمل وتحيي الرجاء.

ومضيت بعد ذلك فيما مضيت فيه من كتبك التي لا أجد وسيلة إلى إحصائها، وأكاد أعتقد أنك أسرفت في الإنتاج، وأكاد أعتقد أنك لو استأنيت بنفسك شيئا وأنتجت في شيء من الإبطاء لأعطيتنا آيات تشبه في جودتها وقوتها وبراعتها واستمدادها للبقاء هذين الأثرين: أهل الكهف، وعودة الروح.

وأنا أعرف أنك في عودة الروح قد اصطنعت لغتين: اصطنعت لغة عربية فصيحة تحتاج مع ذلك إلى شيء من التحرير، واصطنعت لغة عامية طبيعية، ولكنك آثرت نفسك باللغة الفصحى، فكنت إذا تكلمت أنت أفصحت، وإذا أردت أشخاصك على أن يتكلموا أرسلتهم على سجيتهم فتكلموا في لغتهم العامية كلاما عذبا حلوا. وكنت في هذا ملائما لما ينبغي أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور حقائق الشعب كما يجب أن تكون، أو كما هي في واقع الأمر.

ولك في هذا خصوم، كما أن لك في هذا زملاء. فزميلنا تيمور قد صنع نفس هذا الصنيع في أول أمره ثم أعرض عنه إلى اللغة الفصحى الخالصة، ثم عاد إلى اللغتين جميعا، واصطنع الفصحى لنفسه، واصطنع العامية للشعب.

وما أرى أنك قد بعدت عن هذا المذهب. فأنت تصطنع العامية أحيانا أخرى، وليس عليك من هذا بأس، فما ينبغي أن يطالب الفنان بأكثر مما يستطيع أن يعطي، فالحرية هي الأصل الأول للفن. أنت حر تكتب بالعامية أو بالعربية الفصحى، وإنما يبدأ تقييد حريتك منذ هذا اليوم: أي منذ دخلت هذه الدار التي يكتب

أصحابها لا باللغة العربية الفصحى فحسب، بل باللغة العربية الفصحى التي تقرها المعاجم وتقرها التقاليد القديمة العتيقة. فأنت منذ الآن مكلف أن تكتب بلغة عربية تلائم بجمعينك هذه الجديدة .

فدعنى بعد هذا أتحدث قليلا عن هذه الصورة التى أعطيتها من نفسك للناس ، فهى صورة لاسبيل إلى إهمالها . والشيء الذى لاشك فيه أن أحدا من الناس لا يسمع اسمك حتى يبتسم . على حين أنه يسمع أسماء كثير من زملائك فى هذا المجمع فلا يبتسم ، وربما عبس ، وربما لعبت بنفسه عواطف مختلفة منها الحلو ومنها المر ، ومنها الرضا ومنها السخط ، ومنها الحب ومنها الخوف . أما أنت فلا يذكر اسمك إلا ابتسم ذاكره وسامعه معا .

لماذا ؟ لأنك قد أعطيت من نفسك للناس صورة توشك أن تكون صورة مضحكة ؛ فلا يتحدث الناس عنك إلا بأنك بخيل أشد البخل ، متهالك على المال أكثر مما كان يتهالك عليه بخلاء الجاحظ . لا يذكر بالقياس إليك سهل بن هرون ولا الكندى ولا ابن المؤمل ولا غير هؤلاء من الذين تحدث عنهم الجاحظ فى بخلهم وحرصهم وتهالكهم على المال . ولا تكاد تجلس فى مجلس إلا أخذ أصحابك يجادلونك فى البخل والجود وفى الحرص والإنفاق وفى السماحة والكزازة . والطريف أنك ترضى عن هذا كل الرضا ، وتحاول أن تضيف إلى نفسك من هذا البخل ألوانا وأشكالا ما أعرف أن شيئا منها يتصل بنفسك حقا . ثم أنت قد أعطيت من نفسك صورة أخرى : صورة الرجل الذى لا يحسن أن يتصرف فى الحياة ، لا يستطيع أن يسافر إلا أن يعينه على السفر معين ، ولا يستطيع أن يركب السيارة دون أن يحسب لركوب السيارة ألف حساب . فأنت تشفق من كل شيء وتخاف من أيسر الأشياء ، وتسرع إلى الصياح دون أن تحتاج إلى أن تصيح ، كأن الدنيا من حولك كلها نذر وأهوال تريد أن تتوشك من كل قطر من أقطارها وتريد أن تلتهمك التهاما . وأنت تذكر كيف أتعبتنا وأتعبت غيرنا من أصدقائك ، وكيف أتعبت نفسك حين أردت على أن تأخذ الطائرة لتذهب إلى « سالسبورج » لتشهد تمثيل إحدى قصصك هناك . كنت مشفقا من الطائرة قبل أن تركب الطائرة بأكثر من شهر . وكنا ننفق من الجهد ما ننفق لنشجعك ونسليك ونغريك ونعطيك من قوة تعينك على أن تركب هذه الطائرة ، ونؤكد لك أنك ستركب الطائرة وتعود منها سالما .

والمدهش أنك ركبت الطائرة وذهبت وعدت كما يذهب غيرك ويعود ، ولم تكن فى حقيقة الأمر خائفا ولا ملتاعا ، وإنما تكلفت هذا كله تكلفا . ولست أنسى حين دعوتك للقائى على قمة جبل من جبال فرنسا فكتبت إلى مرتاعا ملتاعا مشفقا من الهول كل الهول ، وفى الوقت نفسه صورت نفسك صورة الإنسان الذى لا يستطيع أن يترك باريس لأنه يحب لونا من ألوان الطعام لا يكاد يوجد فى غير باريس . أشفقت أن تصعد فى الجبل . وكرهت أن تنفق أياما لا تذوق فيها هذا اللون من ألوان الطعام .

أنت ـ إذن ـ طائفة من المتناقضات . أنت فى فنك حين تعالج هذا الفن الطبيعى غير متكلف ولا متعمل كأنما تغرف من بحر كما كان يقول القدماء . ولكنك فى حياتك الاجتماعية مصنوع متكلف متعمل ، بعيد كل البعد عن الحياة الطبيعية المألوفة . والناس يعرفون منك صورة ليس بينها وبين شخصك الحقيقى صلة من قريب أو بعيد .

جعلت نفسك موضوعا للتندر . فالناس إذا ذكروك تندروا وضحكوا وسخروا أحيانا . والناس يرونك فيتندرون بك ، وأنت ترضى عن كل هذا .

لماذا ؟ أتريد أن أدلك على السبب فى هذا التكلف ؟

إنما هو أنك تحب أن يعرفك الناس وتحب أن يحبوك . والناس يعرفونك بالبخل أكثر مما يعرفونك بالكرم ، لأن الكرم شىء طبيعى لا تكلف فيه . والناس يتحدثون عن البخلاء وقلما يتحدثون عن الكرماء . والناس يتحدثون عن أصحاب السذاجة وقلما يتحدثون عن أصحاب التفكير العميق . والناس يتحدثون عن الخائفين المشفقين الذين يعدون أنفسهم جبناء أكثر مما يتحدثون عن الذين لا يخافون ولا يشفقون ولا يخترعون لأنفسهم ألوان الخوف والإشفاق . أنت إذن تحب أن يعرفك الناس ، وتحب أن يألفك الناس ، وتحب أن تكون رجلا شعبيا . وقد نجحت فى ذلك حتى كدت تخلق لنفسك شخصية تشبه شخصية « جحا » . ولست أدرى ما الذى ستصنعه فى هذا المجمع ولا ما الذى سيصنع بك هذا المجمع .

فنحن هنا ــ يا صديق العزيز ــ أصحاب جد ، وجد مر ، ويكفى أن تنظر إلى الرئيس لتعلم أنه ليس من التكلف ولا من التصنع ولا من محاولة رضا الشعب ولا محاولة سخط الشعب ، ولا من أية محاولة من هذه المحاولات التى ألفتها وأحببتها فى شىء ، إنما هو كما تعرفه : الرجل السمح السهل : سمح النفس سهل الخلق . يريد أن تكون الأشياء كما ينبغى أن تكون ، وكما يريد أرسطاليس أن تكون . وهو يسوس المجمع هذه السياسة : صارم فى سماحة ، حازم فى رفق ولين . وثق بأنك حين تشاركنا فى جلساتنا لن تستطيع أن تلفت الناس إلى بعض نزواتك هذه التى تعجب الناس منك .

فكن ـ يا صديقى ـ ما شئت أن تكون خارج المجمع ، ولكن إذا دخلت المجمع فانظر إلى أقرب أعضائه : إلى الصرامة والحزم والجد المر . انظر إلى العقاد مثلا ، وسر سيرته ، وإلا فلن تفلح فى هذا المجمع بحال من الأحوال .

أرسل نفسك ــ إذن ــ على سجيتها فى هذا المجمع ، ودع التكلف عند بابه . فإذا انتهت الجلسة وعدت إلى الشارع فارتد التكلف حين تركب السيارة لتلقى من تعودوا منك هذا التكلف . أما هنا فكن كالرئيس : صراحة وسماحة ، ويسرا وانبساطا مع ذلك .

لست أدرى أيهما شرف بصاحبه .

أما أنت فلا شك فى أنك شرفت بدخولك هذا المجمع ، فلا أقل من أن تعترف لنا بأننا نشرف من ينضم إلينا ، ولا أدل على ذلك من أنا وقفناك ببابنا أكثر من عامين تنتظر أن نأذن لك ، فلم نأذن لك إلا بعد أن أطلت الانتظار ، ذلك بأن الوصول إلينا ليس يسيرا ولا سهلا .

وأما نحن فقد شرفنا بانضمامك إلينا . ليس فى هذا شك بحال من الأحوال . فأنت كاتب نابه ما فى ذلك شك . لا يجادل فى ذلك إلا الحمق . وأنت تعرف أن هذا المجمع لا صلة بينه وبين الحمق . أنت كاتب نابه ؛ بل أنت كاتب نابغة ما فى ذلك شك . قد اجتمع الناس على إكبار فنك ، واجتمع على إكبار فنك النقاد منهم وغير النقاد . واجتمع على إكبار فنك الذين يلتمسون الظهر فى الساعة الرابعة عشرة من النقاد مثلى ، والذين يقبلون كل ما يلقى إليهم من عامة القراء .

فأنت — إذن — كاتب نابغة ما فى ذلك شك . وقد اجتمع العرب كلهم على إكبار فنك والإعجاب به ، وقد تجاوزت — لا أقول حدود وطنك — بل حدود العالم العربى . فأنت تقرأ فى الإنجليزية وتقرأ فى الفرنسية وتقرأ فى الألمانية والإيطالية أيضا ، وأظنك ستقرأ عما قليل فى اليونانية .

ومن كان بهذه المنزلة فهو خليق أن يشرف المجمع حين ينضم إليه . وثق بأننا لم نخترك لنرضيك أنت ، وإنما اخترناك لنرضى باختيارك أنفسنا . فكن فى هذا المجمع كما ينبغى أن تكون عضوا كريما بين زملاء كرام ، متعاونا على أغراض المجمع هذه التى تعرفها . ومن يدرى لعلك لم تقرأ نظام المجمع إلى الآن . والشىء الذى ليس فيه شك هو أن هذا شىء يجب أن تصنعه متى عدت إلى دارك بعد هذه الجلسة ، إن شاء الله .

أما بعد : فإنى أهنئك بانضمامك إلينا ، وأهنئ المجمع بانضمامك إليه ، وأرجو إن شاء الله أن تكون عضوا مجمعيا مثاليا موفقا فى كل ما تعمل وفى كل ما تقول ؟

رد الأستاذ توفيق الحكيم

أيها السادة :

لقد وضعتمونى مشكورين ، فى كرسى مخيف ، كرسى رجل من أشجع رجال مصر فى التاريخ المعاصر هو : عبد العزيز فهمى .

والشجاعة عند عبد العزيز فهمى وسيلة لغاية أسمى وأشرف : هى الحرية .

والحرية عند عبد العزيز فهمى هى حياته . هى لحمه ودمه . هى فكره وروحه . هى عمله وجهاده .

طلب الحرية للوطن . وطلب الحرية للفكر . وطلب الحرية للغة .

فلا عجب إذن إذا اعتقدت أن هذا الكرسى الذى اقترن باسم عبد العزيز فهمى هو : « رمز للحرية » .

هذا الاعتقاد عندى دعمه وقواه الرجل التالى الذى آل إليه هذا الكرسى .

الرجل التالى هو : واصف غالى .

واصف غالى هو أيضا - ولعلها مصادفة عجيبة — رجل من رجال الحرية : جاهد هو الآخر فى سبيل حرية بلاده ، وحافظ ما استطاع على حرية حياته .

ولئن كان قد ترك هذا الكرسى — والمجمع أحوج ما يكون إلى علمه وأدبه — فقد فعل ذلك مدفوعا بدافع تلك الحرية التى أحبها والتى أرادت له أن يقيم حيث يشاء ، وأن يخدم وطنه وأدب وطنه على النحو الذى يحسنه ويتفق مع مواهبه .

ولقد خدم فعلا الأدب العربى خدمة جليلة ؛ فهو — بفضل تمكنه من اللغة الفرنسية : أسلوبا وصياغة - قد استطاع أن يبصر الغربيين بما فى الأدب العربى من روائع لم يفطنوا إليها ولم يقدروها قدرها . فنشر فى باريس منذ سنة ١٩١٣ كتبا ثلاثة ، هى : « تقاليد الفتوة عند العرب » ، و « حديقة الأزهار » ، و « الدر المنثور » .

كتب نقل بها إلى الغرب فضائل الفكر العربى نقلا مبينا مشرقا ، جعل ناقد فرنسا المشهور فى ذلك الوقت : « جول ليمتر » يقول وهو شديد الإعجاب : إن الشعر العربى فى مجال الإحساس والشعور أنقى شعر عرفه الإنسان . فالأمانة والصدق . والشهامة . والصداقة . واحترام المرأة . وقرى الضيف . والكرم . وعظمة النفس . والبطولة . والفخر ... هى بعض ما يتغنى به ويعبر عنه هذا الشعر العربى !

وهو ما يسمو به فوق شعر الأمم الأخرى فحولة ونبلا .

هذا بعض ما فعل واصف غالى لرفع شأن الأدب العربى فى بلاد الغرب. وهو لم يزل هناك يواصل خدماته الجليلة فى هذا السبيل ، تاركا كرسى عبد العزيز فهمى يئول إلى شخصى الضعيف بميراثه الضخم من فاخر الأعمال ، وما انطوى عليه من معنى ورمز .

ترك لى هذا الكرسى وترك لى معه مهمة الكلام عن صاحبه الأول العظيم . وهى مهمة خلتها عسيرة فى أول الأمر . وإذا هى فى الواقع لن تكلفنى جهداً . فتاريخ عبد العزيز فهمى معروف لكم جميعا ؛ لأنه تاريخ مصر فى نصف القرن الأخير . تاريخ مصر فى جهادها السياسى وجهادها الفكرى . أما جهادها السياسى فموقف عبد العزيز فهمى منه خالد على الدهر . فهو أحد الثلاثة الذين ثاروا لحرية البلد ، وصاحوا فى وجه المستعمر تلك الصيحة التى أيقظت الوطن .

أما تاريخ مصر الفكرى ، فموقف عبد العزيز فهمى منه باق أيضا لا ينسى . فهو الذى ثار لحرية الفكر فى قضية على عبد الرازق وكتابه عن الإسلام وأصول الحكم . . . وقضية طه حسين وكتابه عن الشعر الجاهلى .

كل هذا معروف لكم أيها السادة ، ولا محل هنا للإطناب فيما هو منقوش فى الأذهان .

حسبنا أن نستخلص من هذا التاريخ صفة من صفات عبد العزيز فهمى . هى : روح الثورة من أجل الحرية : حرية الوطن ، وحرية الفكر ...

إلى أن جاء هنا فى هذا المجمع .

فاستيقظت فيه مرة أخرى روح الثورة من أجل حرية جديدة رآها فى حاجة إلى صيحته وشجاعته : تلك هى حرية اللغة .

لم يكد عبد العزيز فهمى يستقر فى هذا الكرسى بمجمعكم حتى لاحظ أن اللغة العربية الجليلة فى قدمها ، العريقة فى بيانها ، تكاد تعتل وتمرض ، لطول ما أغلقت عليها النوافذ ، خوفا على صحتها ومحافظة على سلامتها . رآها كالعجوز المقيدة فى خلاخيلها ودمالجها ، الحبيسة فى حجرة من التقديس ، لا يدخلها هواء الحياة ولا شمس العصر ، خشية عليها من تقلب الجو ...

فنهض فارس الحرية وأراد أن يمد يده إلى النوافذ يفتحها لنسائم التجديد . وهو يقول فى ذلك : « إن اللغة كائن كالكائنات الحية : ينمو ويهرم ويموت ، فالفاذرية لغوية متشعبة الأفراد هى أيضا فى تطور مستمر . ولم يستطع قوم للآن أن يغالبوا هذه الظاهرة الشمسية ... فإن التطور يكبح شراسة من غالبه ... »

إيمان عبد العزيز فهمى بالتطور أى بالتجدد وهو شيخ فى الثمانين ، يدل على أنه كان رجلا عظيما حقا . وعندما أقول إنه عظيم ، لا أعنى

المعنى المبتذل ؛ بل أعنى المعنى العميق للكلمة . ذلك أن من صفات العظمة شباب التفكير ، أى الإحساس بالتجدد . أى مغالبة الزمن . أى سبق العصر ...

كل العظماء بلا استثناء كانوا مجددين ، أى سابقين لعصورهم مغالبين للزمن والهرم والجمود ؛ لأن عظمة الإنسان هى فى الانتصار على الزمن . وخير مظهر للانتصار على الزمن هو شباب الفكر الدائم ، وتطور التفكير المستمر .

والزمن يحارب الإنسان فى هذا الميدان بقانون صارم ، هو قانون : العادة . فالناس والأمم والشعوب تستنيم إلى حكم العادة ، فيتمكن منها الزمن ويصيبها بالهرم .. إلى أن يسعفها عظيم بإكسير التجديد .

ولنمض فى الإصغاء إلى عبد العزيز فهمى وهو يتكلم عن التجديد والتطور فى اللغة . قال : « إن رسم الكتابة العربية هو الكارثة الحائقة بنا فى لغتنا . إنه رسم لا يتيسر معه قراءتها قراءة مسترسلة مضبوطة حتى لخير المتعلمين ... إذن فأول واجب على أهل اللغة العربية هو أن يبحثوا عن الطريقة التى تيسر لهم كتابة هذه اللغة على وجه لا تحتمل فيه الكلمة إلا صورة واحدة من صور الأداء ... خطر بفكر أحد زملائنا أن يعالج المسألة لا من جهة الرسم بل من جهة الإعراب . وذلك بحذف حركاته وتسكين أواخر الكلمات . وكان من السهل إجابته إلى فكرته ؛ لأن موضوعها ليس غريبا عن أصل العربية ، بل هو يوافق بعض لهجاتها القديمة .

وقد قرئت آية : « ويضيقُ صدرى ولا ينطلق لسانى » ، مثلا من القرآن الشريف هكذا : « ويضيقْ صدرى ولا ينطلقْ لسانى » بتسكين القاف فى الكلمتين ... هذا العلاج إذا كان يزيل صعوبة الإعراب ، فإنه لا يفيد شيئا فى الصعوبة الآتية من تغير الصيغ والصور للكلمة الواحدة ... »

وهكذا يمضى عبد العزيز فهمى فى بيان صعوبات اللغة العربية ، تلك الصعوبات التى تعرقل انتشارها وتؤدى إلى ضمورها وموتها .

وما من شبهة فى أن هذه الصعوبات قد أدركها القدماء أنفسهم .

كان عبد الملك بن مروان يقول :
« شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » .
وكانوا يقولون : « سكن تسلم » .

وقال ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » : « إن الإعراب ليس شرطاً للبلاغة ، وليس اللحن قادحا فى حسن الكلام » ...

بل ذهب أبعد من ذلك بقوله : « إن الجهل بالنحو لا يقدح فى بلاغة ولا فصاحة » .

وقال مثل ذلك ابن خلدون الذى رأى أن الوقف لا يجافى البلاغة ...

كل هذا يدل على أن القدماء كالمحدثين قد لمسوا هذه الصعوبات ، وحاولوا أن يعالجوها ببعض التجوز والإباحة والتيسير فى النطق والكلام .

ولكن عبد العزيز فهمى أراد أن يحل العقدة بسيف شجاعته ، فكان أن قدم اقتراحه المشهور بترك الحروف العربية ، واتخاذ الحروف اللاتينية .

وأذكر أنى وافقته فى ذلك الوقت ، وكتبت إليه مهنئا ومؤيدا ، فتفضل ـ رحمه الله ـ وزارنى فى مسكنى . وكان يومئذ حجرة فى نزل بأعلى عمارة من تسع طبقات . فأشفقت على شيخوخته من الصعود ، وأسرعت إليه ـ وهو فى سيارته ـ أعفيه من تكاليف الزيارة .

وركبنا معا ، وجعل يشرح لى نظريته وأنا أوافق وأؤيد ، وأحسن وأزين . لا يخطر على بالى أنى سأكون يوما فى موضعه من هـذا الكرسى لأواجه الناس علنا بهذا الرأى .

يجب أن أعترف ، والاعتراف بالحق فضيلة . عبد العزيز فهمى كان ـ حقا ـ سيفا من سيوف الشجاعة . أما أنا فكل ماعندى عصا : عصا تتكلم أحيانا ولكنها لا تقطع أبدا . .

لن أتعرض إذن للعقدة ، وخصوصا العقدة العسيرة الحل ، وهى حروف الكتابة العربية واللاتينية .

ولكنى إذا لزم الأمر ، فأنا مستعد للدفاع عن الرأى الآخر الأبسط : وهو الخاص بتبسيط قواعد النحو واللغة إلى الحد الذى يجعل القارئ أو المتكلم يستطيع القراءة والكلام بغير تعثر ولا تفكر . فإن مصيبة اللغة حقا هى أنها نوع من الشطرنج ... يحتاج فيه المتكلم أو القارئ إلى تأمل فى موضع الكلمة من العبارة قبل النطق من حيث النحو والإعراب ؛ كما يتأمل لاعب الشطرنج موضع الحجارة قبل التحرك ...

ونحن الآن ـ ولا شك ـ فى عصر السرعة : عصر لا يحتمل هذا اللون من اللعب النحوى فى مواقف الجد والحرج . . لا بد إذن من أن نصنع شيئا لتبسيط القواعد إذا أردنا للفصحى حياة باقية متطورة .

إن تطور اللغة العربية ـ كما قال عبد العزيز فهمى ـ آت لا ريب فيه .

وهذا التطور سيبدأ ـ فى رأيى ـ بداية لطيفة مقبولة . وهى أن الفصحى ستحتفظ بخير ما فيها ، وستستعير من العامية خير ما فيها . وخير ما فى العامية هو هذا التمشى مع منطق اللغات الحية فى البلاد المتحضرة : منطق الاقتصاد والبساطة والسرعة ، أى منطق العصر ؛ فتلغى من الفصحى الحركات فى أواخر الكلمات ، ويكتفى بالوقف والتسكين فى أكثر الأحوال .

وأظن هذا الأمر لا يحتاج فى إقراره إلى معركة عنيفة .

أعاهدك إذن يا عبد العزيز فهمى : أنى سأدافع على الأقل عن هذا الرأى بشجاعة : شجاعة مستمدة من هذا الكرسى الذى طالما اهتز بثورتك .

سأحاول أنا أيضا أن أثور .

فاحتملونى أيها السادة إذا فعلت ، وإن كنت أشك فى أنى سأفعل . وأظن أنكم أنتم أيضا تشكون فى هذا الوعيد وتقولون : « أبشر بطول سلامة يا يحمع .. ! »

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

المرحوم الأستاذ محمد كرد علي عضو المجمع (١)

للأستاذ الدكتور منصور فهمي كاتب السر

سادتي :

نجتمع اليوم لتحية زميلين فقيدين اشتركا في أعمال المجمع لخدمة اللغة العربية وأفاداها بما نشراه وأبقياه من آثارهما الأدبية المباركة .

ولا نهدف من هذا الاجتماع إلى تحليل آثارهما وبحثها بحثا وافيا شافيا ؛ لكننا نهدف إلى إرسال تحية من المجمع لرابطة وثيقة جمعت بينهما وبينه ، ولزمالة تعاونت في خدمة اللغة والأدب تعاونا مشكورا .

وإني إذ أتقدم بالتحية للمرحوم الأستاذ كردعلي فذلك لسبقه إلى جوار الله قبل زميله . وأشير بكلمتي الموجزة إلى ترجمة مختصرة لحياة المرحوم كرد علي وإلى صورة من أخلاقه ، وإلى نظرة الناس المجملة لحياته السياسية ، وإلى تقديرهم إياه من الناحية العلمية والأدبية ، ثم أذكر أهم مؤلفاته وما أخرجه من الكتب :

ولد المرحوم محمد كردعلي في مدينة دمشق سنة ١٨٧٦ ميلادية . وتوفي بها في النصف الأول من العام الفائت عن نيف وثمانين عاما .

وكان جده كرديا يشتغل بالتجارة ، ونزح من بلدة السليمانية في شمال العراق إلى دمشق وسكن فيها من نحو قرن ونصف ، وتملك بغوطتها أرضا محدودة المساحة ، أصاب منها فقيدنا حصة لاتغني ، مما حفزه إلى الأخذ بأسباب العمل منذ شبابه الباكر .

وكردعلي الذي سميت به أسرة الفقيد، هو تركيب فارسي ، ويقصد به : علي الكردي .

وكانت أم الفقيد شركسية من « ققفاسيا » . وكان يطيب له أن يقول بأساوب لايخلو من الاعتزاز والتبسط : « أنا آري: فوالدتي شركسية وجدي كردي » .

ودرس الفقيد في مدرسة دمشق الابتدائية الحكومية ثم في المدرسة العسكرية الإعدادية ، ثم في المدرسة العازرية الفرنسية ، ونال من تعليمها ماينا له الطالب في المدارس الثانوية ؛ لكن ملازمته للشيخ طاهر الجزائري وتلمذته في اللغة للشيخ محمد المبارك ، وحبه الفطري المشبوب للقراءة : كل ذلك كان من الدوافع الشديدة إلى مراجعته للمخطوطات القديمة ، واطلاعه على كتب الأدب العربي ، واتجاهه إلى وفرة التحصيل والكتابة والتأليف .

---

(١) ألقيت هذه الكلمة في الحفل الذي أقامه المجمع لتأبين المرحوم الأستاذ محمد كردعلي عضو المجمع ، من سوريا في ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٧٣هـ (الموافق ٥ من يناير ١٩٥٤ م) .

ولمناسبة ذلك كتب عن نفسه ما يلى : استصحبتني والدتى وأنا فى السادسة لنزور أسرة الأستاذ الشيخ محمد الطنطاوى فى زقاق (النارنجة بمحلة القيمرية بدمشق) ، فأدخلوها القاعة البرانية التى يجلس فيها الشيخ ، ووقع نظرى لأول مرة على رفوف فى الحيطان ، مصفوف عليها مجلدات ، فشهقت متعجبا مما نظرت ، وسألت والدتى عن هذه الأشياء التى رأيتها على الجدران .

فقالت : « كتب يقرأ فيها العلماء » .

فأعجبنى هذا المنظر الطريف ، وقلت لأمى : أنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة . (انظر ص ١٠ من المذكرات) .

وعمل الفقيد فى الحكومة العثمانية ، ودفعه عمله فيها لتعلم اللغة التركية ، وأخذ كذلك فى تعلم اللغة الفرنساوية بممارسة الدروس الخاصة وبمتابعة قراءة ما كتب مشاهير الأدباء الفرنسيين .

ومن نحو خمسين عاما بدأ يكتب فى جريدة الشام الأسبوعية ، وينشر المقالات والبحوث فى مجلة المقتطف . وجاء إلى مصر والتحق بجريدة الرائد المصرى . وحضر أثناء إقامته بالقاهرة مجالس الشيخ محمد عبده ودروسه . وكتب فى الجرائد المصرية ، وبخاصة فى جريدتى الظاهر والمؤيد . وأصدر مجلة المقتبس الشهرية التى حفظت له أبحاثا قيمة فى الأدب العربى ، وفى التاريخ الإسلامى ، وفى التراث العلمى القديم ، مما أعده بحق ليكون بين كتاب وقته النابهين .

أما خلق الفقيد وميوله فقد ذكر عن نفسه ما يلى : « خلقت عصبى المزاج ، مغرما بالموسيقى العربية ، محبا للطرب والأنس والدعابة ، عاشقا للطبيعة والسياحة » .

وكل ذلك كان يتبينه خلطاء الفقيد ممن كان يفيض عليهم فى ساعات صفوه ، بدعاباته اللطيفة ، وطرفه العلمية والأدبية ، ونكاته البارعة ، وأنسه المرح المحبوب ، لولا تلك المفاجآت التى كان يباغت بها أصدقاءه ، خضوعا لأحوال المزاج العصبى ، فيغضبهم حيث لا داعى لإغضابهم ، ويجافى الجلساء حيث لا موجب لجفوة . وكان مع ذلك يظل مختزنا فى قرارة نفسه طيب الود لمن أغضب أو لمن جافى .

وفى سنة ١٩٠٨ عند ما حدث الانقلاب العثمانى وخلع السلطان عبد الحميد عن عرشه ، عاد فقيدنا من مصر إلى دمشق ، وأصدر فيها مجلة المقتبس الشهرية ، كما أصدر جريدة المقتبس اليومية . وفى ذلك الوقت أتيح للفقيد أن يرحل إلى أوربا ، ثم أن يرحل إليها مرة أخرى قبل الحرب العالمية ، وكتب عن رحلته عدة مقالات ، ألف منها أول كتاب له ، وأسماه : (غرائب الغرب) ، وضمنه رحلات تناول فيها شتى الموضوعات بقلمه الوصاف المسهب مما يشعر القارئ بسعة علمه بالتاريخ ، ووفرة تحصيله واطلاعه ، ويسر الكتابة عنده .

وقد تعرف فى رحلته الأولى إلى الكثيرين من المستشرقين ، وممن تهمهم معرفة البلاد العربية وشئونها . وعلى الجملة تدل مجموعة ما كتبه فى « غرائب الغرب » على ولعه بالسياحة ، وميله لتعرف المعالم والآفاق ، وشغفه بالسير فى الأرض والنظر فيها .

أما حياة كردعلى السياسية فقد اختلفت نظرة الأحرار الوطنيين إليها ؛ وذلك لأن المرحوم

تولى التحرير فى جريدة الشرق التى أصدرها جمال باشا القائد التركى ، ليناهض بها الحركة العربية .

وربما فات الوطنيين أن يقدروا اضطرار الفقيد إلى الكتابة فى هذه الجريدة مخافة كيد القائد ، وتحاشيا لجبروته وغدره . ولما دخل الجيش الفرنسى فى دمشق سنة ١٩٢٠ ولى الفقيد وزارة المعارف ثلاث مرات ، مما أدى بالأحرار العرب إلى الاحتفاظ بموقفهم منه . على أن حياة الفقيد السياسية وإن ظللتها سحب قضت بها الظروف ، فإن حياته الأدبية لم تشبها شائبة ، لأنه كان أول رائد للصحافة السورية الحديثة ، وصاحب أول مجلة أدبية راقية . وعندما أسس المجمع العلمى العربى فى سنة ١٩١٩ انتخب كردعلى لرياسته حتى يوم وفاته . وفى هذه الفترة الطويلة من الزمن كان يشجع الشباب على التعليم وعلى درس اللغة العربية وآدابها . وكان يلقى المحاضرات ويتابعها فى المجمع العلمى الذى كان الندوة المباركة لأهل العلم والدرس ، وكانت مجلة المقتبس التى أنشأها الفقيد منبراحرا للأدب الرفيع ، وعمرت صفحاتها بمقالاته المدروسة الممحصة .

أما أظهر الآراء التى تبناها فى الشئون الاجتماعية والتاريخية ، فهى فى دعوته لتحرير المرأة باعتدال ، وفى حضه على الأخذ بالصالح من المدنية الغربية مع الاحتفاظ بالأخلاق الإسلامية ، وفى تشجيعه إلى الأخذ بوجهات الاشتراكية المعتدلة ، وفى حملته على الشعوبية وعلى الشعوبيين ، وفى تعصبه للأمويين ، وتفنيد ما كتب فى تجريحهم ، اعتمادا على ما كان يعتقده من تحامل العلويين عليهم .

ولقد كتب فى موضوع المرأة ما يلى : وكنت - ولا أزال - ظهيرا للمرأة محبا لإنصافها ، آسفا للاستعباد الذى حاق بها ، محاولا تعليمها كل ما يرفع من شأنها ، داعيا لإقناعها بحجابها الشرعى . ذاهبا إلى أن تخلف المرأة المسلمة عن الأخذ بحظ من التهذيب قذف بالمسلمين من حالق المدنية إلى هاوية الانحطاط . وما طلبت إعطاء المرأة زيادة على حقها ، وما جوزت لنفسى أن أخدعها وأتملقها ، توقعا لرضاها ، وكنت - وما برحت - على مثل اليقين أن من يعاون المرأة على مساواة الرجل يخدعها ويضحك منها . وصديقك من صدَقك لا من صدَّقك .

وقال فى موضع آخر (ص ٣٥٩ - أقوالنا وأفعالنا) : « المرأة امرأة وإن ألبستها ثياب الرجال ، ووسدت إليها أعمالهم . ومهما جاهدت لا تحليها بخلق ، ليس فيها ، ولا تخلق فيها ميزات لم تتميز بها . المرأة كما قالوا : ريحانة وليست بقهرمانة ، لم تؤهلها طبيعتها لغير ولادة الأولاد والعناية بتربيتهم وخدمة زوجها والسهر على راحته . وتولى الخطير والحقير من شئون بيتها . فروض جسيمة فرضت عليها . لو أحسنت تجويدها لكفتها أن تشتغل معظم ساعات نهارها ، وزلفا من ليلها ، ومن كان عليها مثل هذه التبعة : كيف تقوى على تولى المصالح العامة فتقضى وتسوس وتشارك الرجال فى شئون اختصوا بها منذ كانت الدنيا . »

وكان كرد على فى كثير من كتبه يذهب إلى الاشتراكية المعتدلة . إلا أنه كان يقدر الفروق

التي تميز خواص الناس على عوامهم ، ولا يغفل عن الميزات التي تميز صفوتهم على دهمائهم . ويستشهد في ذلك بقول ابن المقفع : «قد علمنا علما لا يخالطه شك أن عامة قط لم تصلح من قبل نفسها ، وأنها لم يأتها الصلاح إلا من قبل خاصتها ، وأن خاصة قط لم تصلح من قبل نفسها، وأنها لم يأتها الصلاح إلا من قبـل إمامها . وحاجة الخواص إلى الإمام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة إلى خواصهم وأعظم من ذلك».

أما آراؤه في الاقتباس عن المدنية الغربية فقد كتب في ذلك ما يلي : (القديم والحديث ص ٥) : «إن كل عاقل عرف تاريخ هـذه الأمة (يقصد العرب والمسلمين) يرى الخير كل الخير في احتفاظها بقديمها، وضم كل ما ينفع من هذا الجديد .

على أن يكون للدين والعلم حريتهما ، فتكون المعتقدات بمأمن من طعن الطاعنين بها ، كما تجري المدنية على الشوط الذي تراه .

وإذا رأى بعضهم في بعض المعتقدات ما لا ينطبق على روح الحضارة والعلوم العصرية فالأولى أن يطبقوا العقل على النقل كما هـو رأي كبار علماء الإسلام منذ القديم » .

وكان فقيدنا — رحمه الله — من دعاة التكتل العربي . ومما كتب في ذلك قوله :

(أقوالنا وأفعالنا ص ٣٤١) : «إذا تحققت الوحدة العربية تصبح قوة لا يستهان بها في هذا الشرق ، ويكون لها من موقعهـا الممتاز بين الشرق والغرب ما يجعل منها كتلة شرقية تنفع العالم ولا تؤذيه ، وتعيد مجد أمة كانت على حياة تامة قرونا طويلة . » .

أما ما ألفه المرحوم وما نشره وأخرجه فهو كثير وعديد، إذ لبث يكتب حتى آخر حياته . وأهم مؤلفاته كانت في التـاريخ والاجتماع وتراجم أصحاب البيان من العرب القدماء ، وحقق ونشر عددا من المخطوطات القديمة ، ودون لذكرياته مذكرات — قد لا ترتبط موضوعاتها — وتجمع بين كثير من آراء صائبة هي وليدة للتجارب في حياة طويلة وبين ما ينم عن مزاج عصبي ، وغضبات طارئة ، ونزعات شخصية لا يقرها المنصفون .

وأهم مؤلفاته التاريخية والاجتماعية هي : (خطط الشام) و (الإسلام والحضارة العربية) و (أقوالنا وأفعالنا) و (غرائب الغرب) و (القديم والحديث) و (غوطة و دمشق) .

ومن كتب الأدب والتراجم :
(رسائل البلغاء) و (أمراء البيان) و (كنوز الأجداد) .

ومن المخطوطات التي حققها ونشرها : (سيرة أحمد بن طولون للبلوي) و (المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي) و (تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي) و (كتاب الأشربة لابن قتيبة) و (البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي) : وهو آخر كتاب للفقيد الذي مكث نحو نصف قرن لم ينقطع فيه عن القراءة والتدوين حتى آخر أيام حياته .

ومهما يكن من اختلاف النظر في تقدير

الأسلوب العلمى فى مؤلفات الفقيد ، أو فى قلة ثروتها من الطرافة ، أو فى تحليل الحوادث التاريخية واستخراج فلسفتها ؛ فإن فى كتبه ما يؤهلها لتكون من المراجع الصالحة ككتاب : خطط الشام الذى يقع فى ستة أجزاء ، ويعد من أفضل المؤلفات، إذ استعين فيه بكبار الإخصائيين المعاصرين فى اقتصاديات الشام وزراعاته .

وإن فى كتب كردعلى المدونة بأسلوب متناسق وسهل وفخم ، والمستخرجة من أمهات المراجع، والمستقطرة من الأسانيد والأسفار التى لا تتداولها الأيدى ، ما يدل على واسع علمه ، وعلى موهبته فى صناعة الكتب ، وإن رصيده فى ذلك ضخم تعتز به المكتبة العربية ، ويفيد منه المشغوفون بالقراءة والاطلاع ، ويفخر به مؤلفه وناشره .

* * *

أيها السادة :

هذا ما سمح به الوقت المقدر لتحية الفقيد المرحوم الأستاذ كردعلى . وأسأل الله أن يعوضنا فى فقده خير العوض .

المرحوم الأستاذ خليل السكاكيني (١)

للأستاذ الدكتور منصور فهمي كاتب السر

أما ما أتقدم به لتحية المرحوم الأستاذ السكاكيني ذلك الرياضي المرح القائل: «الألعاب الرياضية والاستحمام بالماء البارد والطعام المغذي والمطالعة والكتابة والموسيقى: هذا هو الأسلوب الذي سيتغلب على العالم كله» ...

أما ما أتقدم به لذكرى هذا الفقيد العظيم ، فكلمة عاجلة أشير بها إلى ترجمة قصيرة لحياة تلاحقت فيها عليه الهموم والمحن ؛ فهدت من بنيانه المتين، وأودت بمرحه أخيراً ؛ ثم أذكر طرفا من نظراته وفلسفته في الحياة . ثم أشير إلى أسلوبه الأدبي ، ثم أبين اعتزازه بعروبته وشرقيته، ثم أنبه إلى مؤلفاته الفنية بالانفعالات وبالتفكير .

ولد خليل السكاكيني في مدينة القدس سنة ١٨٧٨ ، وتوفي بالقاهرة في سنة ١٩٥٣ . وهو من أسرة عريقة في فلسطين من نحو أربعة قرون . وكان والده قسطندي السكاكيني يشتغل بتجارة الخشب والنجارة ، ويجيد مع لغته العربية : اللغات التركية واليونانية والروسية . وكان له منزلة بين قومه وفي طائفته وعشيرته، فانتخب ليكون مختارا أو عمدة للطائفة الأرثوذكسية وعضوا في مجلسها الملي .

وقد تخرج خليل من مدرسة إنجليزية بمدينة القدس وبعد أن أتم دروسه فيها رحل إلى إنجلترا ليستكمل من فن التربية والتعليم، وقصد منها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليستزيد من الدرس . وعاد بعد ذلك إلى القدس ليعمل بالمدرسة الصلاحية في سنة ١٩١٤ ، وصادق المرحوم رستم حيدر العراقي مديرها ، وعاونه في شئونها ، كما زامل فيها المرحوم الشيخ عبد العزيز شاويش المصري في تدريس اللغة العربية .

ولما دخل الجيش البريطاني فلسطين في الحرب الكبرى الأولى قبضت السلطة التركية على فقيدنا بتهمة المناوأة لها ، وسيق من القدس إلى درعا مكبلا ماشيا على الأقدام ، ونقل منها إلى دمشق حيث سجن في انتظار أقسى المحاكمة . ولعله شعر في تلك المحنة بقسوة الظروف على رغم صلابته وجلده . وينم عن ذلك كتاب له لولده يقول فيه: «مرضت في الثانية من عمرك ،

---

(١) ألقيت هذه الكلمة في الحفل الذي أقامه المجمع لتأبين المرحوم الأستاذ خليل السكاكيني في ٢٩ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٥ من يناير سنة ١٩٥٤م) .

وكان مرضك هائلا لم ير الأطباء له مثيلا . كنت أشبه بقطعة خشب ، لا ترى ولا تسمع ولا تحس . قطعنا الأمل منك مراراً ، وكنا نخشى إذا عشت أن تكون أعمى أصم أشل ، ثم عدت إلى الحياة ،وكأن ما مر بك من المرض لم يكن ، فحمدنا الله وعدنا إلى آمالنا فيك . وفى نحو الرابعة من عمرك - والحرب الكبرى فى أشد أدوارها - أخذنى الجند من فراشى . فودعتك وأنت نائم ، وخرجت وأنا لا آمل أن أرجع ، ثم ساقونى إلى دمشق مكبلا ، وأودعونى السجن إلى أن ترد أوراق اتهامى فأصلب . ثم فررت من دمشق إلى الصحراء ، وكلى أمل أن أعود إلى بيتى فأضمك إلى صدرى فأنسى بك ما مر بى من الأهوال ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ذهبنا إلى مصر ، فلم يلبث أن هاجمك مرض آخر أشد وطأة من مرضك الأول .

فى مرضك الأول كنت قطعة خشب ، وفى مرضك الثانى كنت جذوة نار ، ثم كتبت لك السلامة وعدت إلى الحياة وعدنا إلى الأمل .

ثم توالت الأيام : تارة تحلو وتارة تمر ، تارة نطمئن وتارة نقلق . فالحمد لله ، ثم الحمد لله . فأنت ونحن فى حاجة إلى السرور ، فافرح ما وسعك أن تفرح » .

ولما شاءت الأقدار أن ينجو الفقيد ويعود إلى داره بالقدس سالما جعل هذه الدار موئلا لزملائه وأصدقائه من المجاهدين العرب الذين كانوا يعملون لتحرير بلادهم ، وجمع فى بعضهم ، فقتل من قتل منهم شنقا ، وأهين من أهين ، وآلمه ذلك بمقدار ما يتألم الصديق الوفى الوطنى الكريم .

وفى هذا الوقت عين مفتشا للمعارف فى فلسطين ، وما لبث أن استقال من عمله هذا احتجاجا على تعيين مندوب سام لم يرق للعرب تعيينه . وهاجر إلى مصر وعين ناظراً للمدرسة العبيدية بالقاهرة . وراسل الصحف وكتب فى المجلات . وألقى فى مختلف الأندية القيم من الخطب ، وفى معاهد العلم القيم من المحاضرات . ثم عاد إلى القدس بعد أن نقل منها ذلك المندوب ، فعين مرة أخرى مفتشا للغة العربية ، وظل فى هذا العمل يحاول خدمة لغته فى مدارس وطنه ، إلى أن أسس لنفسه مدرسة داخلية أطلق عليها اسم مدرسة النهضة ، وأشاع فيها روح الوطنية والعروبة ، وجعل لمدرسته شعاراً هو : إعزاز الطالب لا إذلاله ، ورفع النفس لا خفضها .

وبعد أن ازدهرت مدرسته وآتت ثمراتها الطيبة لطلابها ولمؤسسها وأضفت عليه سمة المربى الناجح والشهرة المستحقة وبعض الثراء الجدير بأمثاله من العلماء القانعين ، صدم بوفاة زوجته الفضلى من نحو خمسة عشر عاما .

وكانت تلك الشريكة البارة هى خير ما يركن له فى هذه الحياة ، فهدت بفجيعته فيها كيانه القوى ، وألف فى ذكراها بين نثر ونظم كتابا كله دموع وحسرات ينطوى على أدب رفيع ، ومناجيات تهيج بها عواطف الحزن والأسى ، وتدفع إلى ضروب من التشاؤم والتمرد على الأقدار .

ومما كتبه فى ذلك : «مات أبى فحزنت عليه وبكيته دهراً طويلا ، ثم قلت وقال الناس : لا اعتراض على حكم القضاء . ثم ماتت أمى وقد أثقلتها السنون ، فحزنت عليها وبكيتها دهراً طويلا ، ثم قلت وقال الناس : لا اعتراض على حكم القدر .

أما الآن وقد عدت الأقدار على سيدتى وهى أصح الناس جسماً وأنعمهم بالا وهى راضية مطمئنة ، وهى محبوبة محترمة عند جميع الناس ، أما الآن فإنى من المعترضين ...

أيتها الأقدار : احكمى بما شئت ، أما أن تكلفينا الدعاء لك والرضا بحكمك فهذا لن يكون . لا يعزينى قولهم : إن الحزن غير طبيعى ولا ضرورى .

لا يعزينى قولهم : إن ألم الموت لا يزيد عن ألم الأمراض التى تتقدم وتؤدى إليه . وأن الحى إذا حل به الموت بطل حسه وألمه ، نعم . ولكن أهله يحسون ويتألمون ، فإذا أبطلتم حس الميت فأبطلوا حس الحى لو كنتم تقدرون ...

لا يعزينى أن أتمثلك فى ندى الصباح ، فى زهر الحديقة ، فى نجوم السماء ، فى كل معنى لطيف رائق ، فى كل شكل أو لون جميل .

ما أحرى هذا الخيال أن يجدد الحزن ويزيده ...»

بعد هذه الصدمة القاسية صدم فقيدنا فى موطنه الذى كان يهتم به ويقدسه ويراه أفضل وطن فى الأرض ، وفى داره التى تنسم فيها صفو العيش لمدى قصير بعد جهد كبير ، وتلمس من أركانها سعادة الحياة العائلية ومتاعها ، فزال البيت وزالت المدرسة وزالت المكتبة العزيزة ، بل زال الوطن المحبوب ، واكفهرت فى وجهه الحياة.

ولهذه المناسبة كتب عنه السيد عيسى الناعورى فى الملحق الأدبى لجريدة فلسطين ما يلى :

« كنت أزور السكاكينى فى الدار الأنيقة التى كان يملكها فى حى القطمون : أجمل أحياء القدس الجديدة ، فلا أجده قط إلا محاطاً بالإخوان والأصدقاء ، ثم زرته عام ١٩٥٠ فى بيته فى مصر ، وكان يقيم فى المنزل رقم ٧ شارع السلطان حسين فى مصر الجديدة ، فكادت الدموع تطفر من عينى ، إذ رأيت غرفة الاستقبال عارية إلا من بعض كراسى الخيزران القديمة ... بعد الدار الأنيقة الفخمة فى القدس وقاعات الجلوس والاستقبال المفروشة والمؤثثة بالأثاث الجميل الأنيق ... واستقبلنى «أبو سرى» بالبشاشة التى لم تفارقه قط ، وكان يخفى وراءها أقسى ألوان الألم الصامت . كان متلهفاً يريد أن يعرف كل شىء عن فلسطين ، وكنت أجيبه بما أعرف .

وحينما وقفت لأودعه كادت الدموع تتفجر من عينيه وهو يمسك بيدى لا يريد أن يفلتها .

وقد حملنى أمانة أن أزور القدس باسمه ، وألقى سلامه على كل إنسان وكل شارع وكل بيت وكل حجر وكل ذرة من ترابها ... »

وبعد ما تقدم من الصدمات فقد السكاكينى ولده فى أوائل العام الفائت . وكان ولده هذا موضع آماله فيما يريد أن يكون عليه الابن ، حين يحسن الأب تربية بنيه ، وحين يودعه سره ونفسه ، وحين ينشده لأرفع الآمال ، وحين يعتز ببنوته البارة .

وكانت هذه الصدمة الأخيرة هي القاضية على الفقيد، فلم يلبث بعدها إلا أشهراً.

وهذا الزميل الذي أصابته الأقدار بما أصابت من سجن وتشريد، وفقدان زوجة صالحة، وموت ولد وحيد في ريعان الفتوة: هذا الزميل عاش على مبادئ ونظرات في الحياة يصح أن تعتبر الدعامة لفلسفة تعز المثل العليا، وتقدر القوة وتشيد بالجمال وبساطة العيش، وتبشر بإنسانية راقية.

كتب لولده (سري) ص٨: «أتعيرني بركوب الجمال؟ والله إن أجمل أيامي وأنبلها هو ذلك اليوم الذي فررت فيه من دمشق في الحرب الكبرى مع عصبة من كرام الناس، ذلك اليوم الذي ركبت فيه الجمل واخترقت الصحراء وروحي في كفي، لم أشعر بالعظمة شعوري بها في ذلك اليوم. إذا ركبت أنت الطيارة لاهيا فقد ركبت أنا الجمل جاداً، ركبته متمرداً على ظلم البشر، هازئا بالأخطار...

لقد ركبت الطيارة بعد ركوب الجمل، ولكن شتان ما بين الطيارة والجمل. ركبت الجمل لمأرب صعب عال، وركبت الطيارة لأبصق على الدنيا...»

وكتب في القوة ما يلي ص٦٣: «لم يكن يروقني شيء يوم كنت أتردد على جامعة كولومبيا في نيويورك إلا مراقبة طلابها لاعبين، يثبون ويطفرون في الهواء؛ كأنهم كرات من المطاط. قد كنت في حياتي من المبرزين في كل الألعاب الرياضية.

لم أكن أصارع الطلاب واحداً واحدا، ولكن كنت أصارعهم جماعات. كنت أقف بينهم كأنني صخرة الوادي، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يدعي أني كنت أعتدي على أحد... ما من معركة خضتها إلا مدافعا عن ضعيف أو غاضبا على لئيم أو مغيثا لمستغيث».

وكتب في تقديره للجمال وبساطة العيش ومعاني الإنسانية ما يلي ص ٥٩:

«إني أعتقد أن البساطة عنوان الرقي. وقد يكون الإسراف في الترف والإغراق في الاستكثار من الزخرف وأدوات الزينة وسائر الكماليات دليلا على فقر النفس وخلوها من كل جمال، فيستعيض عن جمال نفسه بجمال ثيابه ورياشه...

كيف يهون عليك أن تنعم بالعيش وغيرك يشقى به؟ إذا وطنت النفس على الرضا بالبساطة فلا يهمني: أقبلت الدنيا أم أدبرت. اشتدت الأزمات أم انفرجت...

لا تسمو الأمم إلا إذا تنبهت فيها حاسة الجمال. فإذا تنبهت هذه الحاسة رأت في الفضيلة جمالا فلا تميل إلى الرذيلة. رأت في العلم جمالا فلا ترضى بالجهل. رأت في الحق جمالا فلا تميل إلى الباطل. رأت في الخير جمالا فلا تميل إلى الشر...

إذا أردت إنهاض أمة فنبه فيها حاسة الجمال ونم... خليق بنا إذا كنا أبناء آدم ألا نهنأ بالعيش إلا إذا عملنا على إزالة الشقاء والألم والظلم والفقر والمرض من هذه الأرض... لو وكل إلى الأمر لجعلت الغرض الأعلى للثقافة أن نحارب أسباب هذا الشقاء... يجب أن نعلم أولادنا أن يتطوعوا لخدمة الإنسانية».

بعد هذه الصورة من حياة السكاكيني

المفكر يطيب لى أن أشير إليه كأديب :

إن أصالته فى الأدب واضحة ، وكتاباته تعبير صادق لأحاسيسه وانفعالاته المتنوعة . وكانت تعبيراته وانفعالاته الدافقة تتجلى سائغة فى أسلوب من السهل الممتنع والتعبير الميسر النقى الخالى من التكلف والصناعة ، إذ كان يناوىء الصناعات اللفظية . وله فى ذلك كتابات ومساجلات مشهورة كان هو أحد أطرافها ، وكان طرفها الآخر المرحوم شكيب أرسلان ، والذى كان من أكبر البيانيين العرب فى العصر الحاضر ،

وكتب السكاكينى فى ذلك يقول (ص ١٧٠ مطالعات) : « الأسلوب الطبيعى للكتابة أن يكتب الإنسان كما يفكر وكما يتحدث . فمن حاول أن يكتب مالا يفكر فيه أو يتحدث به ، ومالا يلائم الحياة فى شىء فقد تكلف . »

ومن أظهر ما كتب فى أسلوبه السهل الممتنع ، تلك القطعة التى وصف بها موت زوجته : (لذكراك ص ٢) : « قضينا ليلتنا البارحة قياما خاشعين خافقين وأيدينا على قلوبنا وأبصارنا شاخصة . فقد اشتدت وطأة المرض على سيدتى وساءت حالها جـــدا ، ودخلت فى غيبوبة من أول الليل .. علت الزرقة شفتيها .. بردت أطرافها ... جعل جسمها يرشح بعرق بارد لزج . . سمعتها تقول لى : متى ؟ وتارة : يكفى ، وتارة : يا خليل .

وفى صباح يوم الثلاثاء جاء الطبيب ففحصها فحصا يسيرا ،وعلى وجهه علائم اليأس، فقالت له : لماذا تركتنى ؟ وهى آخر كلمة قالها المسيح وهو يخاطب الله فى السماء .

وفى الساعة العاشرة والربع فارقت الحياة ، يمثل هذا الأسلوب الأخاذ الخالى من كل صناعة كان يكتب خليل السكاكينى ويعبر عما يحس .

أما وطنيته العربية فكانت عن إيمان بالغ وصادق ، وكان هو صاحب النشيد القومى الذى غناه ثوار العرب بين دمشق وحوران ، عندما وصل فيصل إلى مشارف الشام مـــع الثورة العربية . وإذا كانت وطنيته العربية تجلت فى نشيده ومجالسه ، فطالما تجلت فى حبه للغة العربية وإيثارها وتقديسها . قال : ص ١٠ حاشية :

« لماذا يستسهل الناس لغاتهم على صعوبتها ولا نستسهل لغتنا على سهولتها بالنسبة إلى غيرها؟ بل لماذا لا أقول إن فريقا كبيرا منا انسلخوا عنا وانتحلوا النزعات الأجنبية ؟

اللغة ليست معرفة ،فقد نجد بين المستشرقين ، من يفوق علماء اللغة العربية فى معرفتها ، ولكنه لا ينزل من اللغة منزلة أهلها منها .

إنما اللغة حياة وتقاليد ، وعقائد وأخلاق ومقدسات ، إنما صاحب اللغة من يعنى بها لنفسها ، يحاول إعلاء شأنها ، من يفتخر بأنها لغته . من يتأدب بآدابها ويفكر على أساليبها . ومن ينظر إليها نظرة تقديس ، فكل كلمة فى لغته أجمل من كل كلمة ترادفها فى لغة أخرى .

إذن قبل أن نعمل على تيسير قواعد لغتنا يجب أن نجعل طلابنا عربا » .

وخليل السكاكينى يمضى من الاعتزاز بلغته وبقوميته العربية إلى الاعتزاز بكتاب العرب وشعرائهم وأدبائهم . فكتب فى ذلك يقول : (ص ٦٨ ما تيسر) :

« إن فى أدبنا مالا يقل عن الأدب الغربى قوة وحياة ، إذا لم يزد عليه ...

يقول نيتشه : عش فى خطر .

ويقول المتنبى :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العز فى لظى ، ودع الذل
(م) ولو كان فى جنان الخلود !

يقول نيتشه : نحتاج إلى الكبرياء لا إلى التواضع .

ويقول المتنبي :

إن أكن معجبا فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

لو رحت أقابل بين ما قاله المتنبي وما قاله نيتشه لوجدت - مع احترامى لنيتشه واعترافى بفضله - أن المتنبي يضع مائة نيتشه تحت ضبنه ... »

ثم تطاول من الاعتزاز بعروبته إلى الاعتزاز بشرقيته فيقول (ص ٩٦ سرى) : « حضارة الشرق كانت حضارات مبادىء. ذهب المسيحيون إلى الغرب يبشرون بأن الله أب ، ثم ذهب المسلمون إلى الغرب يبشرون بأنه لا إله إلا الله. وأما الغرب فاذا عمل ؟ رأى هنا زيتا فمد يده ليأخذ الزيت . رأى هناك مغاوص لؤلؤ فمد يده ليأخذ اللؤلؤ .. خذ الحرب الكبرى التى ذهبت فى سبيلها ملايين البشر .. أقامت لتحرر العبيد؟ أقامت لخدمة الإنسانية المعذبة ؟ لا. لا. إنما قامت لشهوات ومطامع !

كنت أكفر بالشرق وأومن بالغرب ، أما اليوم فإنى بالشرق من المؤمنين ، وبالغرب من الكافرين » .

ولولا ضيق الوقت لأطلت فى خلال السكاكيني وفى فنه كمعلم وكربب على طريقة الإغريق وفى أساليب الحوار والمناظرة .

أما أشهر تآليفه فهى : الاحتذاء بحذاء الغير ١٨٩٦ بالقدس . مطالعات فى اللغة والأدب ١٩٢٠ . فلسطين بعد الحرب الكبرى : ١٩٢٥ . سرى : ١٩٣٤ . حاشية اللغة : ١٩٣٨ . لذكراك : ١٩٤٠ . وعليه قس : ١٩٤٣ ماتيسر : ١٩٤٣ - ١٩٤٦ . الجديد : وهو خمسة أجزاء ... إلى رسائل أخرى . إلى مذكرات ويوميات لم تطبع بعد .

والممعن فى مؤلفات السكاكيني يجد فيها معالم التفكير الحى يتحلب تارة ، وتارة ينهمر من نفسية صريحة لا يستهويها التقليـــد .

وأحسبنى لا أحيد عن الصواب إذا قررت أن السكاكيني كان فيلسوفا ، عند ما يفهم من الفلسفة أن يخرج التفكير من ينبوعى العقل البصير والقلب الحساس ، فى صفاء وانسجـــام ، ليتآزرا فى إفهام الغير ما يجب أن يدرك ويحس ويؤثر فى الوجدان .

ولعل نزعات السكاكيني الفلسفية وطرافته تبدو أحيانا كمن يتناقض مع نفسه فى آرائه ، ويظهره فى صور تتعارض . ولكن الناظر المدقق يرد ذلك إلى حساسية فى نفسية الفقيد ، وإلى صراحتها ، وصدقها واستعدادها لضروب مختلفة من الانفعالات ، فهو من البشر الذى قد تتنازع عواطفه ، إلا أنه من البشر الراقى الذى يتسامى ما أمكنه التسامى ، ويحلق ما أمكنه التحليق .

ولقد صدق السيد إسحاق الحسيني إذ كتب عن الفقيد فى مجلة الآداب البيروتية ما يلى :

« إن السكاكينى أعظم من آثاره ، فأدبه الرفيع لم ير الناس منه إلا ومضات ، ولو أسعفه الزمن وأعانه على التعبير عن كامل أحاسيسه وآرائه ، لبدا عملاقا بين أقزام » .

والآن بعد أن أشرت إشارة عابرة إلى ما تيسر من حياة الفقيدين العزيزين : محمد كردعلى ، وخليل السكاكينى ، وأودعت كلمتى لها تحية متواضعة ، فإنى أشعر أن فى تلك التحية تحية للغة العرب التى أودعاها خير ما يبقى الإنسان من أنوار أفهامه ونبضات قلبه ومرامى أحلامه .

وإن فى تحية اللغة تحية للعروبة نفسها حين تتوثب عبقريتها فى صدور بنيها الأدباء النابهين لترفع إلى البشرية رسالة متميزة من الثقافة الخاصة التى تزود التراث الإنسانى بلون من الأدب الأصيل ، له طعمه الخاص ، ويزهر له عبيره المنفرد ، وبضوء ممتاز تتكشف به انفعالات العروبة وأحاسيسها .

مصطلحات فى الطب (1)

رخاوة العضل الخلقية Amyotonia congenita

علة يولد بها بعض الأطفال .

البق Cimex

حشرة من رتبة نصفية الجناح Hemiptera ومنها بق الفراش ويتغذى بدم الإنسان ، ولكن لم يثبت بعد أنه ينقل أمراضاً .

ومنها البق « المجنّح » من جنس كونورينوس Conorrhinus (مخروطى الخرطوم) — وينقل مرض « شاجاز » فى أمريكا الجنوبية .

قرحة كرلنج Curling's ulcer

وتصيب العفج ، وتنتج عن حرق كبير فى سطح البطن .

المضيف النهائى Definitive host

وهو المضيف الأصيل الذى يصل فيه الطفيل إلى طور البلوغ والتناسل .

الشحيزة Diathesis

حالة فى بنية الجسم تهيئه لمرض أو مجموع أمراض .

التهاب دماغى نخاعى منتشر حاد Encephalomyelitis, acute disseminated

(انظر الالتهاب الدماغى النخاعى Myeloencephalitis)

أنزيم Enzyme

إفراز يخرج من الخلايا الحية يحدث تغيرات كيماوية فى المركبات التى تحتويه دون أن يتغير .

---

(1) هذه المصطلحات وضعتها وعرفتها لجنة المصطلحات الطبية فى المجمع ؛ ثم عرضت على المجلس فى الدورة التاسعة عشرة وعلى المؤتمر فى الدورة العشرين ، فأقرت كما هى منشورة هنا .

Epinephrine — إبينفرين

عقار قابض للأوعية الشعرية وهو «الأدرينالين».

Eventration of the diaphragm — تبقب الحجاب الحاجز (إزدياد تقبب الحجاب الحاجز)

وهو ضمور خلقى فى الحجاب فى الجانب الأيسر فيرق ويرتفع فى الصدر.

Family periodic paralysis — الشلل العائلى الدورى

نوبات ارتخائية تصيب عدة شبان من الأسرة الواحدة ويصحبها نقص البوتاسيوم فى الدم.

Ferment — مخمّر

مادة كيماوية تخمّر ما تضاف إليه دون أن تتغير.

Haemorrhoids = Piles — الباسور (ج: بواسير)

الباسور مفردا طية سميكة من الغشاء المخاطى فى أسفل شق شرجى. وتطلق البواسير عامة على مرض يحدث فيه تمدد وريدى دوالى فى الشرج وغالبا تحت الغشاء المخاطى.

Hemiatrophy, facial — ضمور نصف الوجه

Hepatodiaphragmatic, interposition of the colon — تدخل القولون بين الكبد والحجاب

Inferior horn=Cornu inferius=Descending horn — القرن السفلى. القرن النازل

وهو القسم الأسفل من البطين الوحشى للمخ.

Inferior labial artery — الشريان السفلى الشفوى

فرع من الشريان الوجهى يغذى الشفة السفلى.

Influenza — الانفلونزا

مرض معد حاد سببه فى الغالب فيروسى. ويتميز بالحمى والتهاب رشحى فى القناة التنفسية أو القناة المعدية المعوية

Inscriptio tendinea — الخطوط الوترية

شريط أو حاجز وترى يفصل بين أجزاء عضلة.

Inspissation — التربيب

تغليظ القوام بتبخيره أو بتجريده، من بعض السائل.

صدمة الإنسولين Insulin shock

حالة تتميز بقصور فى الدورة الدموية بسبب زيادة جرعة الإنسولين فيقل سكر الدم ويحدث للمريض رعشه وعرق ودُوار وتشنجات، وتعالج بعض الأمراض العقلية بإحداث هذه الصدمة قصداً .

الحاجز الأُذَيْنى Interauricular septum (Septum—atriorum)

الحاجز بين أذيْنَتى القلب .

اللِّفافة بين العمودين Intercolumnar fascia

الغلاف بين العمودين الأُرْبِيَّين ويغطى الحبل المنوى والخصيتين .

المُضيِّف الوسيط Intermediate host

وهو الذى يمر فيه الطفيلى فى طوره اللّاجنسى .

غزارة الحَيْض Menorrhagia

وهو نزول الطَّمْث بمقدار أكبر من المعتاد .

مِرْكيروكروم Mercurochrome

مركب عضوى من الزئبق والبروم .

ميزانتُوين Mesantoin

عقار مضاد للتشنجات ويستعمل فى الصَّرَع ــ وتركيبه : مِثَيل ، فينَيل ، إيثيل هيدانتوين .

ألم العُرْش Metatarsalgia

ويحدث فى عُرْش القَدَم .

عداوى التوالى Metazoan infections

والتوالى الحيوانات العليا .

الشقيقة العَيْنيّة Migraine, ophthalmic

وتصحب عادة الألم العصبى ل « سلودَر » (Sluder's neuralgia) وهى شقيقة مصحوبة بكَمَش (غَطَش) أو باضطراب بصرى آخر .

متلازمة مِيكولِكز — سِنْدروم ميكولِكز Mikulicz syndrome

وهى ورم الغدد الدمعية واللعابية فى الجهتين، وقد يتبعها تغير فى الدم ولِيوكيمْيا وتضخم فى الطحال .

التوتر العضلى الضمورى ل « ملهرات » Milhorat myotonia atrophica

مرض وراثى يتميز بالتوتر العضلى والضمور والضعف وعتامات فى البلوريّة ، وفى الذكور ضمور فى الخصية .

لبن مُشَعَّع Milk, irradiated

(كمصدر لڤيتامين د) .

أنبوب « أبوت مِلرْ » Miller—Abott tube

وهى أنبوب معوى مزدوج يستعمل فى تشخيص وعلاج انسداد الأمعاء الدّقاق .

مرض مِلروىْ Milroy's disease

أوذيما وراثية فى الساقين .

الإسقاط Miscarriage

وهو إلقاء المرأة جنينها من الشهر الرابع إلى الشهر السابع .

علامة مِيبْيَس Moebius sign

عجز إبقاء المُقلتين فى وضع التقارب . وهو من علامات الجُوَتْر الجُحوظى .

تصلّب مُنكِبرْج Monckberg's Sclerosis

وفيه تتصلب الغلالة الوسطى للشرايين المتوسطة والصغيرة .

مونيليا ألبيكانْز Monilia albicans

فطر يسبب القُلاع .

مونيليا بِسلوزِس Monilia psilosis

فطر يكثر فى المصابين بمرض « الإسپرو » وقيل إن له علاقة بالمرض

المرض الأزرق Morbus caeruleus

اسم قديم لأمراض القلب الخلقية لأن العرض الواضح عند الولادة هو الزرقة .

مرض الفَحقَح الشيخوخي Morbus coxae senilis

وهو مرض مَفصِل الورك عند المسنين .

المرض البُقعى لـ « فرلهوف » Morbus maculosus of Werlhof

وهو فرفيرية نقص اللويحات .

مرض مُورتمر Mortimer's malady = Sarcoidosis

وهو مرض السَّركوِيدية (انظر المادة) .

غَروانية الفم الكاذبة (فى مرض فوردِيس) Mouth, pseudocolloid (of Fordyce's disease)

وهذا المرض تحدث فيه حبات صغيرة صفراء قلما ترتفع عن سطح الغشاء المخاطى للشفة والشدقين ، محتوياتها بروتينية شحمانية ، وهو مجهول السبب .

الفُطرية المُخاطيّة Mucormycosis

فُطرية سببها فطر من جنس المخاط «ميوكر» يصيب الرئة عادة ، ولكن قد ينتقل منها خراجات فى مختلف الأعضاء .

الكَمأة Mushrooms

نوع من الفُطر .

تبدُّلية النيموكوكس Mutability of pneumococcus

وهو تغير مطرد ينتقل فى صفات الخلف عن السلف .

تورُّم فُطرى Mycetoma

عدوى فُطرية ترم فيها القدم غالباً ، فتسمى قدم مادورة .

(مادورة اسم بلد فى الهند) .

مَيكوبَكتيريَم لِبرِى Mycobacterium leprae

وهو جرثومة عَصَوية وكان يسمى باسيل الجذام .

الانتشار (ا . س . فقه اللغة) Mydriasis

وهو اتساع البؤبؤ .

تلف ميالينى* Myelenoclasis

التهاب دماغى نخاعى Myeloencephalitis

ويسبب ليانا فيا حول الأوعية بتلف الميالين .

ليان النخاع الشوكى Myelomalacia

ويحدث بسبب سوء تغذية الجزء المصاب .

التهاب النخاع والجـــذور Myeloradiculitis

مرض يشك فى أنه فيروسى ويصحبه التهاب فى الدماغ والنخاع وجـــذور الأعصاب المحيطة .

البول الميوجلوبينى — بول الجلوبيولين العضلى Myeglobinurea (s)

مرض يفرز فيه ميوجلوبين العضلات المختلطة فى البول — يحدث فى الخيل ونادرا الانسان فى متلازمة (سندروم) الهرس .

التهاب عضلى تريكينى Myositis, trichinous

وهو ناشئ من تكيس يرقات التريكينا فى العضلات .

التوترالعضلى الضمورى الخلقى Myotonia atrophica, congenita

مرض وراثى أهم أعراضه الارتخاء البطىء للعضلات بعد انقباضها والضمور العضلى وعتامات فى البلورية وضمور فى الخصية .

مكسيديما الصبا Myxedema, Juvenile

مرض يحدث فيه نقص إفراز الغدة الدرقية يصحبه انخفاض فى الأيض (الميتابولسم) وحساسية للبرد وسقوط الشعر وارتشاح شبه مخاطى فى الجلد .

النرجسيّة Narcissism

شذوذ جنسى فيه يشتهى الشخص ذاته — منسوب إلى « نارسيسوس » معبود عند اليونانيين يزعم أنه كان يعشق ذاته .

* أعيد هذا المصطلح إلى اللجنة لتعريفه .

غثيان — Nausea

هو الشعور بالميل للقيء .

نيكاتور أمريكانوس — Necator americanus

جنس من الديدان الشصية ويسبب أنكلستومية أمريكا .

فقر دم الزنوج — أنيمية الخلايا المنجلية — Negro sickle—cell anemia

نوع من فقر الدم يحدث أصلا فى السود ونادرا فى البيض . ويتميز بنقص الحمر . يكون بعضها منجلىّ الشكل — وأعراضه شبه روماتزمية وقرح فى الرجلين وتغيرات فى العظام .

نيسيريا — Neisseria

مكورات جرثومية منسوبة إلى الطبيب الألمانى نيسر .

نفاس (بسيكوز) الجهاز العصبى — Nervous system psychosis

اضطراب عقلى يصحب بعض الأمراض العصبية العضوية الزهرية كالضنى الظهرى «تيبس دورسالس» .

نوراستينيا — الوهن العصبى — Neurasthenia

عصاب نفسانى مصحوب بتهيج إعيائى يعقب الإنهاك الجنسى والأمراض المعدية والجوع والرضاعة والأرق والحزن والتوهم .

التهاب دماغى وبائى — Neuraxitis, (epidemic)

التهاب العصب — Neuritis

التهاب فى نسيج العصب ينتج عنه اضطراب فى وظيفته حركيا كان أو حسيا .

التهاب العصب خلف المقلة — Neuritis, retrobulbar

ويحدث فى عدوى المشبر .

العصاب — Neuropathy, Neurosis

اضطراب نفسى أو عقلى .

زهرى الجهاز العصبى السحائى الوعائى — Neurosyphilis, meningovascular

ويصيب غالبا الأوعية الدموية فى قاعدة المخ .

زهرى الجهاز العصبى الخذلى — Neurosyphilis, paretic

وتحدث التغيرات الوعائية الزهرية نقصا فى تغذية المادة المخية — وينشأ عنها خذل فى العضلات التى تغذيها الأعصاب الجمجمية أو فالج خفيف .

زهرى الجهاز العصبى قُبَيْل الوضع — Neurosyphilis, prenatal

وهو الزهرى الذى يصيب الجنين فى أواخر الحمل .

نقص البيض المتعادلات — Neutropenia

وهى الكريات البيضاء التى تتلون حبيباتها بالأصباغ المتعادلة — وهذه الحالة هى نقص المُحببات : (Agranulocytosis)

مرض نيكولاس فافر — Nicolas—Favre disease

وهو مرض تناسلى معد يتمين بآفة أولية يعقبها التهاب حاد فى الغدد اللمفية ، مصحوب بتقيح ونواسير ويندمل بتكون ندب وسببه فيروس رشيح .

(انظر التورم الحُبَيْبى اللمفى الزهرى ....Lymphogranuloma venereum)

حمى نيلسن — Nielsen - fever, Nine - MileFever=Queensland fever, Q-fever

وهى حمى تسببها رِكيتسيا بيورنيتى .

آكلة الفم — غنغرينا الفم — Noma = Cancrum oris

وهى التهاب الفم الغنغرينى .

مُتلازِمة (سِندروم) نونا — Nonne syndrome

وهى وجود بروتين زائد فى السائل الرائق للنخاع الشوكى.

النواة — Nucleus

ا — جسم حويصلى يحده غشاء به نُوَيّة وكروماتين وبدونه لا تحيا الخلية .

ب — مجموعة من الخلايا العصبية فى الجهاز العصبى المركزى .

النواة اللبية — Nucleus pulposus

وهى كتلة مرنة لينة فى وسط القرص الفقارى .

انفتاق النواة اللّبية — Nucleus pulposus, extrusion of

خروج نواة القرص بين الفقرات .

الوسوسة القسرية — Obsessive compulsive

وهى انشغال بفكرة تسيطر على العقل فتحرضه على أعمال خرقاء .

مُعقّد «أوديب» — Oedipus complex

شذوذ جنسى مظهره عشق الأم .

أونكوسركا فولفيلس — Onchocerca volvulus

دودة خيطية من عائلة الفيلاريا تصيب الأنسجة تحت الجلدية فى الإنسان .

أنكوسركية — Onchocercosis

مرض بدودة الأنكوسركا .

أبستورخس فيلينيس — Opisthorchis felineus

تريماتودا فى سيبريا تصيب كبد الإنسان والكلاب والقطط .

خميرة — Yeast

مصطلحات فى الكيمياء [1]

سبيكة (من ذهب أو فضة) Bullion

هى كتلة من الذهب أو الفضة مصبوبة على صور معلومة كالقضبان ونحوها .

الصيغة التجريبية Impirical formula

هى أبسط الصيغ التى تخرج مباشرة من التحليل الكمى الأولى لمادة ما وهى تبين أقل عدد من الذرات يكون فى المركب كما تعطى النسبة الصحيحة بين عدد ذرات العناصر فى داخل الجزىء .

العقد Congealation

هو أن يغلظ سائل أو يجمد بالتبريد أو التسخين .

المقوم (ج . مقومات) Constituent (-s)

الأجزاء المقومة Constituent parts

هى الأجزاء التى يتكون منها شىء ، وقد تطلق على عناصر المركب الكيميائى .

مركب (ج . مركبات) Component (-s)

الأجزاء المركبة Component parts

هى الأجزاء التى يتركب منها شىء ، وقد تطلق على عناصر المركب الكيميائى .

الصيغة التقويمية Constitutional formula

الصيغة الدالة على كيفية اتحاد العناصر بعضها ببعض لتكوين مركب .

قارورة مخروطية Conical flask

وعاء مخروطى الشكل يصنع عادة من الزجاج .

قبابة — قنينة — قارورة Flask

أوعية من الزجاج أو نحوه على أشكال شتى .

---

(١) هذه المصطلحات وضعتها وعرفتها لجنة الكيمياء والطبيعة فى المجمع ، ثم عرضت على مجلس المجمع فى الدورة التاسعة عشرة وعلى المؤتمر فى الدورة العشرين فأقرت كما هى منشورة هنا .

الوصلة المزدوجة — Conjugated double bonds

هو التركيب الذى يكون فيه وصلتان ثنائيتان فى الجزىء متصلتان بوصلة أحادية مثل ..Butadiene البيوتادين ورمزه الكيميائى : كيد٢ = كيد — كيد = كيد٢

الازدواج — Conjugation

هو أن يقارن بين وصلتين ثنائيتين بوصلة أحادية .

نحاس — Copper (Cu)

عنصر فلزى يوصف عادة بالأحمر لقرب لونه من الحمرة عدده الذرى ٢٩ ووزنه الذرى ٥٧ و٦٣ كثافته ٩٥ و٨ جم/سم ٣ وينصهر عند ١٠٨٤° م .

مثقاب فلين — Cork borer

اسطوانة معدنية جوفاء أحد طرفيها حاد وعلى الطرف الآخر يد عمودية من الحديد وبها يبرم المثقاب ليدخل الطرف الحاد فى الفلين .

مضغاط فلين — Cork press

آلة صغيرة يوضع بين فكيها قطعة الفلين لتصغير حجمها بالضغط بين الفكين .

بوتقة — بودقة — Crucible

وعاء من الفخار أو النيكل أو البلاتين وأشباهها . تستخدم عادة فى تسخين المواد تسخينا شديدا بقصد تكليسها غالبا .

النفط — Naphtha

هو قطارة طيارة تستخرج بتقطير مصادر كربونية مختلفة كقطران الفحم . وعندئذ تسمى بالنفط الخام . وكتقطير زيت البترول . وعندئذ تسمى بالقطران المعدنى .

النفط الخام — Crude Naphtha

انظر النفط .

زيت البترول — Petroleum Naphtha

انظر النفط .

بلورى — متبلور — Crystalline

كل مادة بناؤها من بلورات .

بلورة Crystal

كل مادة صلبة مشكلة تشكيلا هندسيا خاصا بتوزيع منظم للذرات أو الجزيئات المكونة لهـــا ، والمواد المتبلورة تنصهر فى درجات حرارة ثابتة .

حلقى Cyclic

صفة للمركبات التى تتحد كل أو بعض ذراتها المكونة لجزيئاتها على شكل حلقة مقفلة مثل البنزين والطلوين .

مطيلية Ductility

صفة لقابلية الجسم لأن يمطل ، وذلك بسحبه علـى شكل سلك أو بطرقه علـى شكل صفائح .

مطيل Ductile

صفة للجسم القابل لأن يمطل .

أهمد Deactivate

إذهاب النشاط الكيميائى أو الطبيعى لمادة ما .

الإهماد De - activation

إذهاب النشاط عن جسم كيماويا .

هامد Inert

صفة للجسم الفاقد النشاط الكيميائى .

الغازات الهامدة Inert-gases

الغازات الفاقدة النشاط .

نزع الأمين Deamination

هو أن تنزع مجموعة الأمين (ن يد ٢) من مركب كيميائى .

نزع البروم De-bromination

هى العملية التى يتم بها نزع البروم من المركب الكيميائى .

نزع الكلور De-chlorination

هى العملية التى يتم بهـــا نزع الكلور من المركب الكيميائى .

De-hydrogenation
نزع الإيدروجين
هو إزالة الإيدروجين المتحد فى مركب ما .

Decant
صفق
تسكب سائلا من إناء لإناء آخر بقصد تصفيته من رواسب به .

Decantation
التصفيق
مصدر الفعل صفق .

Normal solution
محلول عيارى
هو المحلول الذى يحتوى اللتر منه الوزن المكافئ بالجرامات للمادة المذابة كالحوامض والقلويات ، ويستخدم فى معايرة سوائل أخرى .

Decinormal solution
محلول عُشَيْرى
هو المحلول الذى يحتوى اللتر منه عشر الوزن المكافئ بالجرامات للمادة المذابة كالحوامض والقلويات ، ويستخدم فى معايرة سوائل أخرى .

Decolourisation
النصول — التنصيل — الإنصال
هو إزالة اللون أو قصره ، ويتم ذلك بالاختزال أو التأكسد أو الامتزاز .

Decolourise
نَصَل — نَصَّل — أنصل
زال أو أزال اللون من سائل أو جسم .

Decomposition
تحلل — تحليل — انحلال
هو تحليل مركب إلى العناصر التى يتكون منها أو إلى مركبات أبسط منها ، ويكون هذا التحليل بوسائل مختلفة منها الحرارة والكهرباء أو فعل البكتريا ... الخ .

Delta
دال
الحرف الرابع من حروف الهجاء فى اللغة اليونانية .

Delta-iron
الحديد الدالى
صورة من صور الحديد تكون ثابتة بين درجتى الحرارة ١٤٥٠ م° ودرجة الانصهار وهى ١٥٣٥ م° .

كثافة Density

مقدار الكتلة فى وحدة الحجوم .

سمط الشعر Depilate

أزال الشعر من الجلد كما فى تهيئة الجلد للدباغة ، وذلك باستخدام مواد كيميائية مثل كبريتيد الكالسيوم .

السمط Depilation

مصدر الفعل السابق .

جفّف Desiccate

نشف الماء من مركب.

تجفيف Desiccation

مصدر الفعل جفّف .

مجفّف Desiccator

إناء زجاجى له غطاء محكم توضع به مادة ناشفة مثل خامس أكسيد الفسفور ، ويستعمل لتجفيف المواد الكيميائية .

يكشف Detect

يبحث عن وجود مادة ما فى مادة أخرى بطريقة طبيعية أو كيميائية أو ليستبين ظاهرة من الظواهر الطبيعية .

الما ُيكشف ectable

ما يمكن الكشف عنه .

بكميات تكشف detectable quantities

بكميات يمكن الكشف عنها .

كشف ection

مصدر الفعل كشف .

سكر العنب ــ جلوكوز Dextrose - Glucose

نوع من السكر يوجد فى العنب ، وفى كثير من الفواكه ، وفى عسل النحل . وهو بلورات عديمة اللون تذوب فى الماء ، حلوة المذاق ، تنصهر عند درجة ١٤٦° م. ويوجد أيضا فى بول المصابين بمرض السكر نتيجة ازدياد نسبته فى الدم عن المعدل الطبيعى وصيغته الكيميائية ك ٦ يد ١٢ ا ٦ .

تخفيف Dilution

هو أن تقلل درجة تركيز محلول بإضافة كمية من المذيب .

ذوب ــ أذاب Dissolve, to

هو أن تمزج مادة فى مادة فتذوب إحداهما فى الأخرى وتتكون منهما مادة واحدة .

تقطير Distillation

تحويل سائل إلى بخار بالتسخين ، ثم تكثيفه إلى سائل بالتبريد .

قُطارة Distillate

السائل الذى نحصل عليه من عملية التقطير .

مصنع تقطير Distillery

المكان أو المصنع الذى تجرى فيه عملية التقطير .

جهاز تقطير Distilling apparatus, Still

الجهاز المستخدم فى عملية التقطير والمستخدم منه فى المعمل يصنع عادة من الزجاج .

وصلة ثنائية Double bond

انظر تعريف وصلة .

قَطّارة Dropper

هى عادة أنبوبة زجاجية ضيقة مسحوبة الطرف تستخدم فى سكب سائل على شكل قطرات وكثيرا ما تستعمل فى سكب الدواء .

قارورة قَطّارة ــ زجاجة قطارة Dropper flask

هى قارورة مثبت عليها قطارة .

Dry, to
جف — جفف
إزالة الرطوبة من أى جسم أو مادة بالتسخين أو باستخدام المواد المجففة أو بغير ذلك من الوسائل.

Drying
تجفيف
مصدر الفعل جف — جفف .

Drying oil
زيت جفوف
الزيت الذى يتجمد بعرضه للهواء الجوى ، مثل زيت بذرة الكتان وغيره .

Dye
الصبغة
مادة ملونة تستخدم لتلوين الأقمشة وغيرها بإذابتها فى الماء عادة أو غيره من السوائل . ويشترط أن تكون المادة الملونة لها ثبوت على الماء والضوء ومحلول الصابون .. الخ ومعظم مواد الصباغة تحضر صناعيا من مركبات تنتج من قطران الفحم أو من البترول الخام ، وقليل منها من أصل نباتى كالنيلة ، وأصل حيوانى كالقرمز .

Earthenware
فخارى — فخار
كل شىء يشكل من عجينة الطفل ، تجفف ثم تحرق بالنار .

Edible
اليؤكل
كل ما هو قابل لأن يؤكل .

Electric oven
الفرن الكهربائى — (الكهربى)
هو فرن مصدر الحرارة فيه الكهرباء .

Emission spectrum
طيف الاشماع
الطيف الذى ينبعث من المادة حين تثار ذراتها بالحرارة أو غيرها .

Emulsion
مستحلب
هو سائل يتركب من مادتين سائلتين إحداهما معلقة ، كجسيمات مجهرية صغيرة منتشرة فى مادة السائل الآخر ، مثال ذلك اللبن .

عامل الاستحلاب ـــ مستحلب Emulsifying agent, = Emulsifier

مادة تضاف إلى المادتين المذكورتين في تعريف المستحلب لتحفظه على الصورة الموصوفة وذلك يمنع الجسيمات المجهرية المنتشرة من الاتصال ، فالتمازج فالانفصال عن المادة الأخرى التي هي منتشرة فيها ، مثال ذلك الصمغ يضاف إلى مستحلب من دهن وماء .

مستحلبة Emulsifier=Emulsifying machine

الآلة التي تصنع المستحلبات .

يستحلب Emulsify, to

يصنع مستحلبا

انزيم Enzyme

هي مادة عضوية تتخلق في الكائنات الحية لتساعد على التفاعلات الكيميائية .

معادلة Equation

هي صورة رمزية كتابية لجزيئات المواد قبل تفاعلها وبعده ، بين طرفيها علامة (=) تدل على تساوي الطرفين في المقادير .

زيوت عطرية Essential oils

هي زيوت طيارة ذات رائحة توجد في النبات وبخاصة أوراقه ، وأزهاره ، وأثماره ، وهي عادة مستحبة عند الشم .

إستر Ester

مركب عضوي يتكون باتحاد الكحول بحامض عضوي مع انفصال الماء مثل خلات الاثيل .

أستر ـــ تأستر Esterify, to

الفعل من أستر .

أسترة ـــ تأستر Esterification

مصدر الفعل أستر ـــ تأستر.

القيمة الأسترية Ester - value

هو عدد المليجرامات من البوتسة الكاوية اللازمة لتصبين جرام واحد من مادة دهنية .

يستخلص — Extract, to

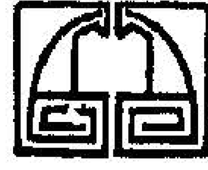
هو أن تستخلص مادة من أصل لها ويكون فى المواد العضوية بالإذابة فى سائل يذوب فيه المستخلص ، ويكون فى المواد غير العضوية بطرائق أخرى كالصهر ونحوه — ومثال ذلك استخلاص الذهب من التبر والرصاص والنحاس وأشباهها .

خلاصة — Extract

الشىء المستخلص .

دهن — شحم — Fat.

مادة يخلقها النبات أو الحيوان وهى دسمة وجامدة فى درجة الحرارة العادية وتتألف من حامض عضوى وجلسرين ، وتسمى زيتا إذا وجدت فى أجواء تسيلها .



من ألفاظ علم الحيوان فى المعجم اللغوى الوسيط [1]

١ — الحُراف

المعجم : حية مظلم اللون يضرب إلى السواد إذا أخذ الإنسان لم يبق فيه دم إلا خرج (ل) .

اللجنة : لم يستدل عليها .

٢ — الحُرْف

المعجم : هو الحُراف .

اللجنة : لم يستدل عليها

٣ — الحُساس

المعجم : سمك صغار بالبحرين يجفف حتى لا يبقى فيه شىء من مائة (ل) .

اللجنة : الحُساس وواحدته حُساسة وهو الهف وواحدته هفّة والمازبا هو Atherina forskalii من جنس Atherina من الفصيلة الحُساسية Atherinidae من التليوستيات Teleostei من قسم الأسماك Pisces وهو سمك صغار يصل إلى ما يقرب من عشرة سنتيمترات تقريبا جسمه ممدود أسطوانى فضى اللون إلى الخضرة . وعليه نقط كثيرة سود . ويميل لون مقدمه وشفتيه إلى السواد ، أسنانه دقيقة . وله زعنفتان ظهريتان يوجد بالأمامية منهما عدد قليل من الأشواك الضعيفة . وبالخلفية عدد قليل من الأشعة الزعنفية اللينة . ويوجد بزعنفتها الحوضية شوكة واحدة وخمسة من الأشعة الزعنفية ويعيش فى البحر الأحمر وعلى الشاطئ الشرقى من أفريقية وفى المحيط الهندى والبحرين . ويجفف هذا السمك فى الشمس ويصدر من بلاد البحرين إلى بلاد الهند وإلى جهات كثيرة .

(اللسان — الدميرى — المعلوف)

٤ — الحشيب

المعجم : عظم فى باطن الحافر بين العصب والوظيف (ل) .

اللجنة : الحشيب عظم فى باطن الحافر بين العصب [2] والوظيف . ويتكون من ثلاث سلامى. Phalanges السلامية الطويلة الأولى المتصلة بالوظيف والسلاميتين الصغيرتين اللتين فى باطن الحافر . والوظيف هو العظمة الطويلة التى تسمى Metacarpus والعصب هو الرباط Ligament (التاج).

---

(١) هذه الألفاظ قدمت من لجنة المعجم اللغوى الوسيط إلى لجنة علوم الأحياء والزراعة فى المجمع فنظرتها وأحالتها إلى المجلس والمؤتمر حيث أقرت فى الدورة العشرين .

(٢) المقصود بالعصب هو الرباط Ligament.

٥ — الحَوْشَب

المعجم . موصل الوظيف فى رسغ الدابة — عظم فى باطن الحافر بين العصب والوظيف — حشو الحافر — الرسغ (ل) .

اللجنة : الحوشب هو الحشيب . (انظر المادة) .

٦ — الحوت

المعجم : العظيم من السمك (مص) .

اللجنة : الحوت يطلق على أنواع كثيرة من رتبة الحوتيات Cetacea من قسم الثدييات Mammalia وهى من الثدييات المائية كبيرة الحجم التى تشبه الأسماك فى شكلها العام . وقد يصل البعض منها إلى ثلاثين متراً . وعلى خلاف معظم الثدييات الأخرى لا يوجد على أجسامها سوى قليل من الشعر . وتوجد طبقة غليظة من الشحم تحت الجلد لحفظ حرارة الجسم . ويداها متحولتان إلى مجدافين ، وليس لها رجلان . وينتهى ذنبها بزعنفة مستعرضة تساعدها على الطفو فوق سطح الماء لسهولة التنفس . وتوجد فتحتا الأنف فى أعلى الرأس والحيتان حيوانات ولودة ، وتلد الأنثى حوتا واحدا عادة فى كل مرة وتتراوح مدة الحمل من ١١ إلى ١٦ شهرا حسب النوع . وترضع الأم وليدها من ثديين فى مؤخر بطنها .

ومن أشهر الحيتان :

حوت الأرض الخضراء Balaena mysticetus (Greenland Whale)

وحوت العنبر Physeter macrocephalus ويستخرج منه العنبر وكذلك مَنّ القيطس : Spermceti وهو دهن صلب يوجد بالرأس . ويستعمل فى شمع الإنارة وفى تحضير بعض المراهم .

(الدميرى — المعلوف)

٧ — اليربوع

المعجم : دويبة (ج) يرابيع .

اللجنة : اليربوع أو الجربوع أو الدرص أو ذو الرميح هو Jaculus jaculus=Dipus aegypticus من جنس Jaculus من الفصيلة اليربوعية Dipodidae من رتبة القوارض Rodentia . من الثدييات Mammalia . حيوان صغير على هيئة الجرذ الصغير وفى حجمه تقريبا إذ يبلغ طول جسمه ما يقرب من أحد عشر سنتيمترا وله ذنب يبلغ طوله سبعة عشر سنتيمتراً وينتهى بخصلة من الشعر . وهو قصير اليدين جداً طويل الرجلين ويتحرك فى قفزات متتالية إذ يدفع الأرض برجليه الطويلتين دفعا قويا . ولا يستخدم يديه أثناء تحركه . ولونه أصفر فى لون الرمال . ويعيش فى صحارى مصر والسودان وشمال أفريقية وفلسطين وبلاد العرب . حيث يحفر لنفسه أنفاقا يعيش بداخلها . ويخرج منها إذا أراد الغذاء .

(الدميرى — المعلوف)

٨ — الرُّتَيلاء . والرُّتَيلا

المعجم : ضرب من الهوام — وضرب من النبات .

اللجنة : الرُّتَيلاء والرُّتَيلا هي Chaetopelma shapati من الفصيلة الرتيلائية Chaetidae من رتبة العناكب Araneida من قسم العناكب Arachnida من المفصليات Arthropoda . وهي نوع من العناكب الكبيرة السامة . لونها بين صفرة وسواد . ينقسم جسمها إلى منطقتين . تشمل الأمامية منهما الرأس والصدر مندمجين معا . والخلفية هي المنطقة البطنية وهي كروية لينة وغير مقسمة إلى حلقات ، وتتصل بالمنطقة الأمامية بعنق ضيق . وللرتيلاء ثمان عيون بسيطة في صفين . ويوجد في مقدم المنطقة الأمامية زوج من الكلاليب الخطافية تفتح في نهايتها الغدد السامة ، يعقبهما زوج من الشوارب الفكية ثم أربعة أزواج من الأرجل القصيرة . وتوجد الرتيلاء في شمال أفريقية ومصر وفلسطين وسورية والعراق وبلاد العرب .

(التاج — القزويني — الدميري — المعلوف)

٩ — الرُّخ

المعجم : نبات لين رخو هش — طائر كبير — قطعة من الشطرنج .

اللجنة : الرُّخ طائر خرافي بالغ القصصيون القدامى كثيرا في وصفه . وقيل إنه طائر كبير الحجم جدا وإن بيضه كالقباب الكبيرة كما بولغ أيضا في قوته .

(التاج — داود — الدميري — القزويني — المعلوف)

١٠ — الرَّخَم

المعجم : طير على شكل النسر مبقع بسواد وبياض .

اللجنة : الرَّخَم وواحدته رَخَمة وتعرف أيضا بالأنوق . وهي Neophron p. percnopterus من الفصيلة النسرية Vulturidae من رتبة الصقريات Falconiformes من قسم الطيور Aves وهو طائر غزير الريش أبيض اللون مبقع بسواد ، له منقار طويل قليل التقوس رمادي اللون إلى الحمرة وأكثر من نصفه مغطى بجلد رقيق . وفتحة الأنف مستطيلة عارية من الريش . وله جناح طويل مدبب يبلغ طوله نحو نصف متر . والذنب طويل به أربع عشرة ريشة . والقدم ضعيفة ، والمخالب متوسطة الطول مقوسة قليلا وسوداء اللون . ويستوطن هذا الطائر المناطق المجاورة للبحر الأبيض فيوجد في أفريقية ومصر ، وينتشر شرقا حتى التركستان والهند الشمالية الغربية .

(القزويني — الدميري — الجاحظ — المخصص — المعلوف — الحسيني — النجومي)

١١ — الرَّضيم

المعجم : طائر .

اللجنة : لم يستدل عليها

١٢ — الرَّعّاد

المعجم : ضرب من السمك إذا مسه الإنسان أو مس شيئا هو به ارتعدت يداه ما دام حيا .

اللجنة : الرّعاد أو الرعاش والواحدة رعادة ورعاشة هو Malopterurus electricus من الفصيلة السلورية Siluridae من رتبة التليوستيات Teleostei من الأسماك : Pisces وهو نوع من السمك إذا مسه الإنسان ارتعدت يداه مادام السمك حيا . لون ظهره رمادى أو بنى أو به يسير زرقة وبطنه أبيض . ويوجد على جسمه عادة نقط أو بقع سود . وظهره مفلطح كما به أخدود طولى وله زعنفة ظهرية لحمية كبيرة الحجم ليست بها أشواك ولا أشعة زعنفية . وبالزعنفة الشرجية ثمان أشعة بسيطة وأربع متفرعة ، والزعنفة الذيلية مستديرة الحافة . وقد يصل طول الرعادة نحو نصف متر ، وهو منتشر فى كثير من الأنهار الأفريقية وخصوصا فى نهر النيل .

(اللسان — التاج — بولنجيه — المعلوف)

١٣ — الرّغّاء

المعجم : طائر صوته رغاء أو كثير الصوت متتابعه .

اللجنة : لم يستدل عليها .

١٤ — الرفرف

المعجم : ضرب من السمك البحرى .

اللجنة : لم يستدل عليها .

١٥ — الأرنب

المعجم : حيوان .

اللجنة : أرنب أو خرنق للذكر والأنثى . وأرنبة للأنثى (ابن سيده) ويقال للذكر الخُزَز والجمع خِزّان وأخزه وللأنثى عِكرشة . يطلق على حيوانات جنس Lepus من فصيلة الأرانب Leporidae من رتبة القوارض Rodentia من قسم الثدييات Mammalia وهى حيوانات كثيرة الانتشار يغطى جسمها فراء ناعم وشفتها العليا مشقوقة حتى فتحة الأنف مما يجعل القواطع ظاهرة . ويوجد على مقدم رأسها عدد من الشعيرات الطويلة الحساسة

التي تعرف بالشوارب . ولها أذنان طويلتان متحركتان ، واليدان أقصر من الرجلين . ويوجد في اليد خمس أصابع تنتهي بمخالب قرنية . وبالقدم أربع أصابع فقط . ومنه نوعان . الأرنب المصري Lepus aegyptius وهو البري الموجود في الصحراء والأرنب الأهلي Lepus cuniculus.

(اللسان — التاج — القزويني — المخصص — المعلوف)

١٦ — الزُّرزور

المعجم : الزُّرزور والزُّرْزُر طائر .

اللجنة : تطلق كلمة الزُّرزور على طيور جنس Sturnus من الفصيلة الزرزورية Sturnidae من رتبة العصفوريات Passeriformes من الطيور . Aves وهي أكبر قليلا من العصفور . ولها مناقير طويلة ذات قاعدة عريضة وتكاد تكون مستقيمة . ويغطي فتحة الأنف غشاء قرني . وأجنحتها طويلة مدببة . وهي تتغذى بالحشرات والديدان وتستوطن أوروبا وشمال آسيا وأفريقية . ومن أنواعها زُرزور خايش أوروبي . Sturnus vulgaris

(الدميري — القزويني — المعلوف — النجومي)

١٧ — الزَّرافة

المعجم : حيوان .

اللجنة : الزَّرافة هي Giraffe camelopardalis من جنس Giraffe من فصيلة الزرافة Giraffidae من رتبة الحافريات Ungulata من الثدييات Mammalia وهي أطول ذوات الأربع قاطبة . والذكر منها أطول من الأنثى . وقد يصل ارتفاعه إلى خمسة أمتار ونصف تقريبا وعنقها طويل جدا . ورجلاها أقصر من يديها . ويحمل الرأس (في الذكر والأنثى) قرنين قصيرين يغطيهما الجلد . ولون الزرافة أصفر مغبر . وجسمها مبقع ببقع كبيرة محمرة أو مصفرة أو داكنة . وهي من العواشب . وتتغذى بأوراق الأشجار وأطراف أغصانها . وهي حيوان وجل سريع العدو . وموطنها أفريقية . ويوجد منها صنفان :

زرافة سودانية Giraffe camelopardalis

زرافة صومالية Giraffe camelopardalis reticulatus

(الدميري . المعلوف)

١٨ — الزُّرَّق

المعجم : الذكر من البازى .

اللجنة : الزُّرَّق تطلق على الطيور من جنس Elanus من فصيلة العُقاب النَّسرية Pandionidae من رتبة الصقريات Falconiformes من قسم الطيور : Aves وتتميز بامتلاء أجسامها وكبر حجومها ومناقيرها الكبيرة الواضحة التقوس الحادة الأطراف . والقدم قوية والأصابع مزودة بمخالب حادة جدا بادية التقوس . والجناح طويل يمتد عند انطباقه إلى ما بعد الذنب . والذنب قصير مشقوق . والريش غزير أملس براق . وريشات الذقن فى شكل الخصلة . وهذه الطيور فى سلوكها وسط بين النسور والبوم فهى تنشط قبيل شروق الشمس وعند غروبها وعندما تكون جوارح الطير قد آوت إلى أوكارها . وتستوطن كل أنحاء المعمورة . ومن أنواعها الكوهية : Elanus c. caeruleus ويستوطن أفريقية والهند وسيلان وبورما . وهو من طيور مصر الأوابد فى الفيوم ووادى النطرون والدلتا وعلى امتداد النيل حتى أسوان .

(ابن سيده — الدميرى — المعلوف — النجومى)

١٩ — السِّمْع الأزل

المعجم : ذئب أرسح يتولد بين الضبع والذئب .

اللجنة : السِّمع بكسر السين وإسكان الميم والعين المهملة فى آخره أو السِّمرا هو Lycaon pictus من جنس Lycaon من الفصيلة الكلبية Canidae . من رتبة اللواحم Carnivora من الثدييات Mammalia وهو أكبر من الكلب فى الحجم . قوائمه طويلة . وبكل منها أربع أصابع فقط . رأسه عريض مفلطح ومقدمه قصير . والأذنان كبيرتان نسبيا . وجسمه مغطى بفراء ذى شعر قصير لونه أصفر ناصل . وعلى جانبيه بقع غير منتظمة الشكل مختلفة الألوان ، فمنها الأسود والأصفر والرمادى والأبيض . ولون المقدم أسود والأذنان سوداوان من الداخل وصفراوان ناصلتان من الخارج . وهو حيوان ليلى يسير فى جماعات . ويقطن جنوب أفريقية ووسطها .

(الدميرى — التاج — المعلوف — شرف)

٢٠ — الزُّمَّت

المعجم : طائر أسود أحمر الرجلين والمنقار يتلون ألوانا متغايرة فى الشمس وتسميه العامة (أبا قلدون)

اللجنة : الزُّمَّت أو الغراب الأعصم تطلق على طيور من جنس Pyrrhocorax من الفصيلة الغرابية Corvidae من رتبة العصفوريات Passeriformes من الطيور Aves . وهى طيور أجسامها مضغوطة من الجانبين ومغطاة بريش أسود ، ولها مناقير رفيعة قليلة التقوس ذات

لون أحمر أو أصفر . ويختلف طولها حسب الأنواع . وريش غطائيات الأذن قصير وكثيف . وعلى الرسغ حراشف غير مشقوقة والذنب مستقيم . وأرجلها طويلة قوية . وأقدامها حمراء اللون . وهي تستوطن المناطق الجبلية من أوروبا وشمالي آسيا وأفريقية .
ومن أنواعها : الزمت اللبنانى أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus
والزمت الأوروبى أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax

(التاج . الدميرى . المعلوف . النجومى)

٢١ — الزُّمَّج

المعجم : طائر دون العُقاب أو ذكر العقبان . يختلف لونه وتغلب عليه الحمرة ، وهو من الجوارح التى يصاد بها (حياة الحيوان) .

اللجنة : الزُّمَّج أو الباز أو البازى وأبو لاحق واللويحق هو : Accipiter gentilis من جنس Accipiter من فصيلة العقاب النسرية Pandionidae من رتبة الصقريات Falconiformes من الطيور Aves له جسم مستطيل وساقان طويلتان . وقدماه ضعيفتان بهما أصابع طويلة تنتهى بمخالب حادة ولون الظهر والكتف والجناح بنى رمادى . والذنب بنى اردوازى . وأطراف الريش بيض ، والبطن أبيض عليه خطوط بنية داكنة ولون القزحية أحمر برتقالى والمنقار أزرق — والقدم صفراء اللون . وهو سريع الطيران . ويستوطن شمال أوروبا وبلاد البلطيق والبلاد المجاورة لها من روسيا ، ويهاجر شتاء إلى الجنوب .

وترى اللجنة : إضافة مادة « البازى » إلى المعجم حيث أنها أشهر من الزُّمَّج .

(التاج . الدميرى . القزوينى . المعلوف)

٢٢ — الزُّمّاح

المعجم : طائر يختطف الصبى من مهده .

اللجنة : وردت الزُّمّاح فى اللسان والتاج ، ولكن لم ترد هذه الكلمة فى الدميرى أو المعلوف ، بل وردت كلمة زماج .
وترى اللجنة أن الزُّماج هو الزُّمج (انظر المادة) .

٢٣ — زُمَّج الماء

لم ترد هذه الكلمة فى المعجم . ولكن اللجنة تقترح إضافتها .

اللجنة : زُمج الماء أو النَّوْرس الأوروبى هو Larus c. canus من جنس Larus من الفصيلة النورسية Laridae من رتبة النورسيات Lariformes من الطيور Aves وهو من طيور الماء . له منقار طويل مقوس ذو لون أخضر إلى الصفرة . وأقدام مكففة يستخدمها

فى السباحة، لون الرأس أصفر إلى الخضرة. والظهر رمادى أزرق والبطن أبيض . ويتغذى بالأسماك والحيوانات البحرية الأخرى . ويستوطن الأجزاء الشمالية فى أوروبا وآسيا ويهاجر شتاء إلى الجنوب .

٢٤ — الزِّمير

المعجم : نوع من السمك له شوك ناتئ وسط ظهره ، وله صخب وقت صيده والقبض عليه .

اللجنة : الزِّمير هو Gasterosteus aculatus من جنس Gasterosteus من الفصيلة الزميرية Gasterosteidae من رتبة التليوستيات Teleostei من الأسماك Pisces سمكة جسمها مدود شديد الانضغاط من الجانبين ، مقدمها طويل أحدب وجسمها أملس لا تغطيه القشور بل توجد على جانبيها صفائح عظمية أو قشرية . ولها زعنفة ظهرية بها ثلاث أشواك قوية وكثير من الأشعة اللينة (Fin-rays) كما يوجد بكل من الزعنفتين الحوضيتين والزعنفة الشرجية أشواك أيضا. وهى تعيش فى أنهار شمال أوروبا وبالقرب من مصباتها.

(اللسان — التاج — الدميرى — المعلوف)

وترى اللجنة أن الزمير تطلق أيضا على جنس من الطيور وتقترح إضافتها .

٢٥ — الزمير

تطلق على طيور جنس Erythrospiza من الفصيلة العصفورية Fringillidae من رتبة العصفوريات Passeriformes من الطيور . Aves وهى طيور صغيرة الحجم أجسامها مضغوطة ومغطاة بريش ناعم ذى لونين ، رمادى ، ووردى أحمر . ويصير أرجوانيا جميلا فى فصل الربيع . ومناقيرها غليظة ومستديرة ، وأجنحتها طويلة ، وذيولها قصيرة ، وأقدامها بنية باهتة . وتأوى إلى المناطق العارية من الأشجار وفوق صخور الجبال وعلى رمال الصحراء ، وتبنى أعشاشها تحت الأحجار وفوق الصخور. وتضع الأنثى من ٤ إلى ٥ بيضات ذات لون أخضر به يسير زرقة عليها نقط صغيرة وبقع كبيرة بنية إلى الحمرة . وهى تستوطن جزر الكنارى ومصر وبلاد النوبة وبلاد العرب ، وتوجد شتاء فى جزيرة مالطة وفى الجزر الواقعة فى مياه اليونان .

ومن أنواعها : زمير مصرى Erythrospiza g. githaginea

زمير سينائى E.g. crassirostris

زمير مغربى E.g. zedlitzi

(المعلوف — النجومى)

٢٦ ــ الزَّنديل

المعجم : الفيل أو الفيل العظيم معرب « زنده بيل » ومعناه بالفارسية الفيل الحى . ويكنى به عن العظيم .

اللجنة : الزنديل هو الفيل (انظر المادة) .

٢٧ ــ الفيل (وترى اللجنة إضافته إلى المعجم) .

اللجنة : الفيل أو الزنديل تطلق على جنس Elephas من الفصيلة الفيلية Elephantidae من رتبة الحافريات Ungulata من الثدييات Mammalia وهو أضخم حيوان أرضى . قوائمه قوية ، وأقدامه كبيرة ، ورأسه كبير وعيناه ضيقتان ، وأذناه كبيرتان مفلطحتان . وله خرطوم طويل ينتهى بفتحتى الأنف ، ويوجد فى طرفه زائدة كالأصبع يقبض بها على الأشياء الدقيقة ، ورقبته قصيرة ، وذيله رفيع نسبيا وينتهى بخصلة من الشعر . ولونه أغبر ، ويبلغ ارتفاعه من ٤ إلى ٥ أمتار أو أكثر . وهو من المواشب . ومدة الحمل فى الأنثى سنتان . والأفيال نوعان :

١ ــ الفيل الأفريقى Elephas africanus وموطنه أواسط أفريقية .

٢ ــ الفيل الهندى Elephas maximus ويوجد فى بلاد الهند .

وللذكر من هذين النوعين أنياب طويلة عاجية ، أما الإناث فللأفريقية منها أنياب أقصر من أنياب الذكور . وليس للإناث الهندية أنياب .

(اللسان ــ المخصص ــ الجاحظ ــ الدميرى ــ المعلوف)

٢٨ ــ الزَّهَم

المعجم : الطيب المعروف بالزباد وهو المأخوذ من سنور الزباد لأنه زفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك ويوجد فى إبطيه وباطن أفخاذه وباطن ذنبه (حياة الحيوان) .

اللجنة : الزهم هو الطيب المعروف بالزباد وهو زفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك ويؤخذ من سنور الزباد من تحت ذنبه فيما بين الدبر والمبال .

(اللسان ــ الدميرى ــ المعلوف)

٢٩ ــ الزاغ

المعجم : من أنواع الغربان ويقال له الغراب الزرعى وغراب الزيتون لأنه يأكله . وهو صغير نحو الحمامة أسود برأسه غبرة وقيل إلى البياض ولا يأكل جيفة . ج زيغان (حياة الحيوان) .

اللجنة : الزاغ أو غراب الزرع أو غراب الزيتون هو Corvus monedula من جنس Corvus من الفصيلة الغرابية Corvidae من رتبة العصفوريات Passeriformes وهو غراب صغير الحجم لون جسمه أسود إلى أرجوانى . والرأس وجانبا العنق رماديان . ومنقاره قوى مقوس ذو لون أسود وجناحاه مستديران وقدماه قويتان سوداوان والقزحية بيضاء .
وهو يستوطن شرق أوروبا والتركستان وإيران ويهاجر بعضه إلى فلسطين ومصر

(اللسان — التاج — الدميرى — المعلوف)

٣٠ — السِّبَتْل

المعجم : طائر كالعقاب
اللجنة : السّبتل أو النّسر أبو ذقن أو كاسر العظام هو البُلح الذى سبق ذكره (انظر مادة البلح) .

(اللسان — التاج — الدميرى — المعلوف)

٣١ — السُّقْدة

المعجم : الحُمَّرة وهى طائر .
اللجنة : السقدة أو الحمرة أو الحُمَيْرا هى Phoenicurus p. phoenicurus من جنس Phoenicurus من الفصيلة الشوكية Prunellidae من رتبة العصفوريات Passeriformes من الطيور Aves طائر صغير الحجم رشيق الجسم له منقار صلب مدبب أسود اللون يلتقط به الحشرات التى يتغذى بها ، وظهره رمادى ولكن أطراف ريشاته بنية والبطن أبيض والصدر والعجز والذيل والأقدام حمراء اللون ، ولون الجناح والقزحية بنى .
وتستوطن أوروبا وسيبريا ، وهى من القواطع التى تهاجر شتاء إلى مصر وسيناء وبلاد العرب .

(التاج — الدميرى — المعلوف — النجومى)

٣٢ — الاسْقَع

المعجم : طويئر كالعصفور فى ريشه خضرة ورأسه أبيض يكون بقرب الماء .
اللجنة : لم يستدل عليها .

٣٣ — السَّكَنْكُل

المعجم : سمكة سوداء وضخمة فى طول .
اللجنة : لم يستدل عليها .

٣٤ — السلح

المعجم : أصداف بحرية فيها شيء يؤكل .

اللجنة : لم يستدل عليها .

٣٥ — السُّلَحفاة

المعجم . حيوان بحرى وبرى .

اللجنة . السلحفاة والسلحفاء والسلحفا والسلحفية وذكرها الغَيْلم تطاق على عدة أنواع تتبع رتبة السلاحف Chelonia من قسم الزواحف Reptilia وهى حيوانات معروفة يحيط جسم كل منها صندوق عظمى مغطى بحراشف قرنية كبيرة منتظمة تبرز منه الرأس والأيدى والأرجل والذيل . والرأس صغير نسبيا ، به عينان كبيرتان وفتحتان للأنف وأخريان للأذنين . والفم خال من الأسنان وتستعيض عنها بحافتين قرنيتين حادتين تقطع بهما الطعام. وبكل من الأيدى والأرجل خمس أصابع قصيرة ينتهى كل منها بمخلب قرنى والذيل قصير نسبيا . وتضع الأنثى بيضا له قشور صلبة ، وتحفر له فى الأرض وتغطيه بالتراب وتتركه حتى يفقس بحرارة الشمس . ومن السلاحف أنواع تعيش فى الماء ويقال لها الجَأْة . وهى تشبه السلاحف البرية فى شكلها العام ولكنها تختلف عنها فى أن أيديها وأرجلها متحولة إلى ما يشبه زعانف الأسماك ، تسبح بها فى الماء ، وأن قشر بيضها لين وهى لا تضعه فى الماء بل تخرج إلى الشاطىء وتحفر له فى الرمال ثم تغطيه بها وتتركه ليفقس بحرارة الشمس . ويضرب بالسلاحف المثل فى البطء وطول العمر .

(التاج . المعلوف . الدميرى . شرف)

٣٦ — السُّلْكوت

المعجم : طائر .

اللجنة : لم يستدل عليها .

٣٧ — السّلوى

المعجم : طائر قيل هو السمانى أو طائر أبيض ... الخ

اللجنة : السلوى أو السُّمانى هـو Coturnix coturnix من جنس Coturnix من فصيلة التدرج Phasianidae من رتبة الدجاجيات Galliformes من الطيور Aves — جسمه منضغط ممتلىء ، ومنقاره صغير وأرجله قصيرة وأصابعه طويلة ، وذنبه قصير جدا . ولون ظهره بنى به خطوط سود، وخداه أبيضان. والصدر والبطن أصفران . وهو سريع المشى والطيران

يتغذى بالحبوب والبزور . ويوجد غالبا فى حقول القمح والبرسيم ، كما أنه يأكل بعض الحشرات . وتضع الأنثى من ٨ إلى ١٤ بيضة بها بقع صفراء أو بنية فى حفرة صغيرة تغطيها بأوراق جافة فى حقول القمح . ويستوطن أوروبا وحوض البحر الأبيض وهو من القواطع التى تهاجر شتاء إلى الحبشة والسودان .

(اللسان . التاج . الدميرى . المعلوف . النجومى)

٣٨ — المُسْمَعِل

المعجم : طائر .

اللجنة : لم يستدل عليها .

٣٩ — السَّمُّور

المعجم : حيوان السَّمُّور يتخذ من جلده فراء ثمينة .

اللجنة : السَّمُّور والجمع سمامير هو Martes zibellina (Mustela zibellina) من جنس : Martes من الفصيلة السمورية Mustelidae من رتبة آكلات اللحوم Carnivora ، من الثدييات Mammalia له رأس مخروطى الشكل وأذنان كبيرتان ، وقوائمه طويلة قوية تنتهى بأقدام كبيرة نسبيا ، لونه إلى السواد غالبا ، ومقدمه أسود رمادى ، وصدغاه رماديان ، ورقبته غبراء اللون من أعلى برتقالية إلى الحمرة من أسفل . وهى من الحيوانات الليلية التى تسعى عادة للحصول على غذائها ليلا . وتتغذى بالأرانب والطيور وغيرها . وتلد الأنثى من ٤ إلى ٥ صغار تضعها فى جحور داخل الأشجار . وهو يقطن شمال آسيا . وتصنع من جلود هذه الحيوانات فراء غالية الأثمان إذ أنها غزيرة ناعمة .

(الدميرى . اللسان . التاج . المعلوف)

٤٠ — السُّمَيْكاء

المعجم : سمك صغير يجفف وهو المعروف بالحساس .

اللجنة : السميكاء أو الهِفّ هى الحساس التى سبق ذكرها (انظر المادة) .

(اللسان . التاج)

٤١ — السُّمامة

المعجم : دويبة قيل هى النحلة الحمراء .

اللجنة : السُّمامة والجمع سمائم وسمام تطلق على عدة أنواع من جنس Apus من الفصيلة السمامية Cypselidae من رتبة السماميات Apodiformes من الطيور Aves لها أجسام صغيرة

ممدودة ورؤوسها عريضة ذوات مناقير قصيرة ومقوسة قليلا . ورقابها قصيرة وأجنحتها ضيقة وأذنابها مشقوقة . وأقدامها قصيرة تنتهى بأصابع قصيرة مضغوطة الجانبين ومزودة بمخالب حادة . وهى سريعة الطيران ومن أطول الطيور بقاء فى الجو ؛ فإذا هبطت تأوى إلى الغابات أو البطاح التى لا شجر فيها ، ولكن أحب الأماكن إليها الجبال والمدن حيث تجد فيها أماكن لبناء أعشاشها بين الصخور أو فى شقوق الجدران وتضع بها بيضة واحدة فى أغلب الأحيان . وهى طيور نهمة تتغذى بالحشرات . وتستوطن طيور هذا الجنس أوروبا وأفريقيا . ومن أنواعه سمامة الصرود : Apus melba والسمامة المصرية Apus pallidus .

(اللسان . التاج . الدميرى . المعلوف)

٤٢ — الشُّمانى

المعجم : ضرب من الطيور .

اللجنة : السمانى والجمع سمانيات هى السلوى (انظر المادة) .

٤٣ — السَّمَنْدَل

المعجم : طائر بالهند ، لا يحترق بالنار .

اللجنة : السمندل تطلق على عدة أنواع تنتمى إلى أجناس مختلفة من فصيلة السمادل Salamandridae من رتبة البرمائيات المذنبة Urodela من قسم البرمائيات Amphibia وهى حيوانات صغيرة الحجم غالبا تشبه العظايا (السحالى) فى شكلها العام وأجسامها ملساء لا تغطيها قشور ورأسها صغير مفلطح به فم متسع وعينان كبيرتان يلى كلا منهما غشاء رقيق مستدير هو طبلة الأذن ، وليس لها عنق . ولها أربع قوائم قصيرة وذيل متوسط الطول . وتتغذى بالحشرات والديدان . وتضع الأنثى بيضها فى الماء حتى يتم فقسه . ومن أشهر أنواعها السمندل الأوروبى المنقط Salamandra maculosa

(اللسان . التاج . الدميرى . المعلوف)

٤٤ — سَمَوْيَل

المعجم : طائر . وقيل بلد كثير الطير .

اللجنة : لم يستدل عليها .

٤٥ — السَّنْبَلة

المعجم : العِضاة .

اللجنة : لم تذكر كلمة السنبلة على أنها حيوان فى مرجع ما من المراجع سوى المعلوف حيث ذكر أنها

لفظة عامية تطلق فى السودان على الطائر المعروف باسم لقلق عابدين بك : Sphenorhynchus abdinnii من جنس Sphenorhynchus من الفصيلة اللقلقية Ciconiidae رتبة اللقلقيات Ciconiiformes من الطيور Aves — وهو طائر ممتلىء الجسم له منقار طويل غليظ ، وساقان طويلتان عاريتان من الريش إلى مافوق الركبة وبهما أصابع مكففة . والرأس والرقبة سوداوان . والظهر والأجنحة والذيل سود إلى الخضرة . والبطن أبيض . وحول العين منطقة عارية من الريش لونها أزرق . ومقدم الرقبة عار من الريش ذو لون أحمر ، والمنقار إلى الخضرة وطرفه أحمر . والساقان والأقدام رمادية غبراء . ويبنى عشه فى الأشجار القريبة من القرى . ويقطن السودان وجنوب أفريقية وجنوب بلاد العرب.

(الدميرى . المعلوف . التاج . اللسان)

٤٦ — السَّنْدرى

المعجم : ضرب من الطير.

اللجنة : لم يستدل عليها .

٤٧ — السَّنْدل

المعجم : طائر يأكل البيش عن الحائط .

اللجنة : لم يستدل عليها

٤٨ — السَّنام

المعجم : حدبة فى ظهر البعير . والجزء المحدب أو المخروط فى أعلى ظهره .

اللجنة : السنام والجمع أسنمة ، حدبة فى ظهر البعير والناقة تتكون من كتل من الشحم وتكون كبيرة الحجم فى الإبل صحيحة البنية ، ويصغر حجمها إذا ضعفت هذه الحيوانات ، ولبعض الإبل سنام واحد وللبعض الآخر سنامان .

(التاج — اللسان)

٤٩ — الإبل ذات السنامين .

اللجنة : ترى اللجنة أن الإبل ذات السنامين هى الفَالِج أو الفالِج (انظر المادة) .

٥٠ — السَّهوم

المعجم : العُقاب الطائر أو الطائرة .

اللجنة : ترى اللجنة أن السَّهوم بالفتح هى العُقاب (انظر المادة).

٥١ — السُّودانة والسودانية

المعجم: طائر من الطير الذى يأكل العنب والجراد أو طوير قبضة الكف يأكل التمر والعنب .

اللجنة : السُّودانة أوالسودانية والسُّوادية طائر وهو Onychognathus t.tristrami من جنس Onychognathus من الفصيلة الزرزورية Sturnidae من رتبة العصفوريات Passeriformes من الطيور . Aves — له منقار مستقيم أسود، طوله كطول الرأس تقريبا والقدم سوداء . ويختلف الذكر عن الأنثى فى اللون فالذكر أسود إلى الزرقة أما الأنثى فلون الرأس والعنق والصدر رمادى داكن وعليها خطوط سود إلى الزرقة وتعيش هذه الطيور فى جماعات صغيرة فوق الصخور وحولها ، وهى تبنى أعشاشها بين الصخور من فروع الأشجار وأوراقها ، وتبطنها بمواد لينة وتضع بداخلها بيضا ذا لون أزرق ناصل به بقع بنية . وهو من طيور مصر الأوابد حيث يوجد فى شبه جزيرة سيناء .

(الدميرى — المعلوف — التاج — النجومى)



مصطلحات فى الجيولوجيا [1]

علم الأرض — جيولوجيا **Geology**

هو علم يبحث فى الأرض من حيث تكوينها والعوامل المؤثرة فيها وتاريخها .

علم نشأة الأرض **Geogeny** (Geogony)

هو علم يبحث فى أصل الكرة الأرضية وتكوينها.

علم الصخر **Petrology** (Geognosy, Geognosis)

هو علم يبحث فى الصخور من حيث أصلها وتركيبها وخصائصها وتصنيفها وأحوال وجودها .

علم الأرض الطبيعى — جيولوجيا طبيعية **Physical** geology

هو علم يبحث فى تأثير العوامل الطبيعية كالماء والهواء والحرارة فى مادة الأرض .

علم طبيعة الأرض — الجيوفيزيقا **Geophysics**

هو علم يبحث فى الصخور وتراكيبها ومحتوياتها من حيث انطباق قوانين علم الطبيعة عليها .

علم تاريخ الأرض — جيولوجيا تاريخية **Historical** geology

هو علم يبحث فى تاريخ الأرض منذ نشأتها من حيث تكوينها وتطورها بما عليها من كائنات .

علم البلورة — علم البلّوريات **Crystallography**

هو علم يبحث فى تبلور المعادن وتصنيف بلوراتها وعلاقة أشكالها بنظامها الذرى .

علم المعدن — علم المعادن **Mineralogy**

هو علم يبحث فى المعادن من حيث تكوينها وتركيبها وخصائصها الكيميائية والطبيعية وتصنيفها وأحوال وجودها وفوائدها .

علم بناء الأرض — جيولوجيا بنائية **Structural** geology

هو علم يبحث فى كيفية أوضاع الصخور وأنواعها وأشكالها وهيئاتها بصفة عامة .

(١) أقر مؤتمر المجمع هذه المصطلحات فى الدورة العشرين للمجمع .

صخر Rock

مادة طبيعية تكونت من تجمع معدنى ويغلب أن يكون صلبا .

حجر Stone

هو قطعة من الصخر الجامد كالحجر الرمـــلى .. Sand Stone والحجر الجيرى Limestone والحجر الطينى ... Mud Stone

الركاز Ore

هو المعدن فى حالته الطبيعية وهو فى الغالب ذو قيمة اقتصادية ، لاحتوائه على مواد نافعة .

قـرارة الركاز Ore-deposit

هى صخور الركاز .

اللُّقَطة Nugget

هى قطعة من الذهب ملء الكف أو أكبر توجد فى المعدن .

السامة (Mineralised) vein

عرق يحوى معدنا مقوما كسامة الذهب (Gold vein) وسامة الفضة (Silver vein) وغيرهما ، وصغيرها سوية (Stringer)

المرو ـــ الكوارتز Quartz

معدن مكون من صدأ السليكون (أكسيد السليكون) المتبلور.

القِـطر Magma

ذوب الصخر فى باطن الأرض.

صخر نارى Igneous rock

هو قطر متجمد .

جدة قاطعة Dyke, Dike

صخر نارى كظيم (متدخل) اوحى الشكل قاطع للصخور التى يخترقها ويغلب أن يكون رأسيا .

جدة جازعة Sill, Sheet

صخر نارى كظيم (متدخل) لوحى الشكل مواز لطبقات الصخور التى يخترقها .

عرق Vein

صخر نارى كظيم (متدخل) أقل سمكا وأكثر تعرجا من الجدة ، وصغيره عريق. Veinlet

قرارة Deposit

ما تجمع من المواد الطبيعية واستقر فى موضعه .

القرار Deposition

صخر رسوبى Sedimentary rock

هو ما تراكم من الصخور نتيجة لعوامل التعرية كالماء والهواء .

الترسب Sedimentation

الصلابة Solidity

حالة الجسم يحتفظ بشكله وبحجمه .

الصلادة Hardness

مقاومة المادة للخدش فيقال إنها أصلد من الأخرى إذا خدشت الأولى الثانية .

مصمت Massive

المصمت من الصخور هو الممتلىء المتماسك الذى لا جوف له .

صخر كظيم ـــ صخر متدخل Intrusive rock

هو صخر نارى تصلب قبل أن يصل إلى سطح الأرض .

صخر نابط Extrusive rock

هو صخر نارى تصلب على سطح الأرض .

التدخل Intrusion

التنبط Extrusion

علم تشكل الصخور Tectonics

هو علم يبحث فيه عما طرأ على صورة الصخر من حيث التغيرات كالتجعد والتكسر وتكون الجبال .

علم شكل الأرض ـــ الجيومورفولوجيا — Geomorphology

هو علم يبحث فيه عن الأرض من حيث تضاريسها السطحية كالمرتفعات والمنخفضات وغيرها .

علم الأرض الديناميكى — Dynamic Geology

علم يبحث فيه عن الأرض من حيث تأثير قوى العوامل الطبيعية الخارجية فى صخورها كالماء والهواء .

علم طبقات الأرض ـــ الاستراتيجرافيا — Stratigraphy

علم يبحث فيه عن طبقات الأرض وعلاقة بعضها ببعض من حيث الوضع والعمر .

حفرية (ج : حفريات) — Fossil

كل أثر مادى دل على الأحياء البائدة .

الحفريات ـــ علم الأحياء البائدة — Palaeontology, Palaeobiology

هو علم تأريخ الأحياء وتطورها خلال العصور الأرضية .

علم الحفريات الحيوانية — Palaeozoology

هو علم تأريخ الحيوان وتطوره خلال العصور الأرضية .

علم الحفريات النباتية — Palaeobotany

هو علم تأريخ النباتات وتطورها خلال العصور الأرضية.

علم الحفريات الطباقية — Stratigraphical Palaeontology

علم الحفريات التطورية — Evolutive palaeontology

الجغرافية القديمة — Palaeogeography

علم يبحث فيه عن الأرض من حيث تطورها الجغرافى خلال العصور الأرضية .

علم الأرض الاقتصادى ـــ الجيولوجيا الاقتصادية — Applied geology, Economic geology

هو علم يبحث فيه عن الأرض من حيث ما تحويه من مواد ينتفع بها اقتصاديا .

الأرض — Earth (the)

هو أحد الكواكب السيارة الشمسية الذى نعيش عليه .

السكرة الأرضية — Globe (the)

هى الأرض من حيث شكلها المتكور .

الدنيا — World (the)

هى الأرض من حيث توزيعها الجغرافى .

العالم — Universe

هو الخلق كله .

السكون — Cosmos

لفظ يطلق على الأجرام التى يتكون منها العالم .

علم السكونيات — Cosmology

هـــو علم يبحث فيه عن العالم من حيث قوانينه الطبيعية التى يسير بمقتضاها .

علم نشأة السكون — Cosmogony-Cosmogeny

هو علم يبحث فيه عن السكون من حيث نشأته .

المحيط الهوائى ــ المحيط الجوى — Atmosphere

هو المنطقة الهوائية التى تحيط بالأرض .

المحيط المائى — Hydrosphere

هو ما يكسو سطح الأرض وما يتخلل قشرتها من ماء .

المحيط اليابس — Lithosphere

هو القشرة الأرضية وهو الجزء الخارجى الصلب من الأرض .

جوف الأرض — Centrosphere, Barysphere

هو المنطقة الباطنية التى تحيط بمركز الأرض .

الماء الباطنى — Underground water

هو ما يتخلل صخور القشرة الأرضية من ماء .

سطح الماء الباطنى — Water-table

الماء العذب Fresh Water

ماء قلت نسبة الأملاح الذائبة فيه بحيث أصبح سائغا فى الذوق من ناحية ملوحته ·

الماء الملح Salt water

ماء زادت نسبة الأملاح الذائبة فيه على الماء العذب .

الملوحة Salinity

مقدار ما فى الماء من ملح وتقدر بالجرام فى اللتر.

قشرة الأرض (أدمة الأرض) Earth's crust, External shell

هى الجزء الخارجى من الأرض الذى تتناوله الدراسة الجيولوجية .

باطن القشرة Asthenosphere (Substratum)

هــو الجزء الذى يلى القشرة الأرضية ، وقد تعتبر جزءا مـن المحيط اليابس .

سيف القارة Continental platform

هو الجزء المنبسط من القارة مما يلى البحر .

حافة القارة Continental shell

هى الجزء مـن سيف القارة المغطى بماء البحر ·

منحدر القارة Continental slope

هو جزء القارة الذى ينحدر فى البحر بعد الحافة .

قاع البحر Deep sea platform

هو الجزء الذى يمثل العمق الغالب من قاع البحر .

جب المحيط Oceanic deeps, Abyss, Abyssal depth

هو أعمق مكان فى المحيط .

توازن القشرة الأرضية Isostacy

هو نظرية اتزان القشرة الأرضية نتيجة لقلة كثافة الصخور فى مرتفعاتها عنها فى منخفضاتها كاتزان الجبل بقاع المحيط .

البر Land

هو ما انبسط من سطح الأرض ولم يغطه الماء .

المحيطات Oceans

هى المنخفضات العظمى فى سطح الأرض المغطاة بالماء .

البحر Sea

هو ما امتد من المحيط نحو البر .

الجبل Mountain

مرتفع عظيم من الأرض قنته غير منبسطة فى الغالب .

التل Hill

مرتفع من الأرض دون الجبل .

سلسلة الجبال Mountain range, Mountain chain

نسق من الجبال متصل بعضه ببعض .

الهضبة Plateau

مرتفع سطحه العلوى منبسط .

القارة Continent

هى أحد أجزاء اليابسة الكبرى .

السهل Plain

أرض منبسطة وهى دون الهضبة .

الوادى Valley, Wadi

منفرج بين المرتفعات (كالجبال أو التلال أو الركام أو غيرها) .

المثلجة Glacier

تجمع جليدى عظيم غير ثابت قد يتحرك فى مجار تشبه الأنهار .

الصقيع — Frost

هو طبقة سطحية رقيقة من الماء تجمدت بفعل البرودة .

البَرَد — Hail

هو ما يتساقط من ماء الغمام متجمداً على شكل حبات .

الثلج — Snow, Néige

هو ماء متجمد يتساقط من السماء متبلورا خفيفا كالقطن المندوف .

الجليد ـــ الجمد — Ice, Glace

هو الكتل المتجمدة من الثلج .

التيار — Current

حركة المـــاء الجارى .

المجرى — Stream

الماء الجارى وقد يطلق على موضعه ، كما يطلق على التيار نفسه .

النهر — River

هو مجرى الماء الكثير ، وقد يطلق على الماء .

النهير — Rivulet

هو النهر الصغير .

مجرى النهر — River channel

هو موضع النهر يحفره الماء .

الجدول — Brook

رافد صغير من المـــاء الجارى .

الجديِّل — Brooklet

هو الجدول الصغير .

السواعد — Drainage lines

هى مجارى الماء إلى النهر أو البحر .

روافد النهر — Tributaries

ما يمد النهر بالماء من سواعد .

أفرع النهر — Distributaries

ما يتفرع من النهر .

مصب النهر — Estuary

هو ملتقى النهر بالبحر حيث يعلو ماء البحر ماء النهر .

دال النهر : (دلتا) — Delta

هى رواسب نهرية على شكل حرف دال بين أفرع النهر.

مصطلحات فى الرياضة والهندسة [1]

التحليل (فى الهندسة) Analysis (Geometry)

يطلق على التوصل إلى العناصر التى يتوقف عليها حل مسألة رياضية .

التحليل الرياضى Mathematical analysis

هو ما يتوصل به إلى ما هو أول وأعلى مرتبة فى الكلية من التصورات والتصديقات الرياضية .

التركيب Synthesis

هو ما يتوصل به إلى اكتساب النتائج من الأصول المسلم بها .

نظرية Proposition ; Theorem

مطلوب يبرهن على صحته .

حدسية Conjecture

الحدسية قضية صادقة لم يقم عليها برهان ملزم ويتوصل إليها بالحدس. (By-intuition)

توتر Tension

هى الحالة الانفعالية لجسم مشدود من طرفيه .

انضغاط Compression

هى الحالة الانفعالية لجسم مضغوط من طرفيه .

الإجهاد Stress

الإجهاد الواقع على مقطع من جسم ماهومعدل القوة الواقعة على وحدة المساحات من هذا المقطع.

ضغط Pressure

هو مقدار ما يقع من القوة الضاغطة على وحدة المساحات .

الدفع Impulse

دفع القوة : حاصل ضرب القوة المتوسطة × زمن تأثيرها أى أن الدفع = ؟ ق • ز

---

(١) هذه المصطلحات وضعتها وعرفتها لجنة العلوم الرياضية والهندسية فى المجمع ثم عرضت على المجلس والمؤتمر فأقرت كما هى منشورة هنا .

علم الديناميكا الهوائية — Aerodynamics

هو علم يبحث فيه عن حركة الأجسام فى الهواء على الوجه الذى تراعى فيه القوى المؤثرة .

علم الطيران — Aeronautics

هو علم يبحث فى هندسة الطيران .

علم الهوائيات — Pneumatics

هو علم يبحث فى كل ما يتعلق بالهواء .

العد اللفظى — Numeration

الدلالة على العدد بالعبارة اللفظية .

العد الوضعى — Notation

الدلالة على العدد بالرقم أو الرمز .

قوة الجذب المركزى — Centripetal force

هى القوة التى تؤثر فى جسم متحرك على مسار وتكسبه العجلة العمودية .

استيفاء — Interpolation

هو العملية الرياضية التى يمكن بواسطتها إيجاد الحدود المجهولة التى تتوسط جملة حدود معلومة من متسلسلة معينة. أو بمعنى أعم إذا علمت لمتغير ما جملة قيم تناظر جملة قيم أخرى لمتغير آخر فعملية الاستيفاء هى إيجاد قيم المتغير الأول التى تناظر قيم المتغير الثانى التى تتوسط قيمه المعلومة .

الأثر الباقى — Permanent Set

هو الأثر الذى يبقى فى الجسم بعد زوال الإجهاد عنه .

هبوط العتبة — Sag of the beam

هو المسافة بين نقطة فى عتبة انحنت إلى أعلى أو أسفل وبين وضع هذه النقطة قبل الانحناء .

هبوط السلسلة Sag of the chain

إذا ثبت طرفا سلسلة فى مستو أفقى فالمسافة بين أدنى نقطة فى السلسلة وبين المستوى الأفقى تسمى هبوط السلسلة .

معدل الحركة Speed

معدل تغير المسافة التى يقطعها المتحرك على مساره بالنسبة للزمن .

كسور غير معينة Vanishing fractions

الكسر غير المعين هو كسر آل كل من بسطه ومقامه إلى الصفر فمثلا : —

$\frac{س^٢ - أ^٢}{س^٢ + أس - ٢أ^٢}$ كسر غير معين عندما تكون س = أ لأن كلا من بسطه ومقامه فى هذه الحالة = صفراً ؛ ومع ذلك فالكسر = $\frac{٢}{٣}$ فى الحالة المذكورة .

٢ – مصطلحات فى الهندسة الميكانيكية

مشوار — Stroke

هو البعد بين حالتى السكون لجسم متحرك حركة ترددية فى خط مستقيم

بكرة — Pulley

عجلة حافتها معدة للاتصال بعجلة أخرى بواسطة السيور أو الحبال أو السلاسل لنقل الطاقة .

بكرة سائبة — Loose pulley

هى التى لا تنقل الطاقة .

بكرة مقيدة — Fast pulley

هى التى تنقل الطاقة .

بكرة محدبة — Crowned pulley

هى التى تكون حافتها مقوسة إلى الخارج .

بكرة محزوزة — Grooved pulley

هى التى تكون حافتها معدة لاستخدام الحبال أو السلاسل فى نقل الطاقة

بكرة مخروطية — Conical pulley

هى التى يكون سطحها مخروطيا .

بكرة متدرجة — Stepped pulley

هى مجموعة بكرات متتابعة تختلف أقطارها اختلافا تدريجيا .

بكرة وسيطة — Idle pulley

بكرة سائبة تستعمل لشد السير أو الحبل لمنع ارتخائه .

ذات البكرة أو ذات البكرات — Pulley block

بكرة محزوزة يضمها كنافان (حاجزان) يكون فيهما المحور. فإذا تعددت البكرات قيل ذات البكرات .

عجلة — Wheel

طوق أو قرص قابل للدوران حول محوره .

سرة — Hub

الجزء الأوسط من العجلة الذى يركب فيه المحور .

حافة — Rim

الحلقة الخارجية من العجلة .

برمق (ج : برامق) — Spoke

الأجزاء التى تربط سرة العجلة بحافتها .

ملفاف — Wheel and axle

جهاز مكون من عجلة مثبتة على محور يستعمل فى توضيح نظرية الفائدة الآلية .

عجلة الإدارة — Driving wheel

العجلة التى تستمد منها الحركة .

حدّافة — Flywheel

عجلة ثقيلة يساعد دورانها على انتظام الحركة .

حركة دوارية — Gyroscopic motion (Spin)

هى الحركة حول محور يدور .

دلفين — Roller

هو مجسم دورانى يتدحرج بدورانه حول محوره ، ويستعمل لتسهيل حركة الأجسام .

هراس — Road Roller

آلة ذات أسطوانة ثقيلة لتمهيد الطرق.

القدرة البيانية — Indicated Horse-power (I.H.P.)

القدرة البيانية لمحرك هى القدرة المتولدة فى أسطوانة المحرك أو المضخة وتحسب من رسم بيانى يحصل عليه بجهاز خاص يسمى المبين (Indicator).

القدرة الفرملية — Brake Horse-power (B.H.P.)

هى قدرة المحرك المنتفع بها بالفعل .

ذراع الإدارة — Crank

هو ذراع يستعمل لتحريك عمود فى حركة دائرية، ويتكون من الساعد والمرفق وعمود الإدارة .

مرفق — Crank-pin

هو نهاية ذراع الإدارة التى تسلط عليها القوة المؤدية لحركة الدوران .

ساعد — Crank-web, crank-cheek

هو جزء ذراع الإدارة الذى يصل بين المرفق وبين عمود الإدارة .

عمود ذو مرفق — Crank-shaft

هو عمود إدارة يستمد حركته من مجموعة مرفقية.

عمود الإدارة — Shaft

ساق مستديرة القطاع معدة لنقل الحركة الدورانية .

الرافعة المرفقية — Bell crank lever

هى رافعة مكونة من ذراعين على شكل زاوية محور ارتكاز الرافعة رأس الزاوية، وتستعمل لنقل الحركة من اتجاه إلى آخر .

ذراع التوصيل — Connecting rod

هو ساق يتصل أحد طرفيها بالمرفق ويتصل الطرف الآخر بجسم متحرك حركة ترددية . والغرض منه تحويل الحركة الترددية إلى حركة دورانية أو العكس .

ركبة — Toggle-Joint

تتكون من ساقين متصلتين اتصالا مفصليا بحيث إذا سلطت قوة على المفصل تضاعفت عند نهايتى الساقين .

مغزل Spindle

عمود إدارة صغير يدور بسرعة كبيرة .

الشغل Work

هو كمية رياضية = حاصل ضرب القوة المتوسطة × المسافة التى تحركتها نقطة تأثير القوة فى اتجاه القوى .

(سبق تعريفه فى الدورة السادسة ، وعدلته اللجنة ، وأقر المجلس هذا التعديل).

طاقة الوضع Potential energy

هى الطاقة التى يكتسبها الجسم من وضعه . وتساوى الشغل الذى ينتج من انتقال الجسم من وضعه إلى وضع معين يتخذ أساسا .

(سبق تعريفه فى الدورة السادسة ، وعدلته اللجنة ، وأقر المجلس هذا التعديل) .

طاقة الحركة Kinetic energy

هى الطاقة التى يكتسبها الجسم من حركته، وتساوى الشغل الذى يمكن أن يؤديه الجسم ضد المقاومات الخارجية حتى يسكن .

(سبق تعريفه فى الدورة السادسة ، وعدلته اللجنة ، وأقر المجلس هذا التعديل) .

تردد Frequency

هو عدد الذبذبات أو الاهتزازات فى وحدة الزمن .

(سبق تعريفه فى الدورة السادسة، وعدلته اللجنة، وأقر المجلس هذا التعديل) .

السعة Amplitude

هى المسافة بين موضع الجسم المتذبذب وهو ساكن ، وبين موضعه وهو فى أقصى سرعته .

الحركة التوافقية البسيطة Simple harmonic motion

هى الحركة التى تكون العجلة فيها متناسبة مع الإزاحة وفى اتجاه مضاد لها .

دورة Revolution

حركة فى مدى ٣٦٠ درجة .

دور Cycle

سلسلة كاملة من عمليات من نوع ما ، تنتهى بالحالة التى ابتدأت بها .

مدة الدور — Period

الزمن الذى يتم فيه الدور .

متزامن — Synchronous

متساو فى زمن الدور وطوره .

إجهاد التشغيل — Working stress

هو الإجهاد المسموح به فى تقدير أبعاد أجزاء الآلة أو المنشأ .

نقطة الخضوع — Yeild point

هى النقطة التى عندها ينفعل الجسم بدون زيادة فى الإجهاد .

(سبق تعريفه فى الدورة السادسة ، وعدلته اللجنة ، وأقر المجلس هذا التعديل).

عزم اللى — Torque (Twisting moment)

هو عزم الازدواج الذى يعمل على لى الجسم .

(سبق إقراره معرفا ، وعدلته اللجنة ، وأقر المجلس هذا التعديل) .

عزم الثنى — Bending moment

هو عزم الازدواج الذى يعمل على ثنى الجسم .

(سبق إقراره معرفا ، وعدلته اللجنة ، وأقر المجلس هذا التعديل).

قص — Shear

هو تزحزح طبقات الجسم المتتالية بانزلاق بعضها على بعض .

ساق — Rod

جسم أسطوانى يزيد طول محوره كثيرا عن نصف قطره .

قضيب — Bar

جسم من أى مقطع كان ، يزيد طوله عن أى بعد آخر فى مقطعه .

عمود — Column

العمود فى المنشآت هو دعامة رأسية .

كباس Strut

عضو المنشأ المتأثر بقوتى ضغط فى طرفيه .

شداد Tie

عضو المنشأ المتأثر بقوتى شد فى طرفيه .

عتبة Beam

جسم محمول على دعامتين أو أكثر، وقد يكون مثبتا من أحد طرفيه أو منهما معا . فإذا كانت العتبة محمولة على أكثر من دعامتين سميت عتبة متصلة ... Continuous beam. وإذا كانت الدعامتان بعيدتين عن طرفيها سميت عتبة ناتئة .. Overhung beam. وإذا كانت مقيدة الطرفين سميت عتبة مقيدة Fixed or Restrained beam .

٣ – مصطلحات فى خواص المادة

مرونة Elasticity

مطاوعة Plasticity

إذا زال انفعال الجسم عند رفع الإجهاد عنه قيل إنه مرن .... Elastic، وتسمى هذه الخاصة مرونة . إما إذا لم يزل الانفعال قيل إن الجسم مطاوع ... Plastic . وتسمى هذه الخاصة مطاوعة .

جساءة Rigidity

صفة للجسم الذى لا ينفعل .

صلابة Solidity

صفة الجسم الذى يحتفظ بشكله وبحجمه .

هشاشة * Brittleness

استعصاء * Tenacity

(*) انظر تعريف : مطوطية (Ductility) .

مطوطية Ductility

المطوطية صفة المادة التى تستطيل دون زيادة إجهاد الشد الواقع عليها . فإذا كانت المطوطية صغيرة سميت هذه الصفة استعصاء . وإذا انعدمت سميت المادة (هشــة) ويعبر عن حالتها هذه بالهشاشة Brittleness .

صلادة Hardness

مقاومة المادة للخدش فيقال إنها أصلد من الأخرى إذا خدشت الأولى الثانية .

كزازة Stiffness

اصطلاح يطلق على المنشأ للتعبير عن مقاومته للانفعالات : فمثلا تقدر الكزازة فى الأعتاب بنسبة فتحة العتبة إلى انحرافها، وتقدر فى الأعمدة بنسبة زاوية التوائها إلى طول قياس معلوم ، وفى الزنبركات بنسبة القوة المؤثرة إلى الاستطالة .

متانة Toughness

مقاومة المـادة للكسر المفاجىء مع قوة احتمالها للإجهادات المؤثرة عليها

مطروقية Malleability

قابلية المادة للتشكيل بالطرق .

مضغوطية Compressibility

قابلية المادة للانضغاط ويطلق المصطلح عادة علي السوائل .

انطوائية Pliability

قابلية المادة للتشكيل بالطيّ .

حمل ساكن Dead load

حمل غير قابل للتغيير من حيث الموضع والمقدار كالأحمـال الناتجة من ثقل المـــواد المستعملة فى تكوين السقف أو الجسر .

حمل متحرك Live load

حمل قابل للتغير من حيث الموضع أو المقدار كالأحمال الناتجـة من ضغط الرياح أو من المنقولات التى توضع فى الغرف ... الخ .

حمل متدحرج أو حمل متنقل Rolling load, Travelling load, Moving load

حمل ذو مقدار معين يسير على العتب من أوله لآخره ، كالحمل الواقع على الجسر أثناء مرور قطار عليه .

حمل مركز Concentrated load

هو الحمل الذى يؤثر على الجسم فى نقطة ما .

حمل موزع Distributed load

هو الحمل الموزع على العتبة بأكملها أو جزء منها .

مضلع القوى Force polygon

المضلع الناتج من تمثيل القوى المؤثرة على جسم ما بمتجهات فى اتجاه دائرى واحد .

مضلع قطبى Polar polygon

الخطوط المرسومة من نقطة ما تسمى القطب إلى رءوس مضلع القوى .

مضلع حبلى Funicular polygon

المضلع الذى تقع رءوسه على مستقيمات عمل القوى ، وأضلاعه توازى أضلاع المضلع القطبى .

تماسك Cohesion

هو الصفة الناتجة عن التجاذب بين جزيئات الجسم .

التصاق Adhesion

هو الصفة الناتجة عن التجاذب بين سطحى جسمين متلاصقين .

رخاوة Softness

صفة للمادة ضعيفة الاحتمال للقوة والضغط .

لدانة Suppleness

صفة للمادة المرنة التى يسهل إحداث التغيير فى شكلها .

ملاسة Smoothness

صفة لسطح الجسم الخالى من النتوءات المرئية أو الملموسة .

مدودية — Extensibility

اصطلاح يطلق للتعبير عن مدى قبول الجسم للاستطالة تحت تأثير قوة شد ما ، ونقدر بخارج قسمة الاستطالة على القوة المؤثرة .

خشونة — Roughness

صفة لسطح الجسم الذى به نتوءات .

تشوه — Deformation

تغير شكل جسم مرن تحت تأثير الإجهادات الواقعة عليه .

انحراف — Deflection; deviation

انحراف العتبة أو ما يماثلها هـو مقدار إزاحة محور التعادل تحت تأثير الإجهاد الواقع عليها .

انفعال — Strain

هو النسبة بين التغير الذى يحدثه الإجهاد فى أبعاد الجسم إلى أبعاده الأصلية .

انبعاج — Buckling

هو الانثناء تحت تأثير قوتى انضغاط .



أخبار قصيرة

• أصدر السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية قرارا بتعيين السيد الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيسا لمجمع اللغة العربية (صدر برياسة الجمهورية فى ٢٨ من شعبان سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ٣٠ من مارس سنة ١٩٥٧ م) .

وكان مؤتمر المجمع قد أجرى عمليـــة انتخاب فى جلسته الأولى بتاريخ ٢٨ من يناير سنة ١٩٥٧ لترشيح ثلاثة من بين أعضائه المصريين ، ينتخب الرئيس من بينهم طبقا للمادة التاسعة من قانون تنظيم المجمع (٤٣٤ لسنة ١٩٥٥) ، وذلك بمناسبة انتهاء مدة الرياسة فى ١٩٥٧/١/٣٠ .

وأسفرت عملية الانتخاب عن فوز السادة : الأستاذ أحمد لطفى السيد ، والدكتور عبد الحميد بدوى والدكتور طه حسين بأكثر الأصوات على التوالى . وتقرر إبلاغ أسمائهم إلى السيد وزير التربية والتعليم ، وذلك لتعيين الرئيس من بينهم .

وقد صدر القرار الجمهورى السابق الذكر بتعيين الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيسا للمجمع .

والمعروف أن مدة رياسة المجمع ثلاث سنوات ، يجوز تجديدها بالطريقة ذاتها .

• أصدر السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية قرارا جمهوريا بتعيين السيد الأستاذ محمد شفيق غربال عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل (صدر القرار فى ١٨ / ٧ / ١٩٥٧) .

• احتفل المجمع فى ٤ من نوفمبر سنة ١٩٥٧ باستقبال الأستاذ محمد شفيق غربال بمناسبة تعيينه عضوا عاملا فى المجمع ، وألقى كلمة المجمع فى استقباله الأستاذ الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمـــع .

• اشترك المجمع فى المؤتمر الطبي العربى الذى عقد بدار الحكمة بالقاهرة فى المدة من ٣٠ أبريل إلى ٤ من مايو سنة ١٩٥٧ .

ومثل المجمع فى هذا المؤتمر الأستاذ الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع .

• اختير الأستاذ مصطفى نظيف عضو المجمع لتمثيله فى المؤتمر العلمى العربى الذى عقد فى بيروت فى المدة من ١٠ إلى ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٥٧ .

• وافق مؤتمر المجمع على تكوين اتحاد المجامع اللغوية العربية واختيار السادة : الدكتور منصور فهمى والأستاذ إبراهيم مصطفى والأستاذ أحمد حسن الزيات لتمثيل المجمع فى هذا الاتحاد .

• تألفت فى المجمع لجنة جديدة من السادة : الدكتور أحمد زكى والأستاذ محمود تيمور والأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ زكى المهندس ؛ سميت : لجنة النشر . مهمتها تنظيم الوسائل النشر أعمال المجمع والاتصال بالصحافة وغيرها .

• عقد مجلس المجمع جلسة علنية فى ٣٠ من مايو سنة ١٩٥٧ أذاع فيها نتيجة مسابقته الأدبية لعام ١٩٥٦ / ١٩٥٧ .

وشهد هذه الجلسة لفيف من أعضاء المجمع والأدباء والعلماء ورجال الصحافة والإذاعة .

وبعد أن ألقيت كلمات من السادة : الدكتور منصور فهمى والأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ إبراهيم مصطفى ، أعلن الدكتور منصور فهمى نتيجة هذه المسابقة . وتقضى بمنح السيد الأستاذ محمد على الحومانى الجائزة الأولى للشعر وقدرها مائة جنيه ، تقديرا لديوانه « أنت أنت » ، ومنح السيد الأستاذ عبد الله المشد الجائزة الثانية للبحث الأدبى وقدرها مائة جنيه تقديرا لبحثه عن « على مبارك وآثاره » .

• بلغ عدد الأدباء المصريين والعرب الذين أجازهم المجمع فى مسابقاته الأدبية المختلفة ، منذ عام ١٩٤٣ إلى الآن : ٢١ شاعرا ، و ٢١ باحثا ، و ١٥ قاصا .

• تلقى المجمع من مدير المكتبة المركزية للعلوم الاجتماعية السوفييتية كتابا يبدى فيه رغبة الأقسام العلمية التابعة للأكاديمية السوفييتية ، فى تبادل المطبوعات مع مجمع اللغة العربية عن طريق المكتبة المذكورة .

وجاء فى الكتاب أن فى استطاعة الأكاديمية السوفييتية أن تبعث إلى المجمع بدائرة المعارف السوفييتية المكونة من خمسين جزءا .

• تلقى المجمع من جامعة الدول العربية أن الإدارة الثقافية بها ألفت لجنة لتوحيد الترجمة العربية للمصطلحات الكيميائية المستعملة فى التعليم الثانوى . ووضعت اللجنة قائمة المصطلحات المشار إليها موحدة الرموز ، موحدة الهجاء ، ورغبت الإدارة الثقافية إلى المجمع فى أن يدرس هذه القائمة ، ويبدى ملاحظاته عليها ، تمهيدا لطبعها وتوزيعها على الجهات المختصة والهيئات العلمية فى البلاد العربية . وقد أحال المجلس تلك القائمة إلى اللجنة الكيميائية بالمجمع للقيام بهذه المهمة ، تحقيقا للغرض الذى سعى إليه المجمع فى توحيد اللغة العلمية فى سائر بلاد الناطقين بالضاد .

• لاحظ مجلس المجمع كثرة الأخطاء اللغوية التى يقع فيها مذيعو الإذاعة المصرية فقرر إرسال كتاب إلى السيد وزير الإرشاد القومى ، يشير فيه إلى ما يقع فيه المذيعون من أخطاء لغوية ، ويطلب أن تلتزم قواعد اللغة العربية وأساليبها الصحيحة إذا تكلم المذيع باللغة الفصحى ، ولا سيما فى نشرات الأخبار وبرامج صوت العرب .

• انعقد مؤتمر المجمع للدورة الرابعة والعشرين فى المدة من ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٥٧ إلى ٣ من يناير سنة ١٩٥٨ ونظر فى الأعمال التى أقرها مجلس المجمع فى الدورة الماضية وفى نماذج من المعجم الوسيط والمعجم الكبير ومعجم القرآن الكريم ، واستمع إلى طائفة من البحوث فى الأدب واللغة ، قدمها السادة أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

• فرغت لجنة المعجم الكبير من إقرار المواد من حرف الألف مع الدال إلى حرف الألف مع الراء وتقع فى نحو خمسين ومائة صفحة .

• نظر مؤتمر المجمع فى حرف الخاء من معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وقرر شكر لجنة المعجم على جهودها ، وتمنى لها التوفيق وموالاة الجهود لإخراج بقية المعجم .

• رغب المؤتمر فى إنجاز المعجم الوسيط وعرض موضوعه على المجلس لاتخاذ قرار بشأنه .

• احتفل المجمع فى مساء الخميس ٣ من يناير سنة ١٩٥٧ بتأبين ثلاثة من أعضائه العاملين الذين اختارهم الله إلى جواره ، هم المرحومون الأساتذة : عبد القادر المغربى ، وعيسى إسكندر المعلوف ، وعبد الحميد العبادى .

وقد ألقى الأستاذ الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع كلمة فى تأبين الأستاذين عبد القادر المغربى وعيسى إسكندر المعلوف ؛ كما ألقى الأستاذ عبد الوهاب عزام : عضو المجمع كلمة فى تأبين المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى .

• واحتفل المجمع فى مساء السبت ٣ من فبراير سنة ١٩٥٧ بتأبين المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل عضو المجمع السابق .

وألقى كلمة التأبين الدكتور طه حسين عضو المجمع .

• وأقام حفلا لتأبين المرحوم السيد حسن القاياتى عضو المجمع فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٧ من فبراير سنة ١٩٥٨ وألقى كلمة التأبين الأستاذ الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع .

• توالى لجنة الأدب فى المجمع فحص القصص المقدمة لمسابقة المجمع لعام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ تمهيدا لإعلان النتيجة فى أوائل مايو القادم .
